أعمال موليير الكاملة

المجلد الرابع

تعريب
أنطوان مشاطي

إشراف :
نظير عبود

دار نظير عبود

١٩٩٤

ص.ب : ١١/٨٠٨٦ تلفون : ٩٣٦٧٧٢- ٩٣٤٧١٤

يحتوي المجلد الرابع على:

العُشَاق المُمتَازُون

أشخاص المسرحية

أريسْتون	:	أميرة، والدة أريفيل.
أُريفيل	:	ابنة الأميرة.
كليونيس	:	مرافقة أُريفيل.
إيفيكْرات	:	عاشقا الأميرة
تيموكليس	:	
سوسْترات	:	قائد جيش، عاشق أُريفيل.
كليتيداس	:	من رجال البلاط، ومن حاشية أُريفيل.
أناكْزارْك	:	منجّم.
كليون	:	إبن أناكْزارْك.
فينوس مزيّفة	:	مساعدة أناكْزارْك.

الأحداث تجري في تسّاليا بوادي تمبيه الجميل.

الوصلة الأُولى

يرفع الستار على حفلة رقص وغناء.

الفصل الأول

المشهد الأول

سوسْترات، وكليتيداس

كليتيداس : هو متشبث بافكاره.

سوسْترات : لا، يا كليتيداس، انا لا أرى الى اين يمكنك أن تصل، وبلاياك لا تدع لك أي أمل بالخلاص منها.

كليتيداس : ماذا دهاه ؟ إنه يكلّم نفسه.

سوسْترات : هذا مؤسف جداً.

كليتيداس : هذه التنهّدات تعني الكثير. لذا أجد قلقي في محلّه.

سوسْترات : على أية أوهام تستطيع أن تبني آمالك ؟ وماذا يسعك أن تجابه سوى حياة تعيسة طويلة، ومشاكل لا تنتهي إلّا عند الموت.

كليتيداس : في الحقيقة رأسك مرتبك أكثر من رأسي أنا.

سوسْترات : ويحك، يا قلبي، الى أين دفعتني ؟

كليتيداس : أنا في خدمتك، يا مولاي سوسترات.

سوسْترات : الى أين أنت ذاهب، يا كليتيداس ؟

كليتيداس : ولكن أخبرني أنت، ماذا تفعل هنا ؟ وما هذه الكآبة الخفيّة، وهذا المزاج الحزين ؟ أرجوك أن تقول لي ماذا يبقيك في هذه الغابات، بينما الجميع يبادرون زرافات الى الساحة العامة، حيث يقوم الأمير إيفيكْرات فوق

البحر بتنزيه الأميرات اللواتي اشتركن بأجمل الوصلات الموسيقية والرقصة. فشاهدنا الصخور والأمواج مزينة بأروع الزخرفة التي تليق بالآلهة إكراماً لهيبتها ووقارها.

سوسْترات : إني أتصوّر ذلك بدون ان أبصره محفوفاً بالعظمة وجميع الناس تسارع عادةً الى التسلّل والتغلغل في الفوضى التي لا يُستبعد ظهورها في مثل هذه الحفلات. فظننت أن من الأفضل أن انضمّ انا ايضاً الى العديد من المستطلعين المتطفّلين.

كليتيداس : أنت تعرف جيداً أن حضورك لا يضايق، وأنك دائماً تحلّ على الرحب والسعة في أي مكان تقصده. وأنا بنوع خاص أحيّيك أينما كنت لأنك لست من ثقيلي الظل المستبعدين الذين يأبى الكل إلّا أن يستقبلوك بأصدق الحفاوة. وما عدا ذلك، أؤكّد لك أن حضورك مرغوب لدى الأميرتَيْن. فالأمّ وابنتها لا تكتمان عنك إعجابهما بحميد خصالك وحلو معشرك بل تقرّ عيونهما بمرأى محيّاك المشرق البشوش. فلا أظن أن شيئاً من هذا يمكن أن يحجبك عن نظرنا.

سوسْترات : انا اعترف بكل بساطة بأني لست بطبيعتي متطفّلاً أتوق الى مشاهدة هذه الأحداث.

كليتيداس : يا الهي، عندما يبادر المرء الى رؤية هذه المناظر، يشتاق طبعاً الى الذهاب حيث يتّجه معظم الناس. لأن ملازمة الوحدة والعزلة تمثّلها النفس بطبيعة الحال، لا سيما عندما تقام حفلات شيّقة مثل هذه تحمل العواطف على اجنحة الخيال الى دنيا الاحلام في ظلال الأشجار الوارفة، كما تفعل، إلّا ادا كان الهم والقلق يكتنف روحك.

سوسْترات : وبماذا تظن اني مشغول البال ؟

كليتيداس : لست أدري ما بك، ولا من أين تأتيك هذه الرغبة في الإنفراد. لكني اشتمّ هنا رائحة الحب المتيّم، بالطبع، لا من جانبي أنا، بل لا بدّ من أن تفوح من شخصك أنت.

سوسْترات : هل جننت، يا كليتيداس ؟

كليتيداس : انا لست مجنوناً. لا شك في أنك مغرم. فحاسّة الشمّ لديّ قوية،

وسرعان ما لاحظت انتشار هذه الرائحة.

سوسْترات : وما الذي أوحى اليك بذلك ؟

كليتيداس : ماذا تقول ؟ ستتعجّب اذا قلت لك من هي حبيبتك.

سوسْترات : أنا ؟

كليتيداس : نعم أنت. وأراهن على أني سأعلن لك إسم من تهواها. فلديّ اسرار كمنجمّ تسارع الأميرة أريسْتيون بإلحاح لمعرفتها. وإن كنت أتقن علم معرفة الغيب والكشف عن سعادة البشر، فأنا اتقن أيضاً قراءة اسماء الحبيبات في عيون عشاقهنّ. هيا انظر اليّ وابتسم لأتأملك. أنت، أنت حتماً تعشق أريفيل. نعم، أنت واقع في هوى الأميرة اريفيل.

سوسْترات : أنا أعترف لك، يا كليتيداس، بأني لا أقوى على كتمان اضطرابي أمام نظراتك الفاحصة. لأن عيونك قد اخترقت حنايا ضلوعي.

كليتيداس : هل ايقنت الآن بمقدار علمي الواسع.

سوسْترات : يا للأسف، ان كنت قد نجحت في كشف خفايا صدري بمثل هذه السهولة، استحلفك أن لا تبوح بها الى أحد، ولا سيما الأميرة الجميلة التي ذكرت لي الآن اسمها.

كليتيداس : جدّيّاً، اذا كنت علمت منذ بعض الوقت بسرّ غرامك الذي تريد أن أبقيه طيّ الكتمان، هل تظن أن الأميرة لم تقف بعد حتى هذه الساعة على ما يشغل افكارك وينبض به قلبك من عاطفة لا سبيل الى كتمانها ؟ صدّقني، إن الحسان لا يخفى عليهن أي شوق يشع في عيون عشاقهنّ. لأنهن أفضل من يتقنّ قراءة الأسرار في ألحاظ المحبين، ويفهمن معنى التنهّدات التي يحاول أهل الهوى حجبها عن عيون الصبايا المعجبات المفتونات.

سوسْترات : دعْها، يا كليتيداس، دعْها لنرى إن كانت تقدر أن تدرك معنى تنهّداتي ونظرات الحب الناجمة عن سحرها الذي يهيمن على فؤادي. ولكن حذار ان تتركها تدري وتفهم ما لا اريد بأية طريقة ان تطلّع عليه من أمر ولهي بها.

كليتيداس : وماذا تخشى ؟ هل يجوز لك أنت سوسْترات الذي لم تتهيّب « برينّوس » ولا جميع أهالي بلاد الغال، أنت صاحب الساعد الجبار الذي

حطّم رؤوس رجال الإغريق، هل من الممكن أن يكون شجاع مثلك لا يُشق لك غبار في ساحة الحرب، متردّداً واجماً بليداً في ميدان الغرام، وأن ترتجف كالقصبة في مهب الريح إن بُحْتُ لك باسم صاحبة الحظّ التيَ تهواها ؟

سوسْترات : آه، يا كليتيداس، فعلاً أنا ارتجف بحقّ، ولو تقاطر عليّ جميع أهل بلاد الغال لن أرهبهم ولن يشلّوا حركاتي كما يفعل سحر تلك العيون الفاتنة حين تسلّط انظارها عليّ.

كليتيداس : أنا لست من هذا الرأي، لأني أعتبر أن أحد هؤلاء الغاليّين اذا استلّ سيفه سيدعني أرتعد اكثر مما تفعله بي خمسون من ذوات العيون الساحرة اللواتي تعنيهن بكلامك. فماذا تريد أن تأمل من ردّات فعلي في مثل هذا الحال ؟

سوسْترات : انا افضّل الموت على إعلان ما أصرّ على كتمانه في هذا المجال.

كليتيداس : ليس أحلى من الأمل. هيّا، هيّا أنت تسخر مني. تشجّع قليلاً، فتُوَفَّق كسائر العشّاق الى تدبير أمورك. إذ ليس في الحب من تصرف مشين يستحي به صاحبه. ولو كنت مكانك لأعلنت هواي على جميع الإلهات، ان قُدِّر لي ووقعت في شِباك الهوى.

سوسْترات : هذا كثير بالنسبة اليّ، يا للأسف. لأن وضعي هكذا سيحكم عليّ بأن أصمت الى الأبد.

كليتيداس : لماذا ؟

سوسْترات : لأن حظي العاثر لا يعادل طموح حبّي. اذ إن مستوى الأميرة رفيع يجعل بيني وبينها هوة سحيقة لا يسعني إجتيازها والارتفاع الى مرتبتها. وهناك أميران يساندهما شرف مقامهما السامي يحجبان كل ما يشتعل بين ضلوعي من لهيب الهوى. فهما يتفوّقان عليّ بالف مجد والف عزّ، لا سبيل لي الى بلوغها مهما حاولت وبذلت من جهود. أرجوك يا كليتيداس، أن تدرك ان الوقار الذي يشع في عيني حبيبتي يسيطر على ما يقابله في اعماقي من شعور جارف يضيق به صدري.

كليتيداس : الاحترام الذي تذكره لا يسعه أن يطغى على قلب الأميرة الشابة الى درجة أن لا تلاحظ حرارة هيامي بها.

سوسْترات : لا تحاولْ أن تدغدغ شعور عاشق متيّم غارق في بحر الهيام.

كليتيداس : ظروفي تشفع بي. وأنا أرى أن اختيار شريك حياتها قد تأجّل. لذّا أودّ ايضاح هذه المسألة البسيطة. أنت تعرف مقدار المعزّة التي تحفظها هي لي. وشدة تفكيري بها وقلقي على مصير حبّي الذي أخشى ان تعبث به. لذا أرجوك أن لا تسقط من الحساب ما آمل ان يتحقّق قريباً ودعني اتصرّف، أنا صديقك، واصحاب الكرامة لهم في قلبي مكانة خاصّة. فجلّ أمنيتي أن أجد فرصة سانحة لمفاتحة الأميرة بأمر ...

سوسْترات : من فضلك، مهما كنت، لطيبة قلبك، تشفق عليّ، أرجوك أن تمتنع عن إبلاغها كم أنا متيّم في هواها. لأني افضّل الموت الف مرة على أن ارتكب حماقة الافصاح عمّا تفعله انوثتها في قلبي ...

كليتيداس : هيّا اصمتْ. فقد اقبل إلينا جمع كبير.

المشهد الثاني

أريسْتيون، وإيفيكرات، وتيموكلاس، وسوسْترات واناكْزارْك، وكليونيس، وكليتيداس.

أريسْتيون : ايها الأمير، لا أمِلّ من الترديد أن ليس في الدنيا من مشهد يضاهي فخامة هذا المنظر الذي تتيسّر لنا رؤيته بوجودك فيما بيننا. وهذا الاحتفال والزخرف الذي لا توازيه أية زينة أخرى، لا يمكنه أن يفوق السرور الذي يغمرنا به عطفك وتنازل شخصك الكريم الى تشريفنا بحضورك البهيج.

كليتيداس : هذه الزينة لا توازي سروري بصحبتكِ التي تفرح قلبي، يا سيدتي، ولا تساوي مقدار الترفيه الذي أودّ أن أوفّره لكِ في غابة الالهة ديانا.

أريسْتيون : لا أظن اننا سنرى يوماً أعظم ممّا ستتفضّلون بتقديمه لأننا لن نملّ

من الاستمتاع به في معيتكم، لا سيما أن حفلتكم تشتمل على جميع المشاهير وكل شعراء وادي « تمبي ». لأننا فضلاً عن حديث متعة الصيد الذي نشترك فيه، هناك أُبّهة ألعاب « بيتيان » التي ستُقدَّم قريباً وتغمرنا ببهجة تزيل الهمّ عن القلب الكئيب. أين كنت، يا سوسترات محتجباً عن أنظارنا ؟ إذ لم نشاهدْك منذ بعض الوقت.

سوسْترات : وعكة طفيفة المّت بي، يا سيدتي، وأقعدتني عن التنقّل، وعن الحظوة التي آمل أن تشمليني بها.

إيفيكْرات : سوستراتِ هو من الذين يتجنّبون التطفّل والازعاج، يا سيدتي. لذا لا يحب ان يمضي دوماً حيث يميل سائر الناس الى الذهاب في مثل وضعه.

سوسْترات : يا مولاي، لا دخلِ للمودّة في ما يبدو مني، وبدون أن أبالغ في الثناء، لا يسعني أن أمتدح كفايةً ما تغدقه علينا هذه الحفلة من ترفيه لم أشأ أن أحرم نفسي من روعته.

أريسْتيون : وهل شاهد كليتيداس ذلك ؟

كليتيداس : أجل، يا سيدتي، من الشاطئ فقط.

أريسْتيون : لماذا من الشاطئ ؟

كليتيداس : لأني خشيت، يا سيدتي، أن يطرأ حادث مزعج يضايقك. ففي هذه الليلة ابصرت في الحلم سمكة ميتة وبيضة مكسورة. وعلمت من مولاي أناكْزارْك أن البيض المكسور والسمك الميت لا يخلو تفسيره من الشرّ والشؤم.

أناكْزارْك : لديّ ملاحظة : إن على كليتيداس أن يلزم السكوت متى أراد أن يتكلّم عني.

كليتيداس : هناك أمور كثيرة لا بدّ من ذكرها عنك، ولن نتمكن من التحدّث بالقدر اللازم.

أناكْزارْك : يسعكم أن تتكلموا عن امور اخرى. بما أني ارجوك أن تتجاذبوا أطراف الحديث.

كليتيداس : وما السبب ؟ لا تقولوا إن الداعي الى ذلك يطغى على كل ما عدا

هذا الموضوع. واذا كان مكتوباً في سجلّ النجوم أنني أميل الى الكلام عنك، فكيف يسعني أن أقاوم هذه الرغبة ؟

أناكْزارْك : بكل الاحترام الذي يتحتّم عليّ أن أبديه نحو شخصك الكريم، يا سيدي، هناك مسألة مزعجة تبدو في بلاطكم، والجميع مضطرون للتحدّث عنها بحرّيّة ألّا وهي أن رجلاً شهماً يتعرّض فيه الى سخرية اول متفلسفٍ يخدعه الغرور.

كليتيداس : انا اعفيك من هذه المهمّة.

أريسْتيون : تكونون مجانين إن أعرتموه اهتمامكم.

كليتيداس : رغم الوقار المتوجّب عليّ نحو شخصيتك الفاضلة، يا سيدتي، أصرّح لك بأن في التنجيم لغزاً يدهشني جداً. وهو كيف يدري الناس بأسرار الآلهة، ومن يمتلك معرفة شاملة تفوق كل مدارك البشر، حتى يتسنى له أن يجسر ويطلب توضيح مثل هذه الغوامض ؟

أناكْزارْك : عليك أن تجتهد أكثر لتكسب رزقك بعرق جبينك، وتقدّم للسيدة تفسيراً أفضل من هذا.

كليتيداس : يجود الانسان بما تملكه يداه. فأنت تكلّمت بما أعجبك. ومهمّة المتحدّث اللبق لا تُقارَن بما لدى المنجّم من اجتهاد. فالكذب المقبول هو أسهل من خداع الناس وتمويه الحقائق عليهم.

أريسْتيون : وما فحوى هذا الكلام ؟

كليتيداس (يخاطب نفسه) :مهلاً. ما أقلّ صبرك، يا كليتيداس ؟ ألا تعرف ان التنجيم موضوع يخصّ الدولة، وأن على المرء أن لا يخوضه ؟ لقد نبهتك مراراً عديدة الى عدم التوسّع كثيراً في الحديث، وفي إفشاء بعض الخفايا، وأنت مصرّ على الكلام بحرية تامة عن أمور لا تعنيك، وربما عوقبتَ على التطرّق اليها، أيها الغبي المغرور، عليك أن تلزم الصمت إن كنت عاقلاً.

أريسْتيون : أين ابنتي ؟

تيموكليس : لقد ابتعدتْ عنّا قليلاً، يا سيدتي، وعرضتُ عليها مساعدتي فلم تقبل الاستفادة منها.

أريسْتيون : أيها الاميران، بما أن الحب الذي تكنّانه لابنتي أريفيل يخضع

للشروط التي فرضتها عليكما، وبما أني عرفت منكما أن أحدكم يضمر منافسة رفيقه ويلجأ الى مزاحمته على استمالة عواطف ابنتي، فإن عليكما أن تترقّبا اعلان اختيارها وهي سيدة نفسها. لذا يجب عليكما أن تفتحا لي قلبيكما وان تصارحاني بشعوركما وتُعلماني بأي تقدّم تظنّان أنكما أحرزتماه لإمتلاك فؤادها.

تيموكليس : يا سيدتي، انا لا اتبّجح بأني حظيت برضى ابنتك. فلقد قدّمت لها احتراماتي ومودّتي كمحبّ أتفانى في سبيل خدمتها، وثابرت على اظهار اعجابي بها، واجتهدت كل يوم ان اكتسب عطفها. وقد عبّرت لها عن ميلي اليها شعراً. ونثراً بلياقة ولباقة. ولقد شكوت لها عذابي في هواها، وصرّحت لها بنظراتي المتدلهة عن عظم تعلقي بها. ولم أتأخّر حتى عن إبداء عجزي وقلة صبري مِن تلقّي جوابها الشافي. حتى اني لم أبخل بزرف دموعي أمامها. ولكن كل هذا التوسّل والتذلّل ضاع سدىً، لأني لم أَلْقَ أي جواب على ما أبديته لها من حرارة حبّي.

أريسْتيون : وأنت، ايها الأمير ؟

إيفيكْرات : بالنسبة اليّ، يا سيدتي، وبما أني أعرف ما هي عليه من عدم المبالاة وانها لا تهتم بتميم واجباتها، لم أشأ أن تضيع لديها شكواي ولا تنهداتي ولا دموعي. كذلك أعرف جيداً أنها لا تخضع إلّا لإرادتك، وإنها فقط على يدك تريد أن يتمّ زفافها الى الزوج الذي تختارينه لها. لذا أتوجّه اليك بطلب يدها. ولك ثم لها أقدّم احتراماتي وتوسّلاتي. فأرجو منك، يا سيدتي، أن تبتّي في هذا الأمر الخطير الذي أعلّق عليه كل اهتمامي، وأملي وطيد بأن يتحقّق حلمي هذا على يدك الكريمة.

أريسْتيون : ايها الأمير، هذا الثناء يأتيني من عاشق نبيه، ولقد سمعت حتماً ان لحصولي على الابنة لا بد لي من مداراة أمّها. ولكن المشكلة التي لا أودّ ان اخفيها عنك، هي أن جميع مساعيّ هنا غير مفيدة بعد الآن، لاني تعهّدت لابنتي بأن أدعها تختار هي بنفسها من تميل اليه وترغب فيه كشريك حياتها.

إيفيكْرات : مهما تركت لها من حريّة التفضيل يظل هناك مخرج، يا سيدتي. لذا اسمح لنفسي بأن أقول لك : إني لا أسعى للحصول على الاميرة أريفيل

كزوجة إلّا لأنها من لحمك ودمك، ولأني أجدها فاتنة بما ورثته عنك من خفّة الدم ودماثة الأخلاق. وهذا بالذات ما أقدّره وأعجب به بنوع خاصّ.
أريسْتيون : هذا حقّاً لطف منك مشكور ونادر الوجود.
إيفيكْرات : نعم، يا سيدتي، كل الناس يجدون فيك الحُسْن وطيبة القلب و ...
أريسْتيون : من فضلك، ايها الأمير، تجاوز هذا الحُسْن وهذه الطيبة. فأنت تعلم أنها ليست سوى كلمات احذفها من عبارات الثناء الذي تكيله لي. أنا لا امانع أن يصفني الناس بالصراحة والنزاهة وبأني اميرة متواضعة أتحدّث الى الجميع وأجامل أصدقائي وأقدّر فيهم التواضع والفضيلة. بل أنا أفضّل ذلك على كل ما في الدنيا من جاذبية وجمال. ومن البديهي أن أهتمّ بهذه النواحي لا سيما لأني لا أكترث للمديح، وأكتفي بأن أكون أُمّاً لابنتي الحبيبة.
إيفيكْرات : يا سيدتي، أنت تتباهين. لكونك أُمّاً، ولا أحد يمكنه أن يعترض عليك في هذا الموضوع. والأميرة أريفيل تبدو كأنها شقيقتك لا ابنتك.
أريسْتيون : يا الهي، ماذا تقول، أيها الأمير ؟ أرجوك أن لا تبالغ كما تفعل حيال معظم النساء. أنا أصرّ على أن أكون أُمّناً لأن هذا يسعدني، وكل ما عداه باطل في نظري. فأنا اعتزّ بهذه الامومة المباركة، وكم يسرني أن أكون والدة. لأن كافة بنات حوّاء يفاخرن بهذه الصفة الجليلة. فلنعُدْ الى حديثك. أرجوك أن تصارحني في ردّك على سؤالي : ألم تعرف حتى الآن ميل ابنتي أريفيل ؟
إيفيكْرات : هذه الناحية لا تزال مبهمة بالنسبة اليّ.
تيموكليس : وانا ايضاً أجدها سرّاً غامضاً.
أريسْتيون : لا بد من أن يمنعها حياؤها عن كشف رغبتها لي ولك أيضاً. فما علينا إلّا ان نلجأ الى شخص ثالث لنفهم حقيقة أمرها وخفايا قلبها. فلنكلّف احداً بالاستفسار عن هذا الأمر الهامّ. يا سوسترات، أرجوك أن تقبل بالقيام بهذه المهمة الدقيقة لأنها فعلاً تليق بأمير مثلك، لتعلم ما هو ميل ابنتي والى من تتّجه أفكارها وعواطفها.
سوسْترات : يا سيدتي، أكثر من مئة شخص يؤلفون بلاطك، ويسعك أن تكلّفي أحدهم بالقيام بهذه المهمة الصعبة، لأني لا أجدني أهلاً لما تطلبينه مني.

أريسْتيون : أنتَ، يا سوسترات، لستَ مؤهلاً فقط للمسائل الحربية. لأنك تتمتّع بصفاء الذهن وحسن التدبير واللباقة، وابنتي تحفظ لك اعتباراً خاصّاً.

سوسْترات : غيري يقوم بذلك بصورة أفضل مني، يا سيدتي.

أريسْتيون : لا، لا. لا تتمنّع، فهذا لن يعفيك ممّا أرجوه منك.

سوسْترات : بما أنك مصمّمة على ذلك، يا سيدتي، فما عليّ إلّا الطاعة والخضوع. ولكني اقسم لك بأن بلاطك يضمّ حتماً من يقوم بهذه المهمة خير قيام.

أريسْتيون : هذه مبالغة في التواضع من قِبَلك. وانا واثقة بأنك افضل من يتولّى القيام بهذه المهمة الخطيرة. فأرجوك أن تكتشف بمهارة كعادتك، ما اودّ أن اوقن به من عواطف ابنتي اريفيل، وأن تذكّرها بأنّ عليها أن تذهب باكراً الى غابة ديانا.

المشهد الثالث

ايفيكرات، وتيموكليس، وكليتيداس، وسوسترات.

إيفيكْرات : يمكنك أن تصدقني إن قلت لك أن الأميرة تحفظ لك تقديراً خاصّاً.

تيموكليس : كن على يقين بأن المهمة التي كُلِّفتَ بها تليق ببراعتك.

إيفيكْرات : ها هي فرصة مناسبة كي تخدم أصدقاءك.

تيموكليس : وأنت خير من خدم الناس الذين ترضى عنهم.

إيفيكْرات : انا لا أوصيك بأن تكلّفني برعاية مصالحك.

تيموكليس : وانا لا اطلب منك أن تتكلّم عني.

سوسْترات : يا مولاي، لا حاجة لهذا القول. إني في غنىً عن تكليفي بأية مهمّة. لأني لن أتكلّم لا عنك ولا عن سواك ...

إيفيكْرات : سأتركك تتصرّف كما يعجبك.

تيموكليس : أجل، لك ملء الحرية في هذا المجال.

المشهد الرابع

ايفيكرات، وتيموكليس، وكليتيداس.

إيفيكْرات : كليتيداس يتذكّر جيداً أنه من أعزّ اصدقائي. وأُوصيه بأن يهتمّ بمصالحي لدى سيّدته للتصدّي لمنافستي.
كليتيداس : دعني أتصرّف. فالفرق كبير بينك وبينه. وهو أمير مفتول الساعدين من الصعب منازلته.
إيفيكْرات : سأعترف بجميلك.
تيموكليس : مزاحمي يتودّد كثيراً الى كليتيداس. ولكن هذا الأخير قد وعدني بمساندتي حيال تطاول مزاحمي على حبي.
كليتيداس : طبعاً، هو لا يهمّه أن يتغلّب عليك. وهذا بالنسبة اليك يجعل الأمير كطير مقصوص الجناح.
تيموكليس : لا أتردد في أداء أية خدمة اكراماً لكليتيداس.
كليتيداس : انا اسمع المجاملات من كل الجهات. ها هي الأميرة، فلأُبادرْ الى محادثتها.

المشهد الخامس

اريفيل، وكليونيس

كليونيس : من الغريب، يا سيدتي، أن تجدي نفسك مفصولة عن الجميع.
أريفيل : بالنسبة الينا نحن الذين تنهال علينا المشاغل ويتقاطر الناس من كل حدب وصوب يسرنا ان نلوذ أحياناً بالعزلة المريحة. وبعد ألْف مشكل ومشكل يحلو لنا أن نختلي بأنفسنا ونأنس بتفكيرنا على انفراد. وليس من حرج أن أتنزّه هنا وحدي.

كليونيس : ألّا ترغبين يا سيدتي أن ترَيْ ردّة الفعل لدى هؤلاء الاشخاص الذين يتفانون في سبيل خدمتك. إنهم بتحرّكاتهم وسكناتهم يعبّرون دائماً عن اخلاصهم بنظراتهم وبإيمانهم. أنا لا أعرف كيف أتحدّث اليك بذلك، لأني أخشى أن لا تسامحني حاشيتك على هذه الصراحة.
أريفيل : انت بارعة في التأويلات، يا كليونيس، فأرجوكِ ان لا تعكّري الجوّ بدسائسك. فأنت لا تمتنعين أبداً عن العبث بكل ما يدور حولك من شؤون. لذا ألاحظ ان الكثيرين يتجنّبون الاحتكاك بك خوفاً من أن تشمليهم بهزئك وسخريتك وأقاويلك، بصفتك مندّدة أغلاطهم وسوء تصرفهم، نظراً الى كون كل ما يرتكَب من هفوات لا بدّ أن يتناوله لسانك بالتجريح.
كليونيس : اذا كنت، يا سيدتي لا تودّين مشاهدتهم، عليك أن لا تُبقيهم هنا.
أريفيل : لا، لا. اذهبي اليهم، ودعيهم يأتون اليّ.
كليونيس : ربما، يا سيدتي، لم تعجبك زلاقة لسانهم رغم براعتهم في الرقص.
أريفيل : زلاقة لسانك أو سواها، لا بد لي من أن أراهم وأشاهد رقصهم، حتى إن أخّرنا الموعد، ولا بد لي من أن أبادلهم نواياهم.
كليونيس : حتماً ستسير الأمور في مجراها الطبيعي هنا، يا سيدتي. فالاولى ان يتمّ ذلك في وقت لاحق.
أريفيل : لا حاجة الى المقدمات، يا كليونيس. دعيهم يتصرفون ويرقصون كما يحلو لهم.

الوصلة الثانية

تأتي مرافقة الأميرة بثلاثة راقصين يتداولون بالايماءات، وهم يعبّرون عن رغباتهم بالحركات والارشادات. فتشاهدهم الأميرة يرقصون وتستقبلهم بالترحاب.

الفصل الثاني

يتواصل رقص الباليه وتتابع الإيماءات.

المشهد الأول

اريفيل، وكليونيس، وكليتيداس.

إيفيكْرات : هذا رقص بارع. ولا أظن أن بالامكان القيام بأروع منه. فليواصلوا رقصهم لأني مسرورة بما يقومون به من حركات رشيقة.

كليونيس : يسرّني أنا ايضاً، يا سيدتي، أن أراك مرتاحة الى ما يؤدّونه لأني بعيدة عن غرابة الذوق الذي تظنّين أني أتّصف بها.

أريفيل : لا تبالغي بقولك هذا. فلن أتأخّر بالردّ على هذا الكلام في حينه. أرجوك أن تتركيني وحدي قليلاً.

كليونيس : ألْفت نظرك، يا كليونيس، الى أن الأميرة تريد البقاء على انفراد.

كليتيداس : دعيني أتصرف، فأنا أعرف كيف يجب أن أتحرّك.

المشهد الثاني

اريفيل، وكليتيداس.

كليتيداس (يتظاهر بالغناء) : لا، لا، لا. لا، لا، لا.
أريفيل : يا كليتيداس.
كليتيداس : لم أبصركِ يا سيدتي.
أريفيل : إقترب. من أَين أنت آتٍ ؟
كليتيداس : الآن غادرت والدتك التي نوجّهت الى معبد أبولون برفقة عدد من الشبّان.
أريفيل : ألا تجد أن هذه الأمكنة أروع ما في الدنيا ؟
كليتيداس : طبعاً. كان برفقتها عشاقك الأمراء.
أريفيل : هنا نهر « بينيه » ينساب بروعة.
كليتيداس : جميل جداً. كان سوسترات هناك.
أريفيل : لهذا السبب إذاً لم يحضر الى النزهة.
كليتيداس : لا بدّ من أن تكون أفكاره المشغولة قد حرمته من المجيء الى هنا لتذوّق هدوء الطبيعة الممتاز. لقد أراد أن يتحدّث اليّ لكنك طلبت مني بإلْحاح أن لا أصغي اليه، لذا صَمَمْت إذنيّ عن سماعه، وأبلغته أن لا يحاول التحدّث اليّ ثانية.
أريفيل : لقد أخطأت حتماً بإعلامك إياه ذلك. وكان عليك فقط أن تستمع اليه.
كليتيداس : في بادئ الأمر افهمته أني لا أريد سماعه. غير أني ما لبثت أن اصغيت الى كلامه.
أريفيل : حسناً فعلت.
كليتيداس : في الحقيقة هذا الرجل لا يرفض طاعتي. ويجب عليّ حياله أن لا ارفع صوتي، وان اكون الآن عاقلاً رصيناً في كل ما أتعاطى به معه. لذا عليّ أن أتكلّم امامه عن كل ما ينطبق على الواقع، واردّد على مسمعه بعض أبيات من شعرائنا البارزين، ولا بدّ من الإقرار بأني لم اسمعه قط يقول : « هذا حقّاً

أروع ما نظمه هوميروس من أشعار. على كل حال هذا الرجل قد أحسّ بميل يجتذبه اليه، وإن أصبحت أميراً فلن أكون ابداً تعيساً ».

أريفيل : اجل هو رجل يستحق كل احترام واكرام. ولكن ما هو موضوع حديثه ؟

كليتيداس : سألني إن كنت مسروراً في هذه الأثناء، وطلب مني ان اكلّمه باسهاب عن شخصك، لأنه يقدّسك ويرفعك الى أعلى المراتب، ويثني عليك أجمل الثناء الذي يمكنه أن يجود به على اميرة كاملة الصفات. أخيراً بقدر ما عالجت وضعه من جميع النواحي وحاولن أن أزيل عنه كآبته العميقة الجذور، وبقدر ما حاولت من جميع الوجوه أن أفهم سبب كآبته التي يلاحظها الجميع، إضطر الى الإعتراف بأنه عاشق.

أريفيل : متى اصبح عاشقاً ؟ هكذا سيحرمني مرآه طوال العمر.

كليتيداس : مما، يا ترى، انت تشكين، يا سيدتي ؟

أريفيل : من جرأتك بل من إصرارك على إعلان حبك لي، ومن جسارتك في بث هذا الحب.

كليتيداس : كُوني على يقين إنه لا يحبك أنت، يا سيدتى.

أريفيل : هو لا يحبني أنا ؟

كليتيداس : كلا، يا سيدتي، هو يحترمك كثيراً، ولا يجرؤ على الهيام بحبك.

أريفيل : أتقول إنه لا يعشقني أنا ؟

كليتيداس : نعم، نعم، يا سيدتي، هو أعقل ممّا تتصوّرين، وأكثر حكمة مما تفكرين به.

أريفيل : أفصح عمّن تعني، يا كليتيداس ؟

كليتيداس : إحدى بناتك، الصبيّة ارْسينُوي.

أريفيل : هل هي مستهترة الى هذا الحدّ، حتى أنه لم يجدها تلبق بحبّه ؟

كليتيداس : هو متدلّه بهواها، ويناشدك أن تكرميها وترعي شؤونها.

أريفيل : أنا ؟

كليتيداس : كلّا، كلّا، يا سيدتي. أنا أعرف أن الأمر لا يعجبك. فإنّ خشية

اغضابك قد حملني على معالجة المسألة بطريقة أخرى. وأصارحك بأنه يحبك الى حد الجنون.

أريسْتيون : انت جسور بتهجّمك هكذا على عواطفي. هيّا أُخرج من هنا، لأنك تتدخّل في شؤون لا تعنيك وتحاول إدراك أسرار قلب أميرة. هيّا أغرب من وجهي ولا تُرِني صورتك بعد الآن، يا كليتداس.

كليتيداس : سيدتي ...

أريفيل : تعال الى هنا. أنا أسامحك على هذا التطاول.

كليتيداس : ما اطيب قلبك يا سيدتي.

أريفيل : لكن بشرط أن تحترس وتتقيّد بما سأقول لك، وهو أن لا تفتح فمك وتتلفّظ بأية كلمة أمام الناس، وإلّا تكون مسؤولاً عن عاقبة ثرثرتك.

كليتيداس : هذا يكفي.

أريفيل : هل أخبرك سوسترات بأنه يحبّني.

كليتيداس : كلا، يا سيدتي. عليّ أن أصارحك بالحقيقة. فقد استخلصت من اقواله كُنْه سرّه الذي يخفيه عن الجميع، وهذا ما أدهشني. ولقد خامره اليأس بسبب ما أبلغته اياه انا من خفايا الأمور. وأنا لا أودّ أن أكشف لك ذلك. لأنه استحلفني بكل عزيز، أن لا أعلمك بحقيقة الأمر. وإن أبلغتك اياه أكون قد خنت ما تعهدت له به.

أريفيل : حسن. إنه بمجرد ما يكنّه لي من الاحترام، يعجبني وينال رضاي. وإن كان فعلاً جريئاً وفاتحني بحبّه، سيفقد تقديري ومساندتي إياه.

كليتيداس : لا تخافي أيّ مكروه، يا سيدتي.

أريفيل : ها هو آتٍ. تذكّر على الأقلّ، إن كنت عاقلاً، مدى دفاعي عنك.

كليتيداس : هذا أمر لا أشك فيه، يا سيدتي. إذ عليّ أن لا أكون متطفّلاً.

المشهد الثالث

سوسترات، واريفيل

سوسْترات : لديّ عذر شرعي، يا سيدتي، لكي ازعجك في وحدتك. وقد تلقيت من الأميرة والدتك اذناً يجيز لي اللجوء بشجاعة الى هذا الموقف الذي أتّخذه.

أريفيل : ما هو هذا الأذن، يا سوسترات ؟

سوسْترات : الأذن، يا سيدتي، بأن أعرف منك أيّ الأميرَيْن يمكنه أن يجتذب فؤادك.

أريفيل : لقد برهنتْ امّي الأميرة على ضعف في انتدابها اياك لمثل هذه المهمة التي أعجبتك، يا سوسترات، بدون شك وقبلتها بكثير من السرور.

سوسْترات : لقد قبلتها، يا سيدتي، لما يتوجّب عليّ مس اطاعتك. واذا قبلت الاميرة اعتذاري يمكنها ان تكرم سواي بهذه المهمة الحرجة.

أريفيل : وما هي الأسباب التي تستوجب رفضك، يا سوسترات ؟

سوسْترات : الخوف، يا سيدتي، من أن لا أحسن القيام بها كما يجب.

أريفيل : هل تعتقد أني لا أقدّر صفاتك وبراعتك، فلا أفتح لكي قلبي وأُلْقي ضوءاً على ما تودّ معرفته منّي في موضوع هذَيْن الأميرَيْن ؟

سوسْترات : انا لا أبغي ما هو لنفسي، يا سيدتي، بل أسألك أن تردّي على السؤال الذي كلفْتني والدتك الأميرة بأن أطرحه عليك.

أريفيل : حتى الآن مانعتُ في إعطاء أي ايضاح حول هذا الموضوع. وأمّي الأميرة تعلم جيداً اني أخّرت البتّ في هذه القضية التي إن اجبتها عليها بصراحة، أجدني مرتبطة بتنفيذها. ولكني اريد أن ابرهن للجميع أني اريد أن افعل ما يرضيك لمجرّد إكرامك. واذا ألْححت عليّ سأطاوعك وأعلن ما كتمته الى الآن زمناً طويلاً بين حنايا ضلوعي.

سوسْترات : هذا يا سيدتي، أمر لا أنوي أن أضايقك بخصوصه، ولن أجرؤ على الضغط على اميرة نبيهة مثلك تعرف جيداً صالحها وكيف تصونه.

أريفيل : ولكن هذا بالذات ما تترقّبه والدتي الاميرة أن أزوّدك به.

سوسْترات : لقد نبّهتها الى أني لن أتمكّن من استجابة طلبها بالمهارة التي تنسبها اليّ.

أريفيل : لا، يا سوسترات. إن امثالك عيونهم دائماً مفتوحة، ولا تفوتهم شاردة ولا واردة. لذا لا أظنك تغفل عن أي أمر. ولم تستمدّ من محيطك اليقظة والسهر على كل ما يدور حولك. فلا يصعب عليك أن تكتشف ميل قلبي. أنت تعرف جيداً مقدار الاخلاص الذي يظهره لي الجميع. ولذلك أسألك أيّ الأميرين على ما تظن هو الأَوْلَى والالطف والاشد ولاءً لي ؟

سوسْترات : الشكوك التي تحيط بهذه العلاقات لا تختلف كثيراً عن المصالح التي تربطها بأصحابها.

أريفيل : أصْدِقْنِي، يا سوسترات، مَن مِن الأميرَيْن تفضّل، ومَن منهما تودّ أنت ان أُزفّ اليه ؟

سوسْترات : يا سيدتي، ليس تفضيلي، بل ميلك هو الذي يرجّح كفّة الميزان.

أريفيل : واذا اتكلت عليك في نصحي بموضوع هذا الاختيار ؟

سوسْترات : اذا كان فعلاً قبولك يتعلّق باعلان رأيي، فانك تربكينني كثيراً.

أريفيل : انا لا اتوصّل الى الاقتناع بأيٍّ منهما عليّ أن اقبله كزوج لي.

سوسْترات : اذا صدّقت عينيّ لا أجد أحداً يستحقّ هذا الشرف العظيم، لأن جميع الأمراء ليسوا اهلاً لهذه النعمة. فالآلهة وحدها تستطيع أن تحلّ مشكلتي وهي لا ترضى على البشر اذا لم يحرقوا أمامها البخور لإكرامها.

أريفيل : هذا امر دقيق، وانت صديقي بنوع خاص تريد خيري. فأود وألحّ ان تقول لي أيّ الاثنين تشعر في قرارة نفسك بأنه يليق بحبي اكثر من منافسه، وأيّ امير تود ان تعتبره اقرب الى مقامي ويستحق فعلاً مودتي ؟

المشهد الرابع

شوريب، وسوسترات، واريفيل

شوريب : يا سيدتي، هذه هي الأميرة التي جاءت لترافقك الى غابة ديانا.
سوسْترات : لقد جئت في حينك أيها الفتى.

المشهد الخامس

اريستيون، وايفيكرات، وتيوكليس، واناكزارك، وكليتيداس، وسوسترات، واريفيل.

أريسْتيون : أتى من يطلبك، يا ابنتي، وسيُحزن غيابك الكثيرين.
أريفيل : أظنّ، يا سيدتي، ان من يطلبني يفعل ذلك من قبيل اللياقة، ولا يضمر الاهتمام الصادق الذي يبديه إلّا لكسب رضاك.
أريسْتيون : لاجل التسلية، يرتبط الكثيرون بعضهم ببعض بغية تمضية اويقات مسلية في المجاملة. وليس لدينا برهة يمكننا أن نضيعها، إذا كنا جميعنا نودّ ان نتذوّق حلاوتها. هيا بنا الى الغاية لنرى ما ينتظرنا هنا. فتلك البقعة هي أجمل ما في الدنيا. ولنأخذ أمكنتنا بدون إبطاء.

الوصلة الثالثة

يتحوّل المسرح الى غابة حيث تتجّول الأميرة، وتستقبلها إحدى الحوريّات بحفاوة، وتنشد لها كي تطربها. ثم يجري تمثيل مسرحية موسيقية يدور موضوعها حول راع يشكو همّه الى راعيتين يلوذ بهما، ويتذمّر من برود حبيبته. فتبادر الراعيتان الى تعزيته. وحين تأتي الراعية الثالثة التي يحبّها، ينسحب الحاضرون ويراقبونها عن بعد. وإثر المناجاة الغرامية تستريح الحبيبة فوق العشب الأخضر وتستسلم الى حلاوة الرقاد. فيطلب العاشق من أصدقائه ان يقتربوا كي يتأمّلوا جمال حسنائه، ويتمنى أن يساهم كل ما في الدنيا بتأمين الراحة لها. تستيقظ الراعية وتبصر حبيبها القابع عند قدميها، فتتذمّر من ملاحقته اياها. لكن نظراً الى اصراره والحاحه تستجيب طلبه وترضى بأن يغازلها على مرأى الراعيين الآخرين. تعود الراعيتان الحاسدتان وتتذمّران من هذا الوضع، واذْ تتضايقان من إهماله اياهما تبحثان عن نسيان همّهما باحتساء الخمر.

اشخاص الراعوية

حورية وادي تمبيه، وتيْرسيس، وليكاس
وميناْندر، وكاليسْت، وحاسدتان.

مقدّمة

حورية تمبيه : تعالي، ايتها الاميرة الكريمة، بكل ما فيك من سحر وفتنة.
تعالي وانظري الينا بعينيك البريئتَيْن.
لكي تقلبك صحراؤنا كواحدة منّا
لا تبحثي عن بهرجة حفلات البلاط
هنا لا يهتم أحد إلّا بالحب
ونحن لا ننشد سوى اغاني الهوى.

المشهد الأول

تيرْسيس

تيرْسيس : انتم تترنمون تحت هذه الأغصان
حيث البلبل الصدّاح يهلّل للغرام
وبريشاتك البهية يتغنّى
وهو يوقظنا الواحد تلو الآخر
على صوت ما يسري من انغام بين الشجر
فأسَفي عليك أيها العصفور الصغير
لأنك تندب اشواقي ولا يعزّيني لحنك الحزين.

المشهد الثاني

ليكاست، وميناندر، وتيرْسيس

ليكاست : ماذا جرى ؟ اراك حزيناً وكامداً وقانطاً.
ميناندر : بل ماذا جرى لك انت ؟ ايها الباكي الكئيب.
تيرسيس : انت تعشق كاليسْت منذ زمن قريب
ولا ترى يوماً سعيداً هنيئاً
ليكاست : سيطرْ أيها الراعي، على العمل الذي يضايقك.
تيرسيس : وكيف السبيل الى ذلك ؟
ميناندر : عليك أن تبذل أقصى جهودك.
تيبرسيس : كيف العمل ؟ ما دام الشر والالم يتضاعفان.
ليكاسْت : لا بد لهذا الداء من معالجته بالدواء الناجع.
تيرسيس : الموت هو شفائي الوحيد.
ليكاست وميناندر : آه منك، يا تيرسيس.

تيرسيس : آه منكم، ايها الرعاة.
ليكاست وميناندر : أنفض عنك غبار التقاعس والاستسلام الى الاقدار.
تيرسيس : ليس لي في الدنيا من معين.
ليكاست وميناندر : هذا لا يُطاق. هذا استلام مشين.
تيرسيس : هذه آلام لا تُحتَمل، ولا سبيل لي الى التخلّص منها.
ليكاست وميناندر : تبّاً لضعفك المستكين
ترسيس : حقّاً انت شهيد الغرام.
ليكاست وميناندر : تشجّع واستجمع قواك.
تيرسيس : لا بد لي من الموت.
ليكاست : ليس هناك من راعيات
بمثل هذا البرود والصدود.
جدّد الأمل والحماس
في القلب لمقاومة الشقاء.
وانْسَ اقاويل النساء.
ميناندر : هناك في كل زمان ومكان
عشّاق يغلب عليهم الفتور
في بعض المواقف الحرجة
فتتغيّر نظراتهم السمجة
بعيداً عن البهجة والسرور.
تيرسيس : انا ارى هذه الشرسة
التي تنتقل شبه مفترسة.
فلنتجنّب ان تبصرنا
هذه الجاحدة الخائنة
كي لا تعود الينا ماجنة.

المشهد الثالث

ليكاست

ليكاست : كم حطّمت قلوبنا
هذه الشريعة الصارمة. فلا تدعْها تسيطر علينا.
بل جابه تيرسيس المغموم
ولا تستسلم للهموم
بل دعْ عذابه يدوم
مع أني اسعى لتخفيف المجازفة
فأسرد لك هذه الحكاية
بشرط ترديد قولي في أرجاء الغابة.
بما ان السماء ارادت إسعادنا
وفي قلوبنا استعر لهيب غرامنا
الذي لا يرحم ولا ينيل المرام
فتضيق علينا فسحة أملنا
وفوق ذلك يلومنا ويعاتبنا،
بدون أن يهادننا ويصالحنا
أو يساعدنا على تحقيق الأحلام.
هنيئاً لك أنت سعيدة، يا طيور
في العيش طليقة في عالم مغمور
تتبعين النسماء السابحة في الفضاء
وتنعمين بنفحات الصبح والمساء.
لكن النوم جفا هاتَيْن العينَيْن
وسقى الخشخاش طراوته النديّة
فلننصرف كلّيّاً الى أجواء الحرية
ولننجُ من حبائل المستهترين
ونهنأ ببساط العيش آمنين.

المشهد الرابع

كاليْست (نائماً) وتيرسيس، وليكاست وميناندْر

تيرسيس : انا ذاهب الى حبيبتي الحسناء
بخطىً خفيفة الوقع لتبديد الجفاء
ولكي أوقظ في أعماقها روح الوفاء
فقساوتها النائمة لا تعرف سوى الجفاء.

الثلاثة معاً : أرقدي، ايتها العيون الساحرة الآسرة.
وذوقي طعم الراحة التي حَرَمْتِ منها القلوب.
نامي، نامي واستريحي، ايتها العيون الناعسة.

تيرسيس : أُسكتي، أيتها العصافير المغرّدة.
واهدأ أيها النسيم العليل،
وترقرقي ايتها السواقي الصافية
فهنا كاليست العاشق يستريح.

الثلاثة معاً : نامي ايتها العيون الساحرة الآسرة
وذوقي طعم الراحة الممنوعة عن القلوب
نامي، نامي، واستريحي ايتها العيون الناعسة.

كاليست : ما هذا العذاب الذي لا يُطاق
لأنه يلاحقني بدون انقطاع

تيرسيس : من تريد أن يكون مغلوباً يستعين
سوى الحب الذي ذاق الأمرَّيْن ؟

كاليست : ماذا تريد، أيها الراعي ؟

تيرسيس : أن أموت، أيتها الراعية الحسناء.
وأن أتوسّل مثل اليائسين البؤساء
لترقّي وتخلصيني من الجفاء
لأني عبثاً أتنهّد وأتوسّل
فلا بدّ لي من أن أموت بلا أسف.

كاليست : آه، يا ترسيس، إذهب فأنا لم أخفْ
من الاشفاق على فؤادي من أن يُخطئ الهدف.
ليكاست وميناندر : الحب يزدهر وسط الجنان
ويجدر بنا أن ننعم بالحنان
ومهما تحاشيت إستجابة الهيام،
ايتها الراعية لا بد لك من مطاوعة
حلاوة الهوى وأشواق الغرام
وهدهدة المودة والوئام
فالحب يزدهر وسط الجنان.
فهلمّ بنا ننعم بالحنان.
كاليست : هذا كثير على قلبي المعذَّب
الذي احتمل مرارة الصدّ المدرَّب
فانا المشتاق، مع هديل الحمام
أهديك، يا تيريس أحرّ السلام.
تيرسيس : ايها الرعاة، يا كاليسْت، قد فاض بي الحنين
ثم أضناني الهيام، فأرجو أن استكين.
ليكاست : انت تستحق كل خير
ميناندر : فليشفق عليكم الربّ القدير.

المشهد الخامس

حاسدان، وكاليست، وترسيس، وليكاست وميناندر.

الحاسد الأول : مهما هربت مني، ايها الجاحد، فأنا اراك من نصيبي.
وأعجب كيف تفضّل عليّ ذاك الراعي الغبي.
الحاسد الثاني : ما هذا ؟ ألم تؤثر رعايتي على قلّة اكتراثك ؟
ما لي ارى فؤادك لا يلين أو يشفق على عذابك ؟
كاليست : القدر يفرض ما حدث.

فعليك بالصبر يا شاحذ الهمم.

الحاسد الأول : ما اشقى العشّاق الذين يضيق صدرهم
بالوله الذي يُسيل الدموع ولا يرحم.
لكن هذا ليس من عاداتنا الكريمة
ما دام للكأس مذاق النشوة الأليمة.
يعزّينا في أحزاننا ويُهوّن علينا الشتيمة.

الحاسد الثاني : حبنا لا ينعم دائماً بالهناء
والسعد لا يرافق الرخاء
لكننا نستطيع إنصافه بالراح
فالخمرة المشعشعة تبعث الانشراح
عندما يسخر القدر من الأفراح.

الجميع : أيتها الآلهة البرّية
يا طيور، ويا حوريّة
من مخابئك السرّيّة
راقبي وقع الحركات والضوضاء.
وارسمي على المروج الخضراء
صورة اغانينا الهازجة.

(تخرج في آنٍ واحد ستّ حوريات وستة طيور من محابئها لتشكّل حلقات رقص حلوة تنتشر فجأةً، ويظهر بينها راع وراعية يتمايلان على أنغام الموسيقى بحركات تبعث على الغيرة والحماس):

مشهد غيرة العشاق.

كاليمان، وفيلانت

فيلانت : عندما كنتُ قبلة أنظارك.
كنت مسروراً بالوله
لا اميّز بين ملك وإله.
فاستيقظتِ الغيرة بين طلوعك.
كاليمان : عندما يكفكف سواي دمعك
وينال إعجابك ومودّتك
أنتزع التاج عن رأسي
والجأ الى ساعدي وترسي.
فيلانت : غيرك طيّبَ نفسي بالهوى
لقاء الشوق الذي قلبي كوى
كاليمان : وغيري قد انتقم لصدّك
من ضعف ايماني بودّك.
فيلانت : « كلورين » الذي أطنب بمدحه
قد أبرز عيوبي بطول شرحه
فإذا كان حقدك يشتهي موتي
أنا مستعدّ أن أكون ضحية مهجتي.
كاليمان : « ميرتيل » الذي يبالغ في الحسد
يسعى جاهداً ليُفني هذا الجسد
وقد فقدت حياتي الهائمة
فعليك تقع المذمّة واللائمة.
فيلانت : لكن، إن كان حبك كالعسل
فإن نهوضي في كبوتي قد حصل
لطرد، كلوريس، الذي عن قلبي انفصل
لتحلّ انت محله في العجل.

كاليمان : مهما أضناك الشوق والحنين
فإن « ميرتيل » لا يزال الأمين
وأنا معك أعترف بوفائك
وأريد ان أحيا ايضاً ليسلم رأسك.
كلاهما معاً : لا بدّ لنا من أن نتشاكى الهوى
وأن نعيش معاً وثيقي العرى

جميع اشخاص الرواية ينشدون معاً :
ايها العشاق انظروا كم نزاعاتكم
هي بغيضة، ومستحبّة مناجاتكم
اذ فيها العتاب يتواصل
وبالعناق كل القدود تتمايل
فما عليكم إلّا أن لا تختلفوا
وبالاحرى على الوئام تتحالفوا.
ايها العشاق انظروا كم نزاعاتكم
هي بغيضة، ومستحبة مناجاتكم.

(تُتابع الطيور والحوريات حلقات الرقص، ويختلط الرعيان والراعيات على أنغام الموسيقى والاغاني، بينما ثلاث حوريات صغيرات وثلاثة طيور صغيرة تقلّد في صدر المسرح كل ما يجري في جهته الامامية).

الرعيان والراعيات : لنفرح ونطرب ونتذوّق الافراح البريئة
في ربوع الحب حيث تنتقلّ أنظارنا الجريئة.
وفي العظمة التي تكتنف عواطفنا
علينا أن نغتنم فرصة عمرنا.
دعونا من الهموم التي تكدّرنا
ولنفرحْ ونطربْ ونتذوق الاطايب البريئة
في ربوع الحب الذي يعتقنا من الخطيئة.
في ظلال الهوى كل ما في الحياة جميل
والايادي المتشابكة في روعة الأصيل

تتجلّى في الوفاء والاخلاص النبيل
آملين أن تدوم أيام الربيع
لنبتهج ونطرب ونتذوق الأفراح
في ربوع الهوى وننعم بنشوة الراح.

الفصل الثالث

المشهد الأول

أريسْتيون، وايفيكرات، وتموكليس، واناكزارك وكليتيداس، واريفيل، وسوسترات، والحاشية.

أريسْتيون : الكلمات ذاتها تتسارع دائماً على شفتيه. لذا لا بدّ من الصراخ باستمرار : هذا امر طريف ليس أبدع منه يفوق كل ما شاهدناه في الماضي.

تيموكليس : اجل، هذا حديث رائع، يا سيدتي، بالنسبة الى الاقوال التافهة التي سمعناها.

أريسْتيون : اقوال تافهة كهذه يمكنها أن تشغل بال اكثر الأشخاص رصانة. في الحقيقة، يا ابنتي، انت مدينة كثيراً لهؤلاء الأمراء، ولا يسعك أن تقدّري مبلغ الاهتمام الذي يحيطونك به.

أريفيل : وانا احفظ لهم كل الكره الذي أشعر به نحوهم.

أريسْتيون : مع ذلك أنت تدعينهم يذوبون شوقاً الى ما يترقّبونه منك من استجابة. لقد وعدتك بأن لا أعارض مشيئتك، لكن حبهم يلحّ عليك أن تعلني رغبتك، وأن لا تهملي طويلاً ما يلتمسونه منك من مكافأة على إخلاصهم. انا كلّفت سوسترات ان يعرف بلطف ما هو إتجاه ميلك ولست أدري إن كان قبد قام بالمهمة.

أريفيل : نعم، يا سيدتي. ولكني على ما أرى، لا يسعني ان أُمهل إعلان

اختياري اكثر مما فعلت الى الآن، وانا احسّ بأن رفضي سيكون نوعاً من العداء لمن سأفضّل عليه منافسه.

إيفيكْرات : هذا منك، يا سيدتي، تصريح لبق يرفض طلبنا نحن الاثنين.

أريسْتيون : هذا الجواب، يا ابنتي، هو اللازم على ما ابديته حتى الساعة من ممانعة. لأن هذين الأميرين خضعا طويلاً وعَلَناً لما تتخذينه من قرار.

إيفيكْرات : ميلي، يا سيدتي الوالدة، قد يخطئ الإختيار. لكن عيوني تتبيّن ما يناسبني ولن تحيد عن متابعة اتجاه عواطفي.

أريسْتيون : تعرفين جيداً، يا ابنتي، اني وعدتك بأن لا أطالبك بقبول ما أفضّله أنا لك. ومن جهتك عليك الآن ان تبتّي بأمر هذَيْن الأميرَيْن وان تختاري أحدهما.

أريفيل : لكي لا أخالف نصيحتك، ولا ألوم نفسي، أرجوك، يا سيدتي، أن تقبلي بما سأقترحه عليك بجرأة.

أريسْتيون : وما هو اقتراحك، يا ابنتي ؟

أريفيل : ان يقوم سوسترات هو نفسه بهذا الاختيار. لقد كلّفته انت بأن يكشف سرّ قلبي. وأنا ايضاً بدوري أسأله أن ينتشلني من الحيرة التي تؤخّر قراري.

أريسْتيون : اني اقدر كثيراً رأي سوسترات، ولا سيما أنت قد اخترت أن تولّجيه بحلّ مشكلة اختيار شريك حياتك. فأنا لا أرى مانعاً من أن يبتّ هو في هذا الأمر، لأنه حكيمٌ نزيه محبّ ومتبصّر في إصدار قراره، بل أنا واثقة بأن رأيه سيكون افضل ما يرضيك أنت ايضاً.

إيفيكْرات : هذا يعني، يا سيدتي، اننا بحاجة الى مداراة سوسترات.

سوسْترات : لا، يا مولاتي، انت لستِ بحاجة الى مداراتي. ومع الاحترام الذي اكنّه للاميرات، انا ارفض الفائدة التي ستلحقني من هذه المهمة.

أريسْتيون : كيف ترفض هذه الخدمة، يا سوسترات ؟

سوسْترات : لي اسباب وجيهة، يا سيدتي، وهي لا تتيح لي قبول هذا الشرف الرفيع.

إيفيكْرات : وهل تخشى، يا سوسترات، ان تجتذب عداوة احد ؟

سوسْترات : أنا لا أخاف أي مشكل، يا سيدي، اذا هدّدني بسبب خدمة أؤدّيها لأميراتي.

تيموكليس : لماذا اذاً ترفض التكليف الذي تتلقّاه من قبلهنّ كوسيلة لإسعادهنّ وإسعاد امير يهملك أمر هنائه ؟

سوسْتوات : السبب هو أني لا أستطيع أن أؤمّن لهذا الأمير ما أتمناه له من الخير والسعادة.

إيفيكْرات : لكنك لم توضح بالتحديد كُنْه هذا السبب.

سوسْترات : لماذا الإيضاح ؟ ربما لي، يا مولاي، مصلحة سرّية تعارض حبك. وربما كان لي صديق بدون ان أذكر اسمه، يلتهب قلبه بعاطفة نبيلة وميل سامٍ الى المفاتن الجليلة التي سحرت فؤادك انت. وربما كان هذا الصديق لا ينقطع عن الشكوى لي من الهوى الذي يعذّبه وتشكو أنت أيضاً من نيره، وينظر الى اقترانه بالاميرة كدواء ناجع يشفيه من داء فؤاده المزمن. فما عساي افعل في هذا الموقف، غير الامتناع عن زيادة بلواه مرارة وحسرة. وهو يفضّل الموت اذا لم يحقق حلمه الذهبي هذا وامله الوحيد بهذه السعادة المنشودة.

إيفيكْرات : يبدو على محياك، يا سوسترات، أن هذا الصديق يعزّ عليك كثيراً، وتأبى أن تسبّب له الخيبة، إن أرضيت سواه في هذا الموضوع الدقيق.

أريسْتيون : دعنا من هذا. سنهتدي حتماً الى وسيلة تجعل ابنتي تضع حدّاً لحيرتها بدون إمهال، أكثر مما فعلت الى الآن.

أناكْزارْك : لا بد من أن يكون هناك حل مناسب، يا سيدتي، يرضي جميع الاطراف، وألْتمس من السماء أن تنير الأذهان لرؤية الأمور بوضوح والبتّ قريباً في هذا الموضوع الشائك. لقد اخذت استوضح غوامض هذه المعضلة التي تحيّرنا جميعنا. وارجو أن أتوصّل وشيكاً الى معرفة المصير الذي يخبّئه المستقبل كحلّ لهذه العقدة. ولا اظن بعد ذلك ان يكون من مجال للتأرجح اكثر مما جرى. لأن المشكلة وصلت الى حدّ يفرض إظهار الخفايا التي تجعل اميرتنا المحتارة لا تعلن تفضيلها حتى الآن.

إيفيكْرات : انا من جهتي أقبل بالحلّ الأنسب الذي ترتأونه.

تيموكليس : وانا من هذا الرأي المعقول ولا اعتراض لديّ عليه مطلقاً.

أريفيل : لكن، يا مولاي أناكْزارْك، هل ترى الأمر بهذه السهولة حتى لا تعترض عليه ؟ وانت واثق بأنه الحل الأمثل اللازم. ارجوك أن تتريّث ولا تدع مجالاً للندم فيما بعد.

أريسْتيون : يا ابنتي، ارجوك ان تُقلعي عن هذا التردّد الذي ما نابك منه سوى الحيرة والقلق.

أناكْزارْك : بالنتيجة، يا سيدتي، ظهر للجميع ان العصمة عن الخطأ ووضوح الرؤية هما الضمانة الكافية للقناعة والرضى. واخيراً، عندما تُحَلّ هذه القضية سنعرف سرّ هذا التردّد الطويل، وما هو صالح كل فريق في تعقيد هذا الاختيار العسير.

أريفيل : ارجو من السماء، يا اناكْزارْك، ان تهديني الى فيه سعادتي.

أناكْزارْك : نعم، يا سيدتي، بشرط ان تقتنعي بأن هذه السعادة في اقترانك بأحد المنافسين لن تكون سبب شقاء الرجل الآخر الذي تحرمينه من تحقيق أمله الوحيد بأن تكوني شريكة حياته.

أريفيل : ولكن، بما أني لا أستطيع الإقتران بالاثنين معاً، لا بد لنا من أن نعرف ما تخبئه لنا الأقدار، ونعلم سلفاً ما يجب أن يتمّ، وما لا سبيل الى اتمامه في هذا المجال.

كليتيداس : ها هو منجّمنا قد داهمه الارتباك، وهو المعوَّل عليه أن ينوّرنا طبعاً للإهتداء الى أحسن اختيار.

أناكْزارْك : لا بد من مناقشة طويلة في مبادئ التنجيم لتفهمي قواعدها وحلولها.

كليتيداس : هذا جواب سديد. انا لا أريد إحراج المنجّم لأنه رجل بعيد النظر، ومولاي اناكْزارْك رجل عظيم يستحقّ كل الخير.

إيفيكْرات : يقال : كذب المنجّمون ولو صدقوا. وفي الواقع لا سبيل الى الاتكال على استنتاجاتهم ولو كانت صحيحة.

كليتيداس : هذا لا يحتمل أيّ جدال.

تيموكليس : انا بطبيعتي قليل التصديق في أغلب الأحيان. ولكن في ما يخصّ التنجيم لا أجد اصدق ولا أوفق من الطالع الذي يتنبّأ به.

كليتيداس : ليس أوضح من هذه الأمور.

إيفيكْرات : وهذه المغامرات تقع كل يوم، ويقتنع بصحتها اشدّ المتردّدين.

كليتيداس : هذا ايضاً صحيح.

تيموكليس : وهل من سبيل لإنكار الوقائع الشهيرة التي جرت عبر التاريخ حتى الآن ؟

كليتيداس : وإلّا يكون المرء قليل الفهم. وهل يمكن نكران ما نراه بإم اعيننا ؟

أريسْتيون : أرى سوسترات صامتاً لا ينطق ببنت شفة. فما رأيه في هذا الموضوع ؟

سوسْترات : يا سيدتي، جميع الاشخاص ليسوا على درجة واحدة من وضوح الرؤية. ولا بدّ من أن يكون للمرء في الحياة قليل من حبّ الاستطلاع والفضول ليحاول ادراك ما يراه غامضاً في محيطه. وانا أعتقد أنْ ليس أعظم، يا سيدتي، من أن يختزن الانسان مقداراً كافياً من المعرفة ليقدّر جوهر الامور التي تحيّر العقول أحياناً. فكم هو جميل تحويل المعادن الى ذهب وهّاج، وتجنّب الموت للعيش الى الأبد، على أن تشفيه الكلمات الحلوة اذا ما داهمه المرض، وأن يحب على هواه ويتمتع بالسعادة ويسيطر على الشر ليأمَن أذاه، وأن يكون له جيوش تحميه من كل اعتداء. هذا حقاً رائع بدون أدنى شكّ بشرط ان يكون ممكناً تحقيقه في هذه الدنيا. لكن من جهتي، أنا اعرف ان ذهني المحدود يكاد يستوعب ويصدّق هذا المستحيل. أجل كل أسباب الهناء والتفاهم والقوة التي لا تُقهَر والفضائل المرغوبة، جميعها لا اقتنع بها، بل أجدها غير واقعية، بدون أن اتطرّق الى الكلام عن باقي الامور التي لا أجد سبيلاً الى إدراكها، ولا سيما مصير الانسان وسعادته في هذا الوجود الغامض. فأي اتّصال، واي تبادل، واي شبه يمكن أن يقوم في عوالم بعيدة عن ارضنا بمسافات شاسعة خيالية ؟ ومن أين يكتسب الانسان مثل هذه العلوم التي تفوق مداركه. أية قوة يمكنها أن توحي اليه بتوقّع الغيب واستطلاع النجوم لا يزال

حتى اليوم بدون نتائج معقولة، وهي حتى الآن لم يشاهدها أي فلكي تبدو لعينيه في وضع واحد.

أناكْزارْك : لا أعتقد أن الأمور معقّدة على الشكل المبهم الذي تظهره لنا الآن.

سوسْترات : أنت، على ما يُخيَّل الي، امهر من سواك في هذه التفسيرات.

كليتيداس : سيشرح لك خفاياها عندما تشاء.

إيفيكْرات : أظن أن الأمور ستظل في نظرك على ما هي من الانغلاق، ولن تتوصّل الى استجلائها والاقتناع بها وإن تكرّر حدوثها كل يوم.

سوسْترات : كم أنا قليل الفهم، لا استوعب أبسط المسائل، ولا تبصر عيناي ما يجري في الدنيا إلّا من خلال غشاءٍ يطمس أمامي كل وضوح.

إيفيكْرات : أمّا أنا، فقد شاهدت الأمور جليّةً واقتنعت بحقائقها الواقعية.

تيموكليس : وانا كذلك.

سوسْترات : كما رأيتم، يجمل بكم أن تقتنعوا. فلا بد لعيونكم أن تبصر غير ما أراه أنا.

إيفيكْرات : على كل حال، اميرتنا تصدّق التنجيم، ويُخيَّل اليّ انها مقتنعة هكذا بصلاح تصرّفاتها. فأرجوك، يا سيدتي أن تبيّني لي إن كان سوسترات بعيداً عن وضوح الرؤية والذوق السليم.

سوسْترات : يا مولاي، طرْحك هذا السؤال لا يخلو من التطاول والتجنّي. فسعة مدارك الأميرة ليس مقياساً لمقابلته بضيق آفاقي الذهنية. وها هو ذكاؤها يساعدها على ادراك أدقّ الأمور على ضوء الواقع الأكيد.

أريسْتيون : لا، يا سوسترات. أنا لا أريد أن أعلن لك رأيي في كثير من القضايا التي نفكّر في ايجاد حلّ لها يناسب الجميع. أما التنجيم، فقيل لي أنه في معظم الحالات تكون استنتاجاته أقرب الى الحقيقة بشكل يُبعد عني الشك في صدق توقّعاته.

سوسْترات : يا سيدتي، لا ردّ لدي على كل هذه القضايا المعقّدة.

أريسْتيون : لنقف في حديثنا عند هذا الحدّ. ولنترك الأمور تجري في مسارها الطبيعي. ولنهتمّ بنزهتنا هذه، يا ابنتي، ووجهتنا هذه المغارة الجميلة التي وعدتك بمرافقتك اليها. وأمامنا متّسع من الوقت لمواصلة مجاملاتنا.

الوصلة الرابعة

يمثل المسرح مغارة حيث تذهب الاميرات للنزهة، وحين يدخلن تظهر ثمانية تماثيل كل منها يحمل بيده مشعلاً، والجميع يرقصون في أوضاع مختلفة رائعة، ويداومون عليها في فترات متقطّعة يتخلّلها رقص باليه.

الفصل الرابع

المشهد الأول

اريستيون، واريفيل

أريسْتيون : أيّاً كان هذا الرأي، لا سبيل الى سماع ما هو اكثر منه مجاملةً وقبولاً. يا ابنتي، اردت ان انفرد عن الجميع لكي احادثك، ولا اريد أن أخفي عنك الحقيقة. ألا تشعرين في أعماقك بميل خفي الى أحد، ولا تريدين ان تبوحي به ؟

أريفيل : انا، يا سيدتي الوالدة ؟

أريسْتيون : تكلّمي، وافتحي لي باب قلبه على مصراعيه. فإن ما صنعته لأجلك حتى الآن يستحق ان تصارحيني بما يشغل بالك. حوّلي اليّ جميع أفكارك، واعيريني أذناً صاغية. فأنا في وضع يتيح لي قبول كل ما تقترحينه عليّ من حلول. وانت مقتنعة تماماً بأني أمّ صالحة لا أريد إلّا كل الخير لك، يا ابنتي الحبيبة. فلا تكوني قاسية تجاهي، وليس في الكون شخص سواي يحنو عليك اكثر مني.

أريفيل : وإن كنت صمَمَتُ اذني عن سماع نصحك، يا امّاه، كوني على

يقين بأني ابادلك محبتك وحنوّك. وثقي، يا سيدتي الوالدة، بأني لا أكتم عنك شعوري عن خبث أو سوء نيّة. لكن في الحقيقة لا اتوصّل الى حزم أمري لاتخاذ قراري النهائي في هذا الموضوع الحرج. وإلّا كنت لا أستحق ان أكون ابنتك.

أريسْتيون : لا، لا، يا ابنتي العزيزة. عليك بكل بساطة وراحة ضمير أن تصارحيني بعواطفك. فأنا لا أفرض عليك مشيئتي، ولن ارفض اختيارك بين هذين الأميرين مهما كان. فأنت حرّة، ويسعك أن تفضّلي من ترينه الأنسب ليكون شريك حياتك. فأرجوك مرة اخرى أن تصارحيني بموقفك والى من يميل قلبك ؟

أريفيل : طيبة قلبك تغمرني بالحب والسعادة، يا سيدتي الوالدة، وأنا اشكرك سلفاً على كل ألْطافك. لكني لن أجرؤ على وضعها على المحكّ في نطاق الموضوع الذي نحاول تحقيقه كما اطلب منك. وهذا قد يدفعني الى القبول بالاتجاه الى حيث لا أشاء.

أريسْتيون : حتى الآن تركتك تقرّرين كل ما تريدين بدون اي اعتراض من قِبَلي. ولكن هذَيْن الأميرَيْن يُبديان كل حب وتعلّق بشخصك ... ما هذه الضجّة التي أسمعها الآن ؟ يا ابنتي، ما هذا المشهد الذي ينبسط أمام نظري ؟ ما هذه الألوهيّة التي تتجلّى أمام عيوننا ؟ أوليست الإلهة فينوس هي التي تُبْدي رغبتها في محادثتنا ؟

المشهد الثاني

فينوس (ترافقها اربع حوريات صغيرات، وهي ممطية عربة)
واريستيون، وأريفيل.

فينوس : ايتها الأميرة المتجلية بأبهى مواقفها الرائعة، والتي يسعى جميع الخالدين الى تتويجها، يسرني أن أرى صهرك الكريم السعيد الحظ يمسك بيد من وقع اختيارها على شخصه الفريد، وهو يعلن بصوتي الجهوري الحازم كل

المجد والعظمة التي يستحقّها من جرّاء هذا الاختيار. فهو وعروسه الأميرة سيؤلّفان اسرة موقّرة بعيداً عن المشاكل والتعقيدات التي اعترضت سبيلها. فلا تتردّدي لحظة في منحه يد إبنتك. لأنه الرجل الوحيد الذي يسعدها ويحقق امانيها.

أريسْتيون : يا ابنتي الحبيبة، ها هي الآلهة تفرض السكوت على اعتراضاتك. وبعد ذلك، لا يبقى لك أية حجة للامتناع عن إبداء رغبتك بصراحة. هيّا نذهب الى اول معبد نجده على طريقنا لنؤكّد طاعتنا وامتثالنا لهذا القرار السامي الذي يوافق عليه جميع الفرقاء.

المشهد الثالث

اناكزارك، وكليون.

كليون : ها هيذا الأميرة تمضي، ألا تود أن تكلّمها قبل ذهابها ؟

أناكْزارْك : إصبر حتى تبتعد عنها امها التي اخشى رفضها، وهي التي طوال عمرها فرضت ارادتها على الجميع بدون استثناء. أخيراً، يا ولدي، كما رأينا الآن بهذا الانفتاح المبارك، اكتملت الحيلة وانطلت وتغلّبت على المعارضة. فإن إلهتنا فينوس قد أحسنت التصرف على اكمل وجه، ومدبِّر هذه الرؤيا قد نجح تماماً في ترتيب الأمور، وقطع في هذه المغارة، دابر كل إمكانية للفشل، إذ اتّخذ جميع الاحتياطات لتأمين النجاح التام حيال جميع الفرقاء الذين يصعب خداعهم معاً في آن واحد. وبما أن الأميرة اريستيون تصدّق كل الخرافات، علينا أن نستبعد كل شك في أنها لن تلحّ على ابنتها للامتثال هذه المرة الى مشيئتها. فمنذ زمن طويل، يا ابني، انا أعدّ هذا الحلّ الوحيد الذي أراه ملائماً ومقبولاً لدى الجميع.

كليون : ولكن لصالح أي الأميريْن قد دُبِّرت هذه الحيلة البارعة ؟

أناكْزارْك : كلاهما طلبا مساعدتي، ووعدتهما معاً ببذل ما في وسعي لتلبيتهما.

غير أن هدايا الأمير إيفيكْرات ووعوده جعلتني أفضّله على الأمير الآخر منافسه. وهكذا سيفوز هو بالأفضلية ويغتنم هذه الفرصة السانحة. وبما أنه فعلاً يستحقّ بلوغ مرامه، أرى هذه المناسبة مؤاتية، يا ابني، كي تُحَلّ المسألة لصالحه. وأنا الآن بدوري سأسعى لإقناع الأميرة بأن هذه النتيجة هي الأَوْلَى لها من سواها حسب الرؤيا التي أوحى بها الآلهة. فهيّا نكمل ما يتوجّب إعداده، ونستقدم الرجال الستة المختبئين في مركب خلف الصخرة. وبما أن الأميرة أريستيون والدتها تأتي الى هذا المكان للتنزّه كل مساء، سأطلب من بعض المهاجمين أن يحتجزوها، واحرّض الأمير إيفيكرات لكي يبادر الى تخليصها، وحسب قرار الإلهة فينوس سيحظى بيد ابنتها الأميرة اريفيل، وقد طلبت أنا منه القيام بدوره هذا لإنقاذ الموقف. هيّا الآن نخرج من المغارة، وفي اثناء الطريق سأخبرك بكل ما يجب عليك التقيّد به. ها هي الأميرة اريفيل قادمة. وعلينا أن نتجنب الالتقاء بها في هذه الظروف الدقيقة.

المشهد الرابع

أريفيل، وكليونيس، وسوسترات.

أريفيل : من المؤسف أن يكون مصيرنا هكذا. فماذا فعلت في سبيل الآلهة لكي استحق هذه الرعاية الكريمة التي أغدقتها عليّ ؟

كليونيس : ها هوذا، يا سيدتي، فقد وجدته يلبّي نداءك، وما لبث أن تبعني.

أريفيل : دعيه يقترب، يا كليونيس، واتركينا وحدنا برهة. هل تحبني، يا سوسترات ؟

سوسْترات : انا، يا سيدتي ؟

أريفيل : دعنا من الإنكار، يا سوسترات. فأنا أعلم جيداً، وأوافق على موقفك، وأسمح لك بأن تكون صريحاً معي في التعبير عن عواطفك الصادقة. فإن شغفك ظاهر لعينيّ، وأنا سعيدة بما تكنّه لي من أشواق. ولولا المرتبة السامية

التي منحْتني اياها الآلهة لكنت كشفت لك منذ زمن طويل عن حقيقة حبي، ولم أتعذّب كل هذه المدة في كتمان شعوري. إن سوسترات جدير بكل احترامي واكرامي. ولكني أفضّل الصفات الحميدة التي تتحلّى أنت بها. وأنا مدينة كثيراً لوالدتي التي تركت لي حرية الإختيار بينكما. غير أن هناك اعتبارات، يا سوسترات، تحول دون تفضيل ما يحلو لي رغم الضيق الذي سبّبه لي اعلان ما اميل اليه. وهذا، يا سوسترات، هو سبب تردّدي. لكن الآلهة نطقت أخيراً ودلّتني على الزوج الذي يجب عليّ ان افضّله على منافسه، ولا تعارض والدتي اختياره. كن على يقين، يا سوسترات، بأني على مضض أقبل بهذا الزواج. ولو كنت حقيقةً سيّدة نفسي لكنت فضّلتك انت وما رضيت بسواك. هذا، يا سوسترات، ما وددت أن أصارحك به. وهذا ما اعتقدت ان الواجب يقضي عليّ بكشفه لك أخيراً. وبالنتيجة كنت أفضّل ألْف مرة أن تكون أنت شريك حياتي.

سوسْترات : يا سيدتي، هذا كثير على رجل تعيس مثلي، لا يسعني أن أتحمّله. وكم كنت افضّل ان اموت، وأن لا أشكو من حظي العاثر هذا الذي قادني الى هذه المأساة. فإن كان نصيبي قد أشقاني هكذا، فإن تعزيتي هي أنك أنت الأميرة المجيدة قد تمنيت أن أكون أنا من اختارته السماء زوجاً لك، لأن هذا، وإن حُرمت من حبك، قد جعلني في نظر نفسي أفضل الأمراء إطلاقاً. نعم، يا سيدتي، منذ أن تجاسرت واحببتك، أنا لا أزال أعاني من سوء الطالع ومعاكسة الايام. وها هي أخيراً قد حكمت عليّ بالهلاك بعيداً عن عطفك وحنانك. مع ذلك سأموت كأسعد الرجال، لأنك تنازلت واطلعتني على مكنونات صدرك، وما تحفظينه من تقدير لشخصي المسكين الذي حرمني قَدَري من تقحيق أغلى أُمنياتي. والآن اجثو على ركبتيّ وألْتمس منك أن تسمحي لي بملازمتك حتى ذلك اليوم الذي تُزفّين فيه الى مزاحمي الذي منّت السماء عليه بأن يكون هو زوجك المحظوظ. فهل تريدين أن تعديني بمنحي هذه المنّة الكريمة.

أريفيل : هيّا يا سوسترات، أخرج من هنا. لأنك لا ترغب في راحتي بما أنك

تسألني أن أظل أفكّر بك رغم الحدّ الفاصل الذي فُرِض علينا وحال بيني وبينك.

سوسْترات : يا سيدتي، إن كانت راحتك ...

أريفيل : اذهب من أمامي، يا سوسترات، وجنّبني ان اضعف وأتخاذل، ولا تعارض ما آل اليه مصيري المحتوم.

المشهد الخامس

كليونيس، واريفيل.

كليونيس : يا سيدتي، ما لي أراكِ مرتبكية ومشغولة البال، والحزن ظاهر على محياك ؟ هل تودين أن آتيك بالراقصين لتسليتك وإزالة الهمّ عن صدرك بما يتقنونه من فنون رائعة ومهارة فريدة ؟

أريفيل : نعم، يا كليونيس. وليقوموا بما يحلو لهم من الرقص، بشرط أن يَدَعوني وشأني، أخلو بنفسي وافكاري.

الوصلة الخامسة

اربعة اشخاص يقومون بإيماءات معبّرة وخطوات وحركات رشيقة ليُزيلوا الهمّ عن الأميرات.
وهؤلاء الأشخاص الأربعة مع إيماءاتهم يقومون برقص الباليه.

الفصل الخامس

المشهد الأول

كليتيداس، واريفيل

كليتيداس : الى أين أتَّجه الآن ؟ وأين عساي أن أذهب، وفي أي مكان أجد الآن الأميرة أريفيل ؟ فأنا سعيد بأن انقل اليها خبراً مفرحاً جداً ... يا سيدتي، جئت أبشّركِ بأن السماء منحتك الزوج الذي جعلته من نصيبك.

أريفيل : دعني وشأني، يا كليتيداس، فأنا اصارع كآبتي القاتمة وتصارعني.

كليتيداس : استميحك عذراً، يا سيدتي. ظننت أني أبشّرك بما يسرّك إذ منحتك سوسترات زوجاً لك. ولكن بما أن ذلك يزعجك، فأنا استردّ خبري واعود خائباً من حيث أتيت.

أريفيل : كليتيداس، قف يا كليتيداس.

كليتيداس : انا أتركك، يا سيدتي، تستسلمين الى كآبتك.

أريفيل : هيا قفْ واقتربْ مني. ماذا قلت لي منذ لحظة ؟

كليتيداس : لا شيء، يا سيدتي. كم كنت عَجُولاً في قولي لك ما لم افكر لحظة بأنه يزعجك، وارجوكِ أن تسامحيني.

أريفيل : كم أنت مستعجل.

كليتيداس : في المرة القادمة، لن أسمح لنفسي بأن أضايقك. وأزعجك.
أريفيل : لا تَزِدْ في إقلاقي وتعذيبي. بماذا جئت تبشّرني، كما قلت لي ؟
كليتيداس : هي مسألة تافهة تخصّ سوسترات، يا سيدتي، وسأبلّغك اياها في مناسبة اخرى كي لا أُثقل عليك.
أريفيل : لا تدعني انتظر على احرّ من الجمر اكثر مما فعلت. هيا قُلْ لي ما الخبر ؟
كليتيداس : هل تريدين حقاً أن تسمعيه، يا سيدتي ؟
أريفيل : نعم، نعم. عجّل، ماذا تريد أن تخبرني عن سوسترات ؟
كليتيداس : نبأ مفرحاً، لا تنتظرينه.
أريفيل : عجّل. وقُلْ لي ما هو ؟
كليتيداس : ألّا يزعجك الخبر بتاتاً، يا سيدتي، رغم الكآبة التي تكتنفك ؟
أريفيل : هيّا، هيّا، عجّل، تكلّم.
كليتيداس : أريد أن أعلمك يا سيدتي، أن الأميرة والدتك كانت تتنزّه وحدها في مماشي الغابة الرائعة، واذا بخنزير برّي شرس (وهؤلاء الخنازير المفترسة يجب إبعادها عن الغابة بإحضار عدد من رجال الشرطة اليها)، قلت إذا بخنزير شرس يهاجمها وهو هارب من بعض الصيادين الذين يطاردونه، بعد أن اجتاز الممشى الذي كنا نسير فيه. أعتقد أنّ عليّ، ربما أن أصف لك الوضع بدقة، وأنا أسرد لك الحادث. ولكني ألاحظ أنك مستعجلة لمعرفة جوهر ما جرى. فلقد مرّ الخنزير بنا مسرعاً ولم نستطع اعتراض سبيله. فظلّ منطلقاً كالسهم الى ان وصل الى الأميرة والدتك. فما كان منها إلّا أن رشقته بقضيب كان بيدها فجرحته وراء أذنه فقط. فارتدّ الخنزير اليها فارّاً بالاتجاه المعاكس. فاختبأ كل منّا ثم تسلق شجرة، حين وصل سوسترات كأن الآلهة ارسلته في تلك اللحظة لنجدتها.
أريفيل : وماذا جرى بعد ذلك، يا كليتيداس ؟
كليتيداس : اذا كان سرد القصة يضايقك، يا سيدتي، أُؤجّل كلامي الى فرصة قادمة.
أريفيل : هيا عجّل باكمال القصّة كما جرت.

كليتيداس : ها أنذا أتابع قولي كما يتيسّر لي ذلك، لأن خوفي قد جعلني أختبئ ولا أشاهد كل ما حدث. على كل حال سمعت وأدركت ما جرى. وعندما عُدنا الى الممشى أبصرنا الخنزير ممدّداً على الأرض يسبح في دمه. ورأينا الأميرة والدتك تتنفّس الصعداء، وهي تهنّئ سوسترات على بادرته الكريمة الشجاعة، وتدعوه بسرور منقذها البطل الذي ارسلته الآلهة ليدافع عنها ويخلّصها من الوحش الضاري، وتَعِدُه بأن تزوّجه ابنتها. لدى سماع هذا النبأ، ظننت من واجبي أن أسارع لأطلعك عليه. وها أنا قد ابلغتك إياه كما جرى.

أريفيل : لا يسعك، يا كليتيداس، أن تبلغني خبراً أحلى من هذا.

كليتيداس : لذلك بادرت الى نقله اليك فوراً.

المشهد الثاني

اريستيون، وسوسترات، وأريفيل، وكليتيداس.

أريسْتيون : هذا، يا ابنتي، كل ما يمكننا أن نخبرك به. وها قد تكلمت الآلهة بأسرع ممّا كنا نتمنّاه، وها هو تعرُّضي للخطر قد دفعها الى إعلان رغبتها. وبما أنها تدخّلت في أمر اعلان تفضيلك، هل يسعك أن تخالفي نصّحها وتعارضي ميل قلبك وترفضي سوسترات الذي تفضلين في الواقع أن يكون هو زوجك ؟

أريفيل : فمن أيدي الآلهة، ومن يدك، يا سيدتي الوالدة، لا يسعني إلا قبول ما تتمنّونه لي من خير وبركة بهذا الزواج السعيد.

سوسْترات : يا للسماء، ما أبهج نعمتها الكريمة. كم أنا ممنون من تحقيق حلمي الجميل. انا سعيد جداً بما حصلت عليه أخيراً من حظوة وهناء.

المشهد الثالث

كليونيس، واريستيون، وسوسترات وأريفيل، وكليتيداس.

كليونيس : يا سيدتي، جئت أعلمك بأن أناكْزارْك قد اعتدى على هذا الأمير وذاك، بسبب الأمل الذي كانا يرجوان تحقيقه منذ زمن طويل. ونظراً الى الضجة التي قامت حول اعلان حدوث هذه المغامرة التي تعرّضت اليها أذاعا كلاهما نبأ حقدك عليه. وبين كلمة والردّ عليها حَمِيَ النقاش واتّسع الخلاف حتى نجم عنه بعض جراح دامية لا ندري ماذا سيعقبها. ها هما يقتربان.

المشهد الرابع

ايفيكرات، وتيموكليس، وكليونيس، واريستيون، وسوسترات، وأريفيل، وكليتيداس.

أريسْتيون : ايها الأميران، تصرفتما كلاكما بتسرّع أشد مما كان يُنْتَظر منكما. وإذا تمكّن أناكْزارْك في اهانتكما، فأنا ابادر الى الاقتصاص منه.

إيفيكْرات : وما هذا الاقتصاص، يا سيدتي ؟ وماذا كنتِ أنزلت به نظراً الى الاختيار الذي أقدمتِ عليه اخيراً.

أريسْتيون : ألم تخضعا كلاكما الى ما تقرره السماء والى تفضيل ابنتي في هذا الموضوع ؟

تيموكليس : نعم، يا سيدتي، لقد أزْعَنّا، ولكن ليس للتخلّي عنّا نحن الإثنين بصفتنا راغبَيْن في الاقتران بها.

أريسْتيون : واذا كنتما كلاكما رضيتما بحل تفضيلها أحدكما، فما بالكما الآن تتّفقان على رفض الواقع الذي دبّرته لها السماء بحكمة.

إيفيكْرات : نعم، يا سيدتي. هذا الحلّ المقبول هو الأنسب، لأنه قطع طريق الاحتجاج وإثارة الغيرة بين الأميرَيْن.

أريسْتيون : ايها الأمير، أنا لا أريد أن أخاصم أحداً. فأرجوك أن تكتم حزنك، وأن تتذكّر من فضلك بأن سوسترات. قد استحقّ ذلك بفضل ما قدّمه من خدمات لبلاد الاغريق، وهذا يكفي لإشاعة الرضى والوفاق بينكما.

إيفيكْرات : نعم، نعم، يا سيدتي، نحن نتذكّر. ولكن هل ترغبين في ان يصبح اميران صديقان من ألَدّ الأعداء أحدهما بالنسبة الى رفيقه.

تيموكليس : يا سيدتي، لا يصبر أحد مدة طويلة على الازدراء الذي قُوبلنا به.

أريسْتيون : أنا اتجاوز كل التهديدات وكل أحزان الحب الذي تحملتما وقرها. وبما أننا الآن ننوي التمتّع بروعة الحفلات التي تقام بهذه المناسبة، فهيّا بنا نحثّ الخطى للمشاركة بمباهج هذا اليوم الرائع !

الوصلة السادسة

احتفالات وألْعاب بهيجة.

يتحوّل المسرح الى قاعة فسيحة مزيّنة بالأعمدة، وفي أحد جوانبها منصّة يرتفع فوقها ستار. وفي الجانب الآخر مذبح لتقديم القرابين عليه. ستة رجال شبه عراة يمسك كل منهم بفأس يسندها الى كتفه وكأنه يريد أن يقتل الضحية، يدخلون من البوابة على انغام آلات موسيقية.

الكاهنة : أنشدوا، أيها المصلون، في ألْف مكان ومكان،
وابتهلوا للإله الذي تملأ فضائله الكيان
واجتازوا الأراضي والسماوات
مترنّمين بكلام رقيق النبرات
يشنّف الأذان ويطرب الكائنات.

يونانية : لهذا الاله الممتلئ قوة ارفعوا ابتهالاتكم.
لأنه يستحق كل اكرام وتبجيل.
يونانية أخرى : ليس اجمل على الأرض كلها
من عمل الخير لاستمرار عزّها
يونانية أخرى : في كل انحاء المسكونة، برّها وبحرها
لا نرى سوى البهجة يعمّ سحرها.
الجميع معاً : لنرفع الأصوات ونكرم ذكراه
وبالاناشيد نشكر عطاياه
ومن أعالي امجاده العديدة
سيصغي الى تسابيحنا المجيدة.
اول رقصة باليه : الرجال الستة يحملون فؤوسهم ويرقصون معاً، عارضين

سواعدهم المفتولة ثم ينسحبون من جانبي المسرح ليدخل ستة رجال يقفزون ويهزجون.

ثاني رقصة باليه : ستة رجال يقفزون على انغام الموسيقى وهم يمتطون جياداً من الخشب يحملها العديد من العبيد.

ثالث رقصة باليه : اربعة رجال يسوقون العبيد على وقع الموسيقى. وثمانية عشر عبداً يرقصون ويبدون فرحهم باسترداد حرّيتهم.

رابع رقصة باليه : اربع وأربعة رجال مسلّحون كالاغريق، يقومون برقصة حربية. ينفتح باب، ويدخل منه منادٍ مع ستة نافخين ابواق، وطبّال، وموسيقيين حاملين آلاتهم، ويعلنون بضجة صاخبة وصول الاله أبولون.

الجوقة : لنفتح جميعنا اعيننا
ولنبصر النور الساطع
الذي يشعّ في السماء
ما امجده وما أسماه.
اين هي الآلهة، أين العمالقة ؟
التي تبهر الأنظار بصورة فائقة.

يدخل ابولون على أصوات الأبواق وآلات الكمان، وهم يحملون على رؤوسهم ضفائر وأوراق غار متشابكة حول دائرة، وشمس ذهبية اللون وفوقها شعار ملكي كأنه غنيمة حرب. الشبان الستة يرقصون مع ابولون وهم يرفعون الفؤوس. ثم ينضمّ اليهم أربع نساء مسلّحات وبأيدهن صنوج، وأربعة رجال مسلحون يضربون الطبول. وبينما نافخو الأبواق الستة، وحاملو الصنوج، وكذلك ذابحو الضحايا، والكاهنة وجوقة الترنيم، وفرقة الموسيقى ترافقهم، يختلطون ذهاباً وإياباً ويحيون الحفلة بتقديمهم شتى التسليات.

خامس رقصة باليه : أبولون وستة شبان يُؤَدّون رقصة الختام.

(تمت)

أُمْفيْتْريُون

أشخاص المسرحية

مَركور :
الليل :
جوبيتار : بهيئة أمْفيتريون.
أمْفيتريون : قائد من مدينة طِيبة.
ألْكمان : زوجة أمْفيتريون.
كليانْتيس : مرافقة ألْكمان، وزوجة صُوزي.
صُوزي : خادم أمفيتريون.

اركاتيداس نوكْراتيس
بوليداس بوزيكليس } ضبّاط من طيبة.

تجري الاحداث في طيبة امام منزل أمْفيتريون.

مقدّمة

مرْكور (على غيمة) والليل (على عربة يجرها جوادان).

مرْكور : أَلَا قِفْ، ايها الليل الجميل، اذ اننا بحاجة اليك، ولي كلمة اقولها لك من قِبَل جوبيتار.

الليل : ها ها، ايها السيد جوبيتار. من كان يظن انك حاضر ها هنا في هذا الوضع المتباهي ؟

مرْكور : صدقني، كنت تعباً من كثرة مشاغلي. فكلّفني جوبيتار بأن انتظرك هنا، على هذه الغيمة الى حين قدومك.

الليل : هل تسخر مني، يا مركور ؟ وهل تعتقد أن التصريح بانك تِعب يليق بإله مثلك ؟

مرْكور : وهل الآلهة من حديد ؟

الليل : لكن لا بدّ لها من ان تحتفظ بمقام الأُلوهيّة. لذا عليك ان لا تستعمل بعض الكلمات التي تحطّ من صفاتك السامية، وتترك للبشر بعض التعابير غير اللائقة.

مرْكور : انت تتكلّم بما يرضيك. فهنا، بتصرّفك، مقعدٌ له دواليب يتدحرج عليها. كأنك لا تمتلك حصانَيْن يجران عربتك الى حيث تشاء ان تذهب. بينما انا لست محظوظاً نظيرك، لأن سوء طالعي كشاعر غير موهوب نظراً إلى ما أنا مضطر إلى اللجوء اليه من قوانين جائرة، عليّ كسواي من الآلهة أن أقنع بما يتسنى لي من وسائل الانتقال. فأسير على قدميّ كأيّ

رسول قروي، انا الذي، كما يعلم الجميع، اتنقّل في السماء وعلى الارض بما يتيسر لي من أمثال هذه الوسيلة لتحملني.

الليل : وماذا عساك تصنع ؟ فالشعراء يتصرّفون كما يحلو لهم. ولا أعتبر من الحماقة أن يرضوا بما قُسِم لهم، وإنْ ثار عنفوانهم على ما لا يلبّي رغبتهم، فيركبوا المطيّة التي يطالونها، وإلّا ساروا على أقدامهم.

مرْكور : لكن بداعي العجلة لا بدّ لهم من وسيلة أسرع.

الليل : دعنا من هذا النقاش العقيم، ولنتحدّث بما جئنا لمعالجته.

مرْكور : كما قلت لك : أرسلني اليك جوبيتار، وهو يريد ان يسوّد صفحتك، لانه يميل الى سلوك درب المغامرة في سبيل حبٍ إستهواه. وأعتقد ان تصرّفه هذا ليس بجديد عليك. ما دام في أغلب الاحيان يُهمل أمور السماء لأجل ما يغريه من مصالح الارض. فهو يحبّ ان يساير البشر للتمتّع بروائع أهل الدنيا. ولا يصعب عليه، اكراماً لسواد عيني الصبية ألْكْمان، ان يواجه الشدائد غير هيّاب غضبِ زوجها أمْفيتريون، قائد جيوش طيبة. فينحدر الى مستوى بني آدم ليخفف من قلقه ووحشته، آملاً ان يتنعّم بحلو حديثها وسحر جاذبيّتها. متمنّياً ان يحصل على ما يَحُلّ للازواج في حظيرة الزفاف من حبٍ وعطف ووصال. وهذا ما دعا جوبيتار لأن يلجأ الى مساعدتك، لحلّ مشكلته ومعاونته على الوصول بسلام الى امتلاك ما يعزّ عليه إنْ لقيه جهراً في إقامة السدود يُعامَل كزوج محبوب يتذوّق أطايب الهوى والحنان.

الليل : انا معجب بجوبيتار، ولا أفهم لماذا يُضطر الى التستّر خلف هذا التنكُّر.

مرْكور : لأنه يريد ان لا يحرم نفسه مذاق الملذات. فإنه بصفته كإله لا يسوغ له ان ينحدر الى مصافّ البشر، ويضحّي بهيبته ووقاره. انا لا أجاريه في هذه الطريقة الحمقاء القائمة على الاستهتار بعظمة السماء، والتدنّي الى عواطف الناس، والتمرّغ في أحضان الهوى، والتقلّي على لهيب شهواته. فيضرب عرض الحائط بكل اخلاقه العالية، وينزل من علياء أمجاده الى قعر وهدة الشقاء في جحيم الغرام، لا لشيء إلّا لإرضاء نزواته واستساغة ما يهفو اليه قلبه الولهان. وهذا حقّاً لا يليق بمقام جوبيتار.

الليل : من الجائز والمقبول ان نرى البشر يسعون وراء هذه الاشواق التي تُسعد الفؤاد وتشفي جراح الهيام بعد الصدّ والبعاد. رغم ما يذوقه العشّاق من الآلام، وما يُدمي قلوبهم من اشواك الجفاء. مع أن طبيعة الانسان لا تأباها، لكن سموّ الآلهة يجب ان يحول دون انحدار جوبيتار الى مصافّ الثور او الافعى او البجعة او غيرها، ولا أحبّذ سلوك من هو فوق الدنايا، أن يتدحرج الى اسفل دركات الشهوات لجنْيِ الملذات.

مرْكور : دع المنتقدين يصرّحون بما يشاؤون. فان لكل جديد رهجة وحلاوة مستعذبة. وهذا الاله جوبيتار يَعْلَم ما يصنع، اكثر من سواه. وهو بعيد كل البعد عن التشبّه بما ذكرت من البهائم التي لا تدرك ولا تَعْقُل.

الليل : لنعُدْ إلى ما نحن الآن هنا بصدده. فإنْ كانت رغبة هذا الإله جوبيتار أنْ يطفئَ لظى حنينه بما يُسعده من تدبير الخطط لبلوغ مرامه، فأنا لا أَحَبَّ عليّ من مؤازرته، ومن عمل كل ما بوسعي لإرضائه.

مرْكور : ارجوك ان تخفّق سير جيادك، لكي نتوصّل الى تلبية ما يصبو اليه من إرواء لواعج حبّه وهيامه، في مثل هذه الليلة الحالمة الصافية التي تساعد على تذوّق المحبين ما يتوقون اليه من وصْلٍ وهناء، بدل عذاب الهجر والحرمان. فها هو الفجر قد أخذ يبزغ ويملأ الدنيا بنوره المشرق. فهاتِ ما عندك من حلول كهذه المشكلة الشائكة.

الليل : لا بد من أن يكون جوبيتار على أتمّ الإستعداد لعمل ما يلزم بطُرُقٍ شريفة مستقيمة، انا متأهّب كل التأهّب لبذْل المستحيل في سبيل تحقيقها.

مرْكور : من أجل إلهة صبيّة، ليس من صعوبة ولا من مذلّة تقف عقبةً كأداء تحول دون تحقيق أمانيها. فإنّ صغار النفوس لا يتمتّعون بالشجاعة والإقدام الذي يتحلّى به أرباب العزائم والهمم الشمّاء. فهات ما عندك بكل بساطة ووضوح.

الليل : في هذا الموضوع، أنت أخبر منّي، ولكي أبذل اقصى جهودي ارجو منك أن تمدّني بأفضل ما تراه مناسباً من أنوار ذهنك اللامع.

مرْكور : ها نحن على اتّفاق تامّ، يا ايها الليل. فأرجوك ان تتمهّل وتتصبّر عليّ ريثما تزول الظروف المناوئة كي يصفو لنا الجوّ ونتكلّم بصراحة

ووضوح، ويكشف كلٌّ منّا عن نواياه وإمكاناته.

الليل : أجل، دعنا من الغموض والمناقضات، ولنتحدّث بواقع الحال، وبدون إغفال أي محذور. فما أحلى المصارحة والمجاملة بعيداً عن المراوغة وسوء النيّة.

مرْكور : والآن الوداع. عليّ ان أذهب الى حيث تتوضّح رسالتي في خدمة الحق بدون مخادعة خادم امفيتريون.

الليل : انا في هذه الديار، بعد انبلاج انوار الصباح أندمج بسواد العتمة، ولا يبقى لي هنا أي أثر.

مرْكور : اذاً تصبح على خير، ايها الليل.

الليل : الوداع، يا مركور.

(ينزل مركور من الغيمة، ويمضي الليل على متْن عربته).

الفصل الاوّل

المشهد الاول

صوزي.

صوزي : من القادم ؟ خوفي يزداد، يا سادة، مع اني صديق كل الناس. ما هذه الجسارة التي ليس لها مثيل ؟ من يمشي هنا في هذه الساعة ؟ هل يريد مولاي الذي جمع المجد من أطرافه ان يفاجئني بلعبة خبيثة ؟ اذا أراد أن يدبّر مكيدة لصديق ودود، ولكي يطلب مني ان اعلن رجوعه، ألم يكن باستطاعته ان ينتظر طلوع النهار ؟ ما لي، انا صوزي، أخضع لهذه العبودية، واستسلم الى مصيري المشؤوم ؟ فالكبار والصغار، حسب طبيعتهم البشرية، يفرضون على غيرهم ان يكون ضحيّة أهوائهم ليلاً ونهاراً، لا يبالون بأحد ولا يشفقون على إنسان. ويريدون حال إصدار أوامرهم ان يُطاعوا فوراً. ها قد مضت عليّ عشرون سنة، وانا في الوظيفة لا نصيب لي إلّا خدمة سواي، أنفّذ مآرب الآخرين بدون أن ينوبني إلا اللوم والزجر. بينما في الواقع يحقّ لي على ما أظنّ، ان انال بعض التقدير على ما أبذله من الجهد في سبيل إرضائهم، وهم لا يهمّهم سوى مصالحهم وسعادتهم، ولا يكترث أحدهم بما لي انا من حقوق نظير سائر البشر. ولأن من طبعي ان اكون أميناً وأليفاً يستغلّون إمكاناتي ويمتهنون كرامتي، ولا يبالون إلاّ بالوصول الى غاياتهم التي لا تترفّع في أغلب الاحيان عن أحطّ الدنايا.

انا في نظر ألْكْمان لست سوى جندي بسيط عليّ الطاعة وخوض أشرس المعارك للتغلّب على الأخصام. ولكن كيف العمل اذا كان ذلك ليس بإمكاني ؟ ليت حظي يسعفني لأخدم جماعة لا تتبجّح بخوض المعارك وإحراز أروع الانتصارات وهم يشاهدون من بعيد احتدام القتال بعين الناظر المتخوّف. عليّ اذاً لكي اقوم بدوري خير قيام ان اكون حَذِراً أتجنّب المخاطر بقدر المستطاع. ها هي غرفة ألْكْمان التي يجب عليّ ان أمضي اليها، وأن أكلّمها على ضوء هذا الفانوس. (أوّلاً يضع الفانوس على الارض، ثم يوجّه اليها هذه العبارات، عن بُعْد، فيطرح السؤال ويجيب نفسه) :

ـــ يا سيدتي، مولاي أمْفيتريون، زوجك ... (بصوت خافت) « هذه افتتاحية لا بأس بها ». (ثم بصوت طبيعي) : قد اختارتني الأقدار يا مولاتي الجميلة، من بين الجميع، كي أكون أنا الرسول لأبشّرك بفوز قرينك، وبما يخالج فؤاده من أشواق لمشاهدتك.

ـــ كم انا مسرور، يا صوزي المسكين، برؤيتك الآن، وكم يغمرني الفرح لسماع أخبار شخص عزيز على قلبي.

ـــ يا سيدتي، هذا شرف عظيم تولينني إياه، ويُخيّل اليّ أنّ حُسْن الطالع يحسدني على ما تغدقينه عليّ من ألْطافك. (بصوت خافت) « هذا جواب مُرْضٍ وفي محلّه ... ».

ـــ ألا أخبرني كيف حال أمْفيتريون ؟

ـــ يا سيدتي، هو رجل شجاع، وقد كلّله الظفر بغار المجد. (بصوت خافت). « هذا مديح موفّق أوْردْته في حينه ».

ـــ قُلْ لي، متى ينوي الرجوع اليّ ليُدخل الاطمئنان والبهجة الى فؤادي ؟

ـــ سيعود حتماً، يا مولاتي، متى سمحت له الظروف بالرجوع اليك، كما يتمنّى من كل جوارح قلبه المشتاق.

ـــ لكن، قُلْ لي، بأي حال من الاحوال أبرزته الحرب ؟ وماذا يفعل الآن ؟ ألا قُلْ لي، ماذا يشغله ليظلّ حتى هذه الساعة بعيداً عني ؟ أخبرني ماذا يقول بخصوصي ؟

ــ هو يصرّح بأقلّ مما يفعل، يا سيدتي، وبنوع خاصّ يجعل الأعداء يرتجفون خوفاً منه. (بصوت خافت) « تبّا لي. من أين آتي بكلّ هذه اللياقات والمجاملات ؟ »

ــ ما هو حال المتمرّدين ؟ أعلمني، عجّلْ واخبْرني.

ــ لم يتمكنوا من الصمود أمامه، يا مولاتي، رغم ما بذلوه من جهد جهيد. لاننا قطّعناهم إرباً إرباً. وانزلنا الهزيمة بزعيمهم ميسْبْتيريلاس واذقناه شرّ ميتة، وحاصرنا تيلاب، وفي المرفأ جعلنا كل ما يحويه يشيد ببسالتنا وبراعتنا في القتال.

ــ ما هذا النجاح الباهر، أيتها الآلهة ؟ هذا يكاد لا يُصدَّق. هيّا اسردْ لي مفصّلاً كل ما جرى، يا صوزي. فانّ حدثاً مثل هذا نادر الوقوع لأي كان.

ــ انا أُحبّذ ذلك من كل قلبي، ولا أتبجّح بما يعود إليّ من الفضل، انا الجدير برواية ما أقدمنا عليه من شجاعة، وما جنيناه من غار المجد. تصوّري يا سيدتي، ان تيلاب هي في تلك الجهات. (يشير صوزي بيده الى المكان والى الارض) هي مدينة عامرة في الحقيقة كبيرة نظير طيبة. النهر يجري هنا، وهناك جنود تروح في المعسكر وتجيء في مجال واسع بهذا المقدار. وأعداؤنا منتشرون في المرتفعات يترقّبون. وهنا مغاويرنا الشجعان، والى جانبهم صفوف الفرسان على متن خيولهم المطهّمة، فرفع الجميع ابتهالاتهم الى الآلهة يلتمسون منهم العون والظفر. وصدرت الاوامر بالهجوم. ولدى اول إشارة كرّوا على الأعداء مهاجمين على أرجلهم وعلى جيادهم. فاختلط الحابل بالنابل، وتصادمت الأسلحة وتجاوبت قعقعتها، وتدحرجت الرؤوس وتجندلت الاجساد على الارض أشلاء مبعثرة. فما كان من الضابط كريّون إلّا أن أمر بشنّ الغارة تلو الغارة على الاعداء الواجفين. (هنا يُسْمَع ضجيج). فمن تتوقّعين ان يصول ويجول غير مقاتلينا البواسل الذين أرعدوا فرائص الاعداء بصليل سيوفهم الوامضة البتّارة ؟

المشهد الثاني

مركور وصوزي.

مرْكور (**بهيئة صوزي**) : بهذا الوجه الذي يشبهه، تعالوا نطرد هذا المحدِّث الذي سيُبَلْبِل بكلامه البغيض أحلى خواطر العشّاق عند اللقاء.
صوزي (**بدون ان يرى مركور**) : لقد إطمأنّ قلبي قليلاً، وأعتقد أنْ ليس في الامر ما يدعو الى القلق والى خشية وقوع ما لا تُحمَد عُقْباه. سأدخل بيتي لأواصل حديثي.
مرْكور (**على حدة**): لا بدّ من ان تكون أقوى مني أنا مركور، كي يتسنى لك ان تحول دون نيلي مبتغاي.
صوزي (**بدون ان يرى مركور**) : هذه الليلة بطولها، تبدو لي غير مألوفة. فحتماً، وأنا في طريقي الى هنا، ظنَّ سيدي المساء، أنه صار صباحاً مُشرقاً. وها هو الإله فينوس، رمز الشمس، يغفو وقد تجرّع من الخمرة كؤوساً عديدة مترعة تلو الكؤوس، فاختلط عليه الأمر، وهو في حالة من السكْر غير محمودة العاقبة.
مرْكور (**على حِدَة**) : كيف يسمح هذا الغبي لنفسه ان يتكلّم بهذه اللجهة على لسان الآلهة ؟ لا بدّ له من أن يُعاقب على استهتاره، ولا بد لي من ان أفصل اسمه عن شبيهه من سائر الاشخاص.
صوزي (**يرى مركور**) : وربّي، انا محقّ في ما توقّعتُ. وها هوذا الفتى يكاد يتجاهل مقدرتي، ويعتبرني من المخلوقات الضعيفة. سأُريه ما سيكون من أمري، وأُثْبت له اني هنا أصيح من البيضة كالديك الفصيح. (يغنّي. وعندما يتكلّم مركور، يخفت صوته رويداً رويداً).
مرْكور : من هو هذا الوقح الذي يرفع صوته بالغناء، ويزعجني بنقيقه البغيض كالضفادع القذرة ؟ بدون ان يخشى مدّ يدي إلى سيفي البّراق وإشهاره في وجهه القبيح الكامد.
صوزي (**على حِدَة**) : هذا الرجل لا يحب الموسيقى تباتاً.
مرْكور : منذ اكثر من أسبوع، قابلت رجلاً، تمنّيت ان أطحن عظامه لأن

فضيلتي تكره أن أرتاح بدون ان أعيده الى حدود جبانته وأجعله يلهث قبل مصادمتي.

صوزي (**على حدة**) : ليحمل ابليس هذا الرجل اللعين الى الجحيم. فأنا لا أطيق رؤيته. لكن لماذا أُبصر فرائصه ترتعد هكذا ؟ هل في جوفه من الرعب اكثر مما في خنصري من شجاعة وإقدام ؟ اجل، أجل. انا لا اقبل بأن يظنني الناس صغيراً كالعصفور، وأني لست قادراً على إعلان التهديد بدون ان أقرن وعيدي بالتنفيذ. هيّا، لا بدّ لي من الإستبسال، ومن الكرّ عليه كالاسد الهدّار. فهو وحيد، وانا اقوى منه. ومولاي لا يجهل اني تعلّمتُ منه ان اكون الغالب مثله على الدوام.

مرْكور : من القادم الى هنا ؟

صوزي : انا.

مرْكور : ومن انت ؟

صوزي : أنا، انا. (على حِدَة) : لا بد لي من أن أتشجّع.

مرْكور : ما هي صفاتك، يا هذا ؟ أعلمني.

صوزي : انا رجل غير هياب، وأجرؤ على إرسال كلامي مهما كان حولي من أهوال.

مرْكور : هل انت سيد أم خادم ؟

صوزي : حسب ما اشتهي أن أكون.

مرْكور : الى أين تقودك اقدامك ؟

صوزي : نحو مصيري المحتوم.

مرْكور : هذا لا يعجبني منك مطلقاً.

صوزي : انا مسرور بذلك.

مرْكور : بالحلم او بالغضب، أودّ أن أعرف من انت، ايها الغبي الوقح. ماذا تفعل هنا ؟ ولماذا جئتَ قبل بزوغ نور النهار ؟ الى اين انت ذاهب ؟ وماذا تقصد أن تعمل ؟

صوزي : أنا أفعل الخير والشرّ مداورةً. وآتي الى هنا وأمضي الى هناك، حسب اوامر سيدي.

مرْكور : اراك تداعبني وتميل الى حسم الامور حيالي، كأنك شخصية بارزة. بينما أنا يسرّني، لكي تعرف من أنا، أن أصفعك على خدّك بكفّ يميني النشيطة.
صوزي : هل توجّه كلامك هذا اليّ أنا ؟
مرْكور : نعم، إليك انت. وها هي هدّيتي. (يصفعه بحدّة).
صوزي : ها، ها. ما أغباك وما أشدّ هوسك.
مرْكور : هذا ليس إلّا مزاحاً، ورداً خجولاً على تخطّيك الحدود إزائي.
صوزي : وربّي، لا أريد ان اقول لك سوى انك لا توفّر صفعاتك.
مرْكور : اكرّر لك : هذه ليست في الواقع إلّا مقدّمة لما سينبئك حتماً من أنا.
صوزي : لو كنت أنا سريع الحركة نظيرك، لكنّا كلانا اجترحنا المعجزات.
مرْكور : هذا نموذج لا يُذكر بالنسبة الى واقع حالي الذي لا تزال تجهله. لكن، قبل المضيّ الى أبعد مما وصلنا اليه، لِنَعُدْ الى موضوعنا ونواصلْ تحرّينا.
صوزي : اودّ من جهتي ان أنسحب من هذه الورطة. (يهمّ بالذهاب).
مرْكور(يوقف صوزي) : إلى أين أنت ذاهب ؟
صوزي : وما همّك ؟ لماذا تسألني ؟
مرْكور : أصرّ على أن اعرف الى اين انت ماضٍ.
صوزي : لا تحاولْ فتح هذا الباب، لئلا تسمع ما لا يرضيك. لماذا تؤخّرني ؟
مرْكور : لا تتظاهر بالجسارة والبطولة. وإلّا امطرتك سيلاً من الضربات الموجعة.
صوزي : ماذا تقول ؟ أتريد بتهديدك أن تمنعني من دخول بيتي ؟
مرْكور : هل هو فعلاً بيتك ؟
صوزي : أجل بيتي.
مرْكور : يا لك من دجّال. أو تصرّ على أن هذا بيتك ؟
صوزي : أجل، أجل، هذا بيتي. أو ليس أمْفيتريون مولاي ؟
مرْكور : وما هي حجّتك في ذلك ؟
صوزي : انا خادمه.
مرْكور : انت ؟

صوزي : نعم أنا.

مرْكور : خادمه ؟

صوزي : بدون شكّ.

مرْكور : خادم أمْفيتريون ؟

صوزي : نعم، أمفيتريون سيدي.

مرْكور : وما اسمك ؟

صوزي : اسمي صوزي.

مرْكور : اسمع. هل تعلم اني اليوم أنوي ان اقتلك بهذه اليد ؟

صوزي : ولماذا ؟ ماذا دهاك حتى تُقْدم على جرم كهذا ؟

مرْكور : أَلَا قُلْ لي من أوحى اليك بهذه الجسارة ؟ وكيف تدّعي أن اسمك صوزي ؟

صوزي : انا لا أدَّعي هذا الاسم الذي عُرِفتُ به منذ نعومة أظفاري.

مرْكور : ما اكذبك، أيها الخسيس المتهوّر، وأنت تصرّ على أنك تُدعى صوزي.

صوزي : نعم، نعم. أصرّ ولا أتراجع عن إلْحاحي. لاني بالحقيقة أُدْعى صوزي، ولا يسعني أن أنكر اسمي أو أبدّله. بحق الآلهة لا حيلة لي لنفي الواقع الاكيد.

مرْكور (**ينهال على صوزي بالضرب**) : جزاؤك على هذه الوقاحة أن أضربك بالسوط ألْف جَلْدة.

صوزي : خلّصوني منه، يا أصحاب، أرجوكم ان تنجّوني من شراسته.

مرْكور : كيف تستغيث، يا خسيس، وترفع صوتك بالصياح هكذا عالياً ؟

صوزي : انت تريد أن تُنزل بي ألْف ضربة، وتريد مني أن لا أصرخ ؟.

مرْكور : نعم، ستنهال يدي عليك بالضرب كلما ...

صوزي : عملك غير مفيد. هل تظن انك ستحملني هكذا على مسايرتك ؟ أنت تتهمني بفقدان الشجاعة كي تتصرّف هكذا لتُرهبني وتُخضعني. ان انتهازك فرصة ما تعتقده بسالة من قِبَلك، ليس في الحقيقة إلّا جبانة تستحقّ

عليها أن يضربك رجل ظريف مثلي، كما تستحقّ كل العتب واللوم بالنسبة الى إعتدائك عليّ انا البريء المسالم.

مرْكور : هل تتشبّث بإصرارك على الإعلان انك انت صوزي ؟

صوزي : ان ضرباتك لا حول لها لتجعلني أتبدّل وأصبح غير ما أنا في الواقع. امّا التغيير الذي يمكنك ان تُحدثه بي فهو أن تحّولني من صوزي المحبوب الى صوزي المضروب.

مرْكور (**يهدّد صوزي**) : انت تستحق ألْف جَلْدة موجعة على هذه الوقاحة الجديدة.

صوزي : ارجوك ان تكفّ عن ضربي وأن تمنحني هدنة.

مرْكور : عليك ان تمنح تبجّحك هدنة دائمة.

صوزي : سأفعل ما يحلو لك، والزم التبصّر والصمت، لان النزاع بيننا غير متكافئ بتاتاً.

مرْكور : هل تصرّ، ايها الأحمق، على انك صوزي ؟

صوزي : يؤسفني أن أُصبح كما تريد. فإن يدك قد جعلتني طوع بنانك، كأنك سيدي المطلق.

مرْكور : في الماضي كان إسمك صوزي، كما كنت تدَّعي.

صوزي : هذا كان صحيحاً الى أن بانتْ لي الحقيقة التي كشفها لي قضيبك الموجع، واقنعني بأني كنت مخطئاً.

مرْكور : اعلم أيضاً أني أنا صوزي، وكل أهالي مدينة طيبة تشهد بأن أمفيتريون ليس له خادم سواي انا.

صوزي : هل انت صوزي ؟

مرْكور : نعم انا صوزي. واذا أراد أحد أن يخالف قراري فإنه سيلقى ما لقيته انت مني.

صوزي (**على حدة**) : ايتها السماء، هل قُضي عليّ ان انكر ذاتي، وأن يُمْلي هذا اللئيم ارادته عليّ ويسرق مني اسمي ؟ ما أسعده، لاني ابديت جبناً بعدم التصدّي له، وإلّا كان الهلاك نصيبي....

مرْكور : اراك تغمغم بين اسنانك عبارات لا ترضيني.

صوزي : لا، لا. بحقّ الآلهة، أرجوك أن تمنحني فرصة لأخاطبك بصراحة.
مرْكور : هيّا تكلّمْ.
صوزي : ارجوك ان تعدني بأن لا تضربني بعد الآن، وأن تُديم هذه الهدنة.
مرْكور : لقد منحتك ما تلتمسه مني.
صوزي : قلْ لي بربّك، من زجّك في هذه المؤامرة ؟ وماذا يفيدك انتحالك اسمي ؟ وهل يسعك ان تحقّق ما يوسوسه لك الشيطان من ان أكون غير أنا، أي أن لا أُدعى صوزي ؟
مرْكور (**يرفع القضيب في وجه صوزي مهدّداً**) : كيف تتكلّم هكذا ؟
صوزي : مهلك، ألم تعدني بتمديد الهدنة ؟
مرْكور : ماذا تقول ايها الجبان الخسيس المنحطّ.
صوزي : يمكنك ان تكيل لي سيلاً من الشتائم كما تشاء. فما هي إلاّ جراح معنوية خفيفة الوطأة، لا تزعجني كثيراً.
مرْكور : ماذا تعني ؟ هل تريد أن تظلّ صوزي ؟
صوزي : هذه في الحقيقة قصة طريفة ...
مرْكور : أُصمت، يا وقح، وإلاّ نقضت الهدنة، وعدلتُ عن وعدي.
صوزي : مهما كان الحال، لا يسعني ان أزول من الوجود. فحديث الألم بعيد عن واقع المظاهر. هل تستطيع فعلاً أن تُلغي وجودي ؟ هل هذا ممكن ؟ هل يتسنّى لنا ان نكذّب الحقيقة ؟ هل أنا في حلم ؟ هل انا ضحية خوارق تجعلني اعتقد اني نائم وفاقد الوعي ؟ ألم يطلب مني مولاي امفيتريون أن آتي الى هذا المكان وأقابل زوجته ألْكْمان ؟ أو لم يكلّفني بأن أُثني على أخلاقها، وأن أصف لها شعلة حبه وشوقه اليها، وأن أسرد لها سير المعركة التي انتصر فيها على أعدائه ؟ أو لم اكن ممسكاً بفانوس ؟ أو لم أقترب من بيته ؟ أو لم يبدر مني خوف الرعديد إزاء من فرض علي مشيئته استبداداً ؟ أو لم تصبّ على ظهري جام غضبك ضربات بالقضيب القاسي ؟ أرجوك أن تكفّ عن إهانتي وإذلالي، وان لا تجعل البؤس والشقاء من نصيبي. وان لا تمنعني عن تأدية مهمّتي.
مرْكور : كفى. وإلاّ أكملت صبّ جام غضبي على ظهرك مزيداً من ضربات

قضيبي. لان كل ما نطقت به من إفتراء ونفاق موجّه الى شخصي. فأنا من إنتدبني أمفيتريون لكي آتي وأقابل زوجته ألْكمان، انا القادم من المرفأ الفارسي بسرعة لأزفّ اليها بشرى انتصاره الباهر، وما أجترحه زنده الجبّار من خوارق المعجزات، وقد أنزل باعدائه الكوارث الرهيبة. فأنا أُدعَى صوزي، انا ابن الراعي الشريف « ديف شقيق أرباج » الذي مات في بلد بعيد، وزوج كليانتيس العزيزة، فأثار غضبي بمزاجه الغريب الاطوار، وهو في طيبة حين انهالت عليه مصيبة بدون ان يتململ او يشتكي، وفي الماضي طُعِنَ من الخلف لأنه رجل خير وسلام.

صوزي (**بصوت خافت، على حدة**) : أجده مصيباً بهذه الاقوال، إلّا اذا كان حقيقةً هو صوزي، لا انا. إذ لا سبيل الى التثبّت من صحة إدّعائه. وانا بذاتي أكاد أصدّق قوله. في الواقع أرى انه يشبهني بقدّه وملامحه وتصرّفه. ولكي أُميط اللثام عن الغموض الذي يلفّه (بصوت عالٍ) بين كل الغنائم التي انتزعناها من أعدائنا، ما هي حصّة أمْفيتريون، يا ترى ؟

مرْكور : خمس ماسات كبيرة منتظمة في عقدةٍ فريدة تليق بزعيم شهير مثله، نظراً الى ما يبدو على من صنعه من براعة ومهارة.

صوزي : ولمن يُخبّئ هذه الهديّة الثمينة ؟

مرْكور : لزوجته التي يحب أن يطوّق به خصرها ويمتّع انظاره بجمالها.

صوزي : أين توجد الآن هذه العقدة وماساتها النادرة ؟

مرْكور : في صندوق مغلق ممهور بختم مولاي.

صوزي (**بصوت خافت، على حدة**) : ما اكذبه في كل ما ابتدعه من أقوال زائفة، أنا اوّل من يشكّ بروايته هذه. هو هنا في هذه اللحظة الى جانبي قد انتحل اسمي صوزي. وما ضرّه إن إخترع مثل هذا الادّعاء الباطل في أيّ مكان آخر ؟ على كل حال، انا لست غافياً ولا فاقد الوعي. لأني أقرص لحمي واحسّ بالوجع. فأنّى لي أن اصدّقه، وانا المس بهتانه لمساً ؟ ألعلّني أنا المخطئ في هذه القضية الخاسرة بدون أن أعلم أن ذلك هو عين الصواب. علّي من هذه الناحية ان أُباغته وأدهشه، ومن ثمّ أذهله وافتّل مقصده. وسنرى الآن ما سيكون من امره. (بصوت عالٍ) عندما كنّا مشتبكين

بالأيدي، ماذا كنتَ تفعل في مخيّمنا ؟ أين ذهبت وحيداً ؟ وماذا أكلت ؟

مرْكور : فخذاً مطبوخاً ...

صوزي (بصوت خافت، على حدة) ها هوذا.

مرْكور : نبشته الآن، وقطعت منه شطيرتَيْن لذيذتَيْن وتذوّقت نكهتهما، وقد شربت جرعةً من الخمرة الفاخرة أسال شذاها لعابي، بعد ان متّعت نظري بروعة لونها المشعشع، فتناولت قدحاً نخب جنودنا الابطال.

صوزي (بصوت خافت، على حدة) : هذا برهان لا مثيل له يؤيّد اقواله، ولا سبيل الى نفيه، لو لم يكن إشعاع الخمرة في القنينة يبهج النظر والقلب معاً. (بصوت عالٍ) لا يسعني ان انكر هذه الدلائل الحاسمة. أنت تؤكّد أنك تُدعى صوزي، وانا أودّ ان اصدّقك. فبربّك أخبرني اذاً أنا من اكون ؟ إذْ لا بدّ من ان اكون أحداً، بما اني لا أزال على قيد الحياة.

مرْكور : عندما أكفّ عن ان اكون صوزي لن أخالفك إن عُدْتَ انت وصرت صوزي مجدّداً. فلك ان تختار ما يروق لك والحالة هذه. لكن، ما دمت انا صوزي، فما عليك إلّا الامتثال الى رغبتي، وإلّا لن تلومنَّ سوى نفسك.

صوزي : كل هذا التبديل يضعني على المحكّ، فلا أقوى على البتّ في امري، وإلّا انا حسب مشيئتك، مع أني أقصد أن ادخل الى البيت وابلغ مولاتي رسالتي.

مرْكور : يبدو عليك انك تذوّقت تماماً طعم القضيب، أيها الفتى.

صوزي (بينما يضربه مركور) : ما هذا التصرّف الارعن. اراه يمعن في ضربي ضرباً مبرّحاً أشدّ من السابق، فأحسّ بأن ظهري سيؤلمني هذه المرة طوال شهر على الأقلّ. ما عليّ اذاً إلّا ان ابتعد عن هذا الشيطان الرجيم، وأعود إلى المرفأ. فكُوني بعوني، أيتها السماء، لأقوم بمهمتي خير قيام (يخرج).

مرْكور (وحده) : أخيراً تمكّنتُ من حمله على الهرب. وبهذه المعاملة القاسية نجحت في دفعه الى الفرار. ولكن، ها هوذا جوبيتار يرافق بأدبٍ جمٍّ صبيّتنا العاشقة والمعشوقة ألْكمان.

المشهد الثالث

جوبيتار وألْكْمان وكليانتيس ومركور.

جوبيتار : لا تمنعي المشاعل المضاءة من الاقتراب الينا، فأنها تغدق عليّ لذة رؤياك. غير انه هنا يستطيع ان يكتشف مجيئي الذي يجمل بي ان اكتمه. يا حبيبتي، ثقي بأن كل هذا الصفاء الفائق متوفّر لأن أسلحتنا منحتنا المجد الاثيل الذي تنتزعه منّي الظروف لتضيفه الى سحر عينيك. وانا راضٍ بهذا الخضوع لأنعم بمزاياك النادرة وصفاتك السامية. فلماذا تلومينني إن بتّ اسير أنوثتك وهواك. كان حبّي يضايقني بسبب اتخاذي هذه التدابير الواقية. وكنت مرتبطاً بأمجاد جهادنا وبواجبي الذي يدعوني الى رفع رايتنا عاليةً والى التمتّع بكنوز قلبك الولهان. فان فُزْت به فلأني أريد امتلاكه بكل ما اوتيت من شعور مرهف، وأنا موقن بانك وحدك تمتلكينه.
ألْكْمان : انا افهم ان يستحق زوجي امفيتريون كل ما يتألّق على جبينه العالي من عزّ ونصر ومجد، وَسَمَتْه بها انجازاته الرائعة في ساحة القتال والبسالة والهيمنة. لكن، عندما ألاحظ ان هذه العناصر الفريدة تبعد عني من اصطفاه فؤادي وذاب في هواه، لا يسعني ان أحرم نفسي رقّة حنوّه وأن لا اتمنى له إلّا المزيد من السعادة والسؤدد والازدهار، وانا أدرك ايضاً كيف اختاره أهالي طيبة تقديراً لصفاته الحميدة، قائداً وزعيماً، وخصّوه بكل تقديرهم واعجابهم وتبجيلهم. ولكن، إن داهمه الحزن يوماً يا للأسف، هل أُلام أنا على نبذ أية فكرة رهيبة لا أجد في موضوعها عزاءً اذا عبست الايام في وجهه الصبوح المشرق. فان شوكة اذا هدّدته لا توازيها كل الرفاهية التي تليق بشخصه الكريم، وانا اخشى ان تحاول الايام وتعبث بمصير من يعشقه قلبي الهائم في حبّه.
جوبيتار : انا لا ارى فيك إلّا كل ما يزيد الحماس في صدري، لان ما تبصره عيناي يضاعف لهيب ولهي، فأعترف بوقوعي اسيرة سحر عينيك. واذا تجرأت على البوح لك بذلك، فهناك أمر هامّ يزعجني، ألا وهو حملي على البوح بسرّ عواطفي يا عزيزتي ألْكْمان. فأنا لا آمل إلّا أن أحظى

برضاكِ، وإنْ تساهلتُ أنا في تتميم واجباتي فذلك يكون اكراماً لعينيك النجلاوَيْن، لأني اتشبّث بحفظ الامانة لزوجك الغالي الذي لا أبخل بأعز ما املك للاحتفاظ بتقديره ونيل رضاه.

ألْكمان : ولزوجي هذا أنا أحفظ كل حيويّتي ومحبتي، ولا افهم كيف لا تتورّع عن التلميح لي بهواك، وانت صديقه الحميم الغيور على مصالحه.

جوبيتار : إن ما أُكنُّه لك من محبة واخلاص يفوق كل ما يحفظه لك زوجك. وأنت لا تدرين اني في أفضل اوقاتي كم اودّ ان أخصّك بمودتي وان أحيطك بكل ما في الكون من توقير واكرام، وان أُدخل السعادة الى قلبك المعبود فلا تسألي عن دوافعي الى ذلك وأنا اسير الحاظك الفاتنة يا عزيزتي الكمان. وفيما انت تترقّبين زوجك لا تتعجّبي إن رأيتني أنحني عند قدميك وأهديك اخلص خلجات هيامي. فأنا امامك اشعر بان ذكرى زوجك تزعجني، ولكني بصفتي اسير هواك، أغار كثيراً عليك من النسيم العليل إن داعب خصل شعرك. وكم أتمنى وألْتمس أن تبادليني ما أكنّه لك من عواطفي واشواقي. وإن لم تربطني بك مواثيق الزواج تريني أجابه الأهوال في سبيل إسعادك. فلا تصدّي هوايَ ولا تجرحي فؤادي. سيظلّ زوجك سياج فضيلتك. ولكن لا تضنّي بوصلك عليّ لاني أحبك اكثر من نفسي وأستحقّ كل حنانك وهيامك واخلاصك.

ألْكمان : اكراماً لامفيتريون، أنا لا أريد الاستماع إلى هذه العبارات، لأني اخشى ان لا تكون دليل رصانة وأمانة، اذا ما بلغت آذان من أدين له بالولاء والوفاء.

جوبيتار : هذا حديث معقول، يا ألْكمان، تماماً كما تتوقّعين. لكن مكوثي الوجيز بقربك لن يلطّخ سمعتنا. وانا منذ عودتي من المرفأ أحسست باني اكون اكثر جرماً اذا لم أتّصل بك. فالوداع، لان واجبي يحتّم عليّ ان لا اكون غريباً عن كل عاطفة اودّ ان تحفظيها في صدرك. على كل حال يا عزيزتي ألْكمان، عندما ترين زوجك، لا تُغفلي مودتي، ولا تكوني صارمة في حكمك عليّ ولا تنسبي الى البربرية اندفاعي نحو شخصك الغالي عليّ.

أَلْكْمان : انا لا اريد ابداً ان أفرّق ما وحدته الآله، لذا ليس أعزّ على قلبي من زوجي الذي أهواه ويهواني.
كليانتيس (**على حدة**) : ايتها السماء، ما اغزر هذه الاحاسيس التي يجود بها الازواج بشوق وحرارة، بينما أرى زوجي انا بعيداً عن كل حنوّ.
مرْكور (**على حدة**) : لا بدّ لي من ان أسأل الليل أن لا يطوي أشرعته كي يظل مستعداً للرحيل. وحين تغيب النجوم، على الشمس ان تبرز من خبائها.

المشهد الرابع

كليانتيس ومركور (**وهو يهمّ بالذهاب**).

كليانتيس : أهكذا تريد ان تغادرني ؟
مرْكور : لماذا تسألينني ؟ أولا تودّين أن اقوم بواجبي، وأن أذهب الى لقاء امفيتريون ؟
كليانتيس : ولكن، أبمثل هذه العجلة تهجرني ايها الخائن ؟
مرْكور : هذا كلام مزعج ومحرج لا يجمل بك ان توجيهيه إليّ.
كليانتيس : ماذا تأمل مني ان افعل، وأنت تمضي هكذا فجأة بدون استئذان وبدون ان تزوّدني بكلماتك الرقيقة العذبة ؟
مرْكور : ما أقلّ حظي معك. كيف تريدين ان أُتحفك بكلمات المراوغة والخداع ؟ ان زواجنا الذي دام خمسة عشر عاماً لم يدع مجالاً لمثل هذه اللياقات المزيّفة. فقد نفد من جعبتنا كل ما تداولناه وردّدناه مراراً وتكراراً.
كليانتيس : انتبه ايها الخائن الأحمق، واذكرْ كم يحفظ أمْفيتريون لألكمان من الوله وكم يُسمعها من الإطراء ومعسول الكلام للتعبير لها عن مشاعره وأحاسيسه. واذا قورن هو بالقليل الذي لا تردّده على مسمع زوجتك،

لا بدّ من ان تخجل منه وتُدرك مدى تقصيرك في تتميم واجباتك ضمن هذا المجال.

مرْكور : يا إلهي، ما هذه الثرثرة، يا كليانتيس ؟ أتعتقدين انهما لا يزالان عاشقين يبث كل منهما الآخر لواعج غرامه ؟ إعلمي ان الانسان عندما يبلغ مرحلة متقدّمة من العمر مثلنا لا بدّ له من ان يعجز عن تحقيق امنيات كثيرة. انهما في بداية علاقتهما، بينما نحن قد عفا الزمان على ممارساتنا المتكرّرة، وباتت بعض التصرّفات لا تليق بشيبتنا، ولا يسعنا ان نجاريهما في ما يتبادلانه بحماس ونشاط من براهين الحب الفتيّة.

كليانتيس : ماذا تعني ؟ هل أصبحت انا في هذا الوضع المقلق الذي يحرمني من القدرة على التمتع كغيري بمباهج الحياة ومن الأمل بأن اجد بقربي من يخفق قلبه لي بالحب والهيام ؟ هل حقاً تظن أني بلغت هذه المرحلة ؟

مرْكور : لا، انا لا اقول ذلك. غير اني من جهتي جعلتني الأيام هرماً لا أجرؤ على التنعّم بمتع الشباب، وإلاّ غلب عليّ الضحك هزءاً بسبب توهّم مثل هذه الأماني الفتيّة.

كليانتيس : وهل يسعك ان تفكّر في هذه الملذات، ايها الشقي الثرثار، وترجو ان تكون زوجاً صالحاً لامرأة فاضلة، وأهلاً للمرح والهناء ؟

مرْكور : يا الهي ما أوفر إباءك الفيّاض وشهامتك المترفّعة. ان ما تتفنّنين به من الشباب والدلال لا يُذكر في نظر المرأة الخيّرة التي لا تغري ولا تخاتل.

كليانتيس : هل تلومني على فضائلي وتزدري بكرم اخلاقي ايها العجوز المتصابي.

مرْكور : نعومة المرأة ولطفها يأسران قلبي وحلاوتها ووفاؤها يملآن رحابة صدري. لكن ما تفاخرين به من فضائلك الذابلة اصبح ضجيجاً غير مقبول يقلق راحة بالي، ودخاناً خانقاً يعمي البصر والبصيرة.

كليانتيس : انت تبحث عن صدور عامرة بالعواطف المراوغة، تخصّ نساءً بارعات بالاحتيال والخداع، ماهرات في اصطياد السُذّج من الرجال المغرورين، يعرفن كيف يُرهقن ازواجهن بما يتذرّعنَ به من التأنّق والتبرّج وتصنّع الصبا والعطف والحنان.

مرْكور : بماذا تريدين ان أصارحك عندما تكونين تائهة في تفكيرك وفي نظرتك الى توافه الامور التي لا يؤخذ بها سوى الاحمق الغبي. آه، كم أودّ أن أجعل شعاري من الآن وصاعداً : « قلة اللياقة ولا قلة الشهامة ».

كليانتيس : ماذا تقول ؟ هل تفضّل بدون غضاضة، ان يكون المرء ظاهر اللياقة وإن غرق في شرّ المعاصي ؟

مرْكور : لو لم تضايقني تصريحاتك المخذية التي لم يبقَ لها من اساس في ميدان الشرف والمروءة، لكنت فضّلت التحفّظ المتعب على الاستهتار المريح. فالوداع اذاً يا كليانتيس، يا شقيقة روحي سابقاً، إذ عليّ الآن أن أوافي أمفيتريون (يخرج).

كليانتيس (**وحدها**) : لماذا لا يحزم قلبي أمره ليعاقب هذا الجاحد المحتال ؟ كم أتحسّر في موقفي الحالي على كوني من النساء الفاضلات المتشبّثات بالمبادئ القويمة اللواتي لا يحدْنَ عن جادة الحق والصواب.

الفصل الثاني

المشهد الاول

أمفيتريون وصوزي.

أمْفيتريون : تعال ايها المخادع. هل تعلم ان غضبي على ما تتبجّح به من أحاديث يجعلك تستحقّ، اذا أفلتُّ لمشيئتي العنان، ان أؤدّبك بالقضيب ؟

صوزي : اذا اردت ان تكلّمني بهذه اللجهة، يا مولاي، لا يبقى لدي ما اعترض عليه، ويكون كل الحق دائماً الى جانبك.

أمْفيتريون : هل تجرؤ، يا غبي، على محاولة إقناعي بانك مظلوم في ما أنسبه اليك ؟

صوزي : كلا، يا مولاي. أنت سيدي، وما أنا إلّا خادمك المطيع. فأرجو ان لا تتهمني باني اريد كذا وكذا.

أمْفيتريون : انا من جهتي افضّل ان أكظم عنك غيظي، وأود ان أستمع الى حججك وأعذارك الواهية عمّا لم تتمّمه من المهمّة الخاصّة التي كلّفتك بها في ابلاغ زوجتي ما يهمّني ان تعلمه عنّي. سأجلي لك غموض موقفك. تذكّر كل ما جرى لك، وتغلغلْ الى أعماق نفسك، وأجبني كلمة كلمة على كل سؤال أطرحه عليك، إن كنت فعلاً تريد أن تظل أميناً في خدمتي وتنجو من غضبي.

صوزي : لكني أخشى ان ازيد الطين بلّة. فألتمس منك ان تقول لي كيف

تحبّ ان نعالج هذه القضية الشائكة. سامحني يا سيدي، إن سألتك : هل تريد أن أتكلّم حسب ضميري، ام كما يعالج الكبار مثل هذه الصغائر ؟ هل تريد ان أعلن الحقيقة كما هي، ام ان أساير رغبتك وأراوغ ؟

أمْفيتريون : انا أصرّ على أن لا تقول لي إلّا كل الحقيقة المجرّدة، مهما كانت مؤلمة.

صوزي : فهمت قصدك، يا سيدي، ويمكنك ان تباشر بطرح أسئلتك عليّ عمّا تريد ان تعرفه بحذافيره.

أمْفيتريون : بخصوص الامر الذي كلّفتك به ...

صوزي : لقد ذهبت وكانت السماء متلبّدة بالغيوم الدكناء، وانا اكاد اكفر بالأحوال الجوية المربكة بسبب الرياح الهوجاء المزمجرة، وألْعن ألْف مرة الأمر الذي أصدرته إلي.

أمْفيتريون : لماذا يا محتال ؟

صوزي : ارجوك ان لا تزجرني على ما جرى. وإلّا كذبت عليك وأخفيت عنك الحقيقة.

أمْفيتريون : أهكذا تظهر لي ولاءك، يا خادمي المخلص ؟ على كلّ حال أخبرني ماذا جرى لك أثناء الطريق ؟

صوزي : لقد عراني فزع قاتل في اول مرحلة مِن مهمّتي.

أمْفيتريون : يا لك من جبان.

صوزي : وبما أن لطبيعة الانسان أهواء غريبة الاطوار، فانها تغذّي بعض ميولنا الشريرة، والبعض الآخر يجد أقصى اللذة في الاستسلام اليها. بينما انا قاومتها وتحاشيت سيطرتها عليّ.

أمْفيتريون : وحين وصلتَ الى المنزل ؟

صوزي : وقفت عند الباب، وعزمت على مراجعة ما انوي تبليغه، واخترت اللهجة التي يجب عليّ ان أتكلّم بها. ثم أعددت النعوت التي وددت ان اصف بها المعركة الحاسمة المجيدة التي خضتها يا مولاي،وانتصرت فيها.

أمْفيتريون : ثم ....

صوزي : جاء من أربكني وعكّر صفو مزاجي، وحال دون تتميم رغبتي.

أمْفيتريون : كيف ؟

صوزي : إنتحل شخصٌ اسمي صوزي، وهو يغار مني لما نلته من عطفك وتقديرك. وقد اطلع على كل ما دار بيني وبينك من حديث، كأنه كان ألْزم من ظلّي لا يفارقني.

أمْفيتريون : أي حديث تعني ؟

صوزي : يا سيدي، ان ما أرويه لك هو عين الحقيقة الناصعة الاكيدة. وهذا الذي انتحل اسمي، مطّلع على اموري كأنه شخصي بالذات، اذ إلتقينا أمام باب المنزل، وكان واقفاً في مدخله قبل ان أصل أنا اليه.

أمْفيتريون : أودّ ان تحدّد لي من أين بدأ الالتباس اللعين. هل ما ترويه لي حلم، أم هو من مفعول الخمرة ؟ هل هو ضرب من الهوس، ام هو مزاج سمج ؟

صوزي : أني أروي لك المسألة بتمامها كما جرت بدون زيادة ولا نقصان. انا رجل شريف كما عرفتني، وقد وعدتك بأن اقول الحقيقة، وأعتقد انك تصدّقني، يا مولاي. كنت أظن أني في الوجود أنا صوزي بمفردي فقط، ليس لي من مزاحم. غير أني أيقنت آنذاك باننا اثنان نحمل هذا الاسم. فما كان منّي إلّا ان ساورتني الهواجس والمخاوف. وهكذا كان احدنا خادماً في البيت، والآخر كان خادماً بجوارك. فتملكتني انا الحاضر الآن ها هنا عوامل الضياع والارهاق، ووجدت الشخص الثاني أقلّ نخوةً مني، لكنه اكثر صلابة وقوةً وهو على أتمّ الاستعداد للمناوأة، لا همّ له إلّا الشجار وكسر العظام.

أمْفيتريون : لا بدّ لي، وأنا اعترف بحيرتي، من التفكير مليّاً بهدوء ورويّة، لكي اجابه خادم السوء المقتنع بدوره.

صوزي : اذا غضبت عليّ، يا مولاي، لن استطيع ان أواصل لك سرد قصتي الغريبة. اذا تزول الثقة من بيننا، وانت تعلم جيداً ان كل القضية تتوقّف ...

أمْفيتريون : لا، لا. أكمل. أريد حتماً ان استمع اليك بصفاء ذهن كما وعدتك. لكن، قُلْ لي بكل صدق وأمانة : ماذا يمكنك ان تضيف من

تفاصيل على المشكلة العويصة الجديدة التي جئت ترويها لي ؟ هل هناك بعض التشويش ؟

صوزي : كلا، الحقّ الى جانبك. والمسألة، خارجاً عن قضيّة التصديق، تبدو واقعاً لا بدّ من تبيين فحواه وخفاياه. لانه قصة سياقها غير معقول، بل سخيف ومزعج. لأنه يخدّش شعور معظم الشرفاء، مع انه من الامور العادية التي تتكرّر في كثير من الاحيان.

أمْفيتريون : الوسيلة الفضلى هي رفض التصديق، إلاّ اذا كان المرء خالياً من كل شعور واقعي .

صوزي : لقد صدّقته مرغماً مكرهاً، وحين أيقنت بأننا صرنا شخصين اعتراني الذهول وشعرت بأسف مرير. فحاولت ان اعتبر الشخص الآخر منافقاً محتالاً. لكنه اجبرني على الاقتناع بوجوب تغيير فكري، واعتبرته كأنه اصبح صوزي، هو أيضاً كما كنت انا وحدي، وفحصته من قمة رأسه الى أخمص قدميه فوجدته شبيهي، بهيّ الطلعة، نبيل المظهر جذّاب المعالم سريع الحركات، كأني انا واياه نقطتا ماء متشابهتان. ولو لم تكن يداه ثقيلتان لكنت جابهته بكل حماس.

أمْفيتريون : كم يتحتّم عليّ ان أصبر على مثل هذا الحديث المسهب ؟ قل لي : أو لم تدخل الى المنزل ؟

صوزي : أجل دخلت. ولكن إسألني كيف ؟ لقد آليت على نفسي ان أصمد، وأن لا امتنع عن اجتياز الباب الى الداخل.

أمْفيتريون : وماذا فعلت ؟

صوزي : إنهال هو علي ضرباً بالقضيب، وآلمني جداً حتى تورّم ظهري من شدة الوجع.

أمْفيتريون : وهل ضربك حقّاً ؟

صوزي : أجل، بدون شك.

أمْفيتريون : من ؟

صوزي : أنا.

أمْفيتريون : أنت ضربت ذاتك ؟

صوزي : نعم، أنا. طبعاً، لا أنا الواقف امامك، بل أنا الذي دخلت الى المنزل. وقد ضربني كأن له اربع ايدي.

أمْفيتريون : ألا مَحَقَتْكَ السماء. ما هذا الكلام السخيف ؟

صوزي : هذا ليس مزاحاً. أرجوك ان تصدّقني. أؤكّد لك ان الشخص الذي يشبهني انشط منّي بما لا يقاس. فيده صلبة قوية، وقلبه قاس كالصخر الأصمّ. ولقد ترك على جسمي بصمات آلمتني بشكل لا يطاق، لأنه كان هائجاً كذئب عضه الجوع بنابه.

أمْفيتريون : أكمل، هيّا أكمل ... هل شاهدت زوجتي ؟

صوزي : كلا.

أمْفيتريون : لماذا ؟

صوزي : لأسباب قاهرة.

أمْفيتريون : ومن أقامها في وجهك، ايها الجبان الدجّال ؟ إشرح لي كيف تم ذلك ؟

صوزي : هل عليّ ان ارددّ القصة ذاتها مئة مرة ؟ لقد اعلمتك، يا مولاي، ان شخصاً أقوى مني، هذا الذي يشبهني، وقف بالباب أمامي، وبقامته المديدة وذراعيه المفتولين، وشرر غضبه المتطاير من عينيه، منعني انا الجبان الطبع في خدمتك، انا الذي تظاهرت بأني سيّد نفسي، وانهال عليّ ضرباً بالقضيب على ظهري بدون رحمة ولا شفقة.

أمْفيتريون : لا بدّ لك من كثرة شرب الخمرة ان تكون قد فقدت قواك العقليّة والبدنية.

صوزي : أُشنقني، يا مولاي، إن كنت شربت مسكراً، وإذا لم تصدّق حلفاني.

أمْفيتريون : أخشى ان يكون النوم قد تغلّب عليك فغرقتَ في حلمٍ لعين وأضعت إتّزان تفكيرك، فظنته كابوساً مخيفاً وصرت الى هذه الحالة الزريّة، وجئت تثرثر لي اقوالاً غير معقولة خُيّل اليك أنها الحقيقة الاكيدة. فما رأيك ؟

صوزي : صدّقني يا سيدي. انا لم أُغْفُ ولم أحلم. بل كنت مستيقظاً كما أكلّمك الآن وأنا بكامل وعيي. أُقسم لك بحياتك وحياتي، اني كنت في حالة طبيعية للغاية، وان الشخص الذي يشبهني، وانتحل اسمي صوزي،

هو الذي اعتدى عليّ ومنعني من القيام بمهمتي.

أمْفيتريون : إتبعني اذاً، يا مغفّل. اني أفرض عليك السكوت التام من الآن وصاعداً. فقد أرهقت ذهني بتخيّلاتك الصبيانية الساذجة. ونفد صبري من سماع ترّهاتك، أنت خادمي تقصّ عليّ ما لا يقبله منطق ولا يرضى به فكر سديد.

صوزي (**على حدة**) : من المؤسف ان يعتبر كلامي هراءً وشروحي اضغاث احلام. آه، لو كان احد الكبار نطق بما تفوّهت أنا به، لكان كلامه مقبولاً ومقدساً.

أمْفيتريون : ادخل، ولا تُضِع الوقت سدىً. لكن أَلْكْمان، على ما أرى، رغم إعلامها بوصولي القريب، لا تنتظرني. ومجيئي سيفاجئها حين لا تترقّب حضوري.

المشهد الثاني

ألكمان، وكليانتيس، وامفيتريون وصوزي.

أَلْكْمان (**بدون ان تبصر امفيتريون**) : هيا بنا، يا كليانتيس، نذهب الى الآلهة ونتوسّل اليها لتحفظ زوجي سالماً، ونشكرها على ما تمنحه اياه من النصر والمجد، وتديم عليه سلطته التي تَنْعُم بحسناتها مدينتنا طيبة العزيزة الآمنة. (تلمح أمفيتريون) ايتها الآلهة ....

أمْفيتريون : لقد منّت السماء عليّ بالظفر، وها انا قد عدت اليك سالماً ظافراً ممجّداً، يا زوجتي الحبيبة. فلتبارك الآلهة هذا اليوم السعيد، يوم رجوعي الى بيتي مبتهجاً لأتمتّع بحنان قلبك المحبّ وترتاح نفسي الى عبير مودتك ووفائك.

أَلْكْمان : ماذا عاد بك هكذا سريعاً ؟

أمْفيتريون : هل أزعجك رجوعي اليك في هذا النهار المبارك، كي تستغربي

وصولي بمثل هذه السرعة ؟ ما بالك تكلمينني بهذه اللجهة الفاترة المباغتة، وانت دوماً كنت لا تكفّين عن اظهار شوقك الى لقائي. فأنا، بعيداً عنك، كنت انتظر لحظة اللقاء، وها انا اراكِ لا تبدين اي سرور بعودتي اليك وتستقبلينني بمثل هذا البرود الذي لم آلفه منك قبلاً.

ألْكمان : انا لا افهم كيف ....

أمْفيتريون : لا، لا، يا الكمان، لم اكن أترقّب منك هذا الفتور، وانا أتقلّى على جمر الشوق اليك. فالشخص الولهان فِعْلاً لا يكفّ عن التفكير بحبيبته وعن ترقّب ساعة حضوره إثر طول الغياب وعذاب الحرمان. فانت بهذه المقابلة الغريبة، لا تظهرين في حالة طبيعية، ولا يبدو عليك انك تنتظرين مجيئي اليك في هذا الوقت. فأين اختفت معالم سرورك التي لم تكوني سابقاً قادرة بتاتاً على كتمانها عني عند لقائي، لإبداء حنينك الى وجودي بقربك وترديد ما يخالج صدرك من الشوق اليّ.

ألْكمان : عجيب منك هذا الكلام، يا عزيزي. فأنا لا افهم ما يدفعك الى التعبير عن انزعاجك بمثل هذا الحديث الذي لم اسمعه قط منك في الماضي. وأنت تعرف جيّداً عظم حبّي لك وشدّة شوقي الى لقائك. فمساء الأمس بالذات شهد الناس على ما كنت انا فيه من شغل البال نحو شخصك الحبيب ومصيرك الغالي على قلبي. وها أنت تتهمني الآن ببرود استقبالك واستفساري عن الاسراع في قدومك. غريبة جداً هذه البادرة منك، يا اغلى انسان عندي.

أمْفيتريون : وكيف تفسّرين عبارات استغرابك ؟

ألْكمان : ألم تبصر في نظراتي لواعج الشوق الى شخصك الحبيب، وبوادر السرور والانشراح في سؤالي عمّا عاد بك اليّ بمثل هذه العجلة ؟ فكيف لا افرح ولا اغتبط برجوع روحي وزوجي الحبيب اليّ ؟

أمْفيتريون : ماذا تقولين ؟

ألْكمان : اجل يا شريك عمري العزيز. رجوعك اليّ أثلج صدري، ولقاؤك بزغ كنور الصبح واضاء عتمة ليلي الذي طال عليّ اثناء غيابك عني. لذا فوجئتُ برؤيتك بغتةً. فهل تَعُدُّ هذا ذنباً مني، انا التي حلمت الليلة البارحة بقدومك ؟

أمْفيتريون : هل حقاً كنت تترقَّبين وصولي بفارغ الصبر ؟ وهل فعلاً ابصرتِ حلماً أثار هواجسك واشواقك اليّ ؟

ألْكمان : ألَا تُصدّق ان طيفك بالامس كان يناجيني في منامي، لانّي كنت انتظر عودتك اليّ بفارغ الصبر. وها أنت الآن حاضر امام نظري بشحمك ولحمك وطيب شمائلك ورحابة صدرك وحنوّك ؟ فهل تشكّ بوفائي لشخصك الحبيب، وولائي لك انت سيّد هذه البلاد، ولا سيما بعد ما احرزته من الظفر المشرّف ؟

أمْفيتريون : انا لا ازال استغرب منك هذا الكلام الصادر عن لسان معسول وفكر سارح مبغوت.

ألْكمان : أهذا بديل الحلم الذي أخبرتك به منذ لحظة ؟

أمْفيتريون : لولا هذا الحلم لكنت استأت جدّيّاً مما بادرتني به من كلام لا انتظره منك.

ألْكمان : ولولا الملامة التي عاجلتني بها، لما وجدت في قولك لهفة. والعتاب كما يقال يغسل رواسب القلوب.

أمْفيتريون : دعيني الآن من كل هذا الحديث غير المجدي، يا عزيزتي ألْكمان.

ألْكمان : ولندع قلبينا يتناجيان، وروحينا يتعانقان، كما تودّ ايدينا ان تتشابك في كنف الهوى والهيام.

أمْفيتريون : اذاً، لنعتبر الاستغراب واللوم منتهيَيْن عند هذا الحدّ.

ألْكمان : طبعاً، بدون شك. وها انا اشعر في هذه اللحظة بفيض من العطف يملأ حنايا ضلوعي.

أمْفيتريون : وهل بذلك تحاولين ان تعوّضي عن فتور استقبالك ؟

ألْكمان : وهل انت بهذا التهويل تريد ان تستأثر بلهفة عواطفي ؟

أمْفيتريون : بربّك، قلتُ لك إنتهى المشكل، ولنتحدّث الآن بجدّيّة وواقعيّة.

ألْكمان : لقد طالت بنا المداعبة، يا أمْفيتريون. فلنقلب صفحة التهكّم والسخرية.

أمْفيتريون : اراك تعودين الى التهجّم والتنكيت، وأنا لا اروم سوى الهدنة والمسامحة.

ألْكْمان : أتصرّ على نكران قدومك مساء الامس الى هذا المكان بالذات ؟
أمْفيتريون : اراكِ تتشبثين بقولك اني جئت مساء البارحة الى هنا ؟
ألْكْمان : نعم، وانا بدوري استغرب نفيك هذا الواقع الذي لا يسعني ان اشك لحظة بحدوثه يوم امس.
أمْفيتريون : أتؤكدين اني انا قدمت الى هنا ؟
ألْكْمان : لا مجال للشك لحظة واحدة بذلك. لقد قدمت انت بنفسك وعدتَ على عجل.
أمْفيتريون (**على حدة**) : ايتها السماء، اعينيني على ادراك سرّ هذا النقاش المُبْهَم. هل هذا امر يقبل التصديق ؟ ومن تراه لا يدهش لمثل هذا الغموض، يا صوزي ؟
صوزي : ها نحن الآن، يا مولاي، بحاجة الى دواء يشفي الهوس.
أمْفيتريون : أستحلفك، يا الكمان، بكل الآلهة، ان تعيدي على مسمعي تفاصيل هذا الحوار الذي يُخيَّل الي انه كحوار الطُرْش، علّني استطيع ان اخترق الحجب التي تلفّه بالإبهام والغموض.
ألْكْمان : انا ايضاً افكّر بذلك جدّيّاً. فجميع من في الدار قد ابصروا شخصاً يشبهك، لا أدري لأي سبب قدم الى هنا، وجرى بيني وبينه كلام عن انتصارك المجيد، وعن خمسة أحجار من الماس كان يحملها إبْتيرالاس الذي دعم جهود ذراعك وسيفك القهّار. وهل هناك من شهادة أوْلى تُثبت صدق كلامي ؟
أمْفيتريون : ماذا تقولين ؟ هل أعطيتك عقدة الماسات الخمس التي اخترتها لك، وانا مزمع ان اقدمها لك هديّة كعربون محبتي لك ؟
ألْكْمان : بدون شك، ولا يصعب علي ان اقنعك بما اكرّره لك.
أمْفيتريون : وكيف ؟
ألْكْمان (**تشير الى زنّارها وفيه عقدة الماسات المذكورة**) : ها هيذا.
أمْفيتريون : يا صوزي.
صوزي (**يسحب من جيبه علبة صغيرة**) : هي حتماً تَسْخَر منّا. فها هي عقدة الماسات في داخل هذه العلبة. ولا سبيل الى تكذيب الحقيقة الناصعة التي أمسكها بيدي.

أمْفيتريون (**ينظر الى العلبة**) : الختم عليها سليم غير مكسور.
ألْكْمان (**تُقَدِّم لأمفيتريون عقدة الماسات**) : هل هذا وهم أم خيال ام شعوذة ؟ ألا ترى البرهان القاطع الملموس ؟
أمْفيتريون : ربّاه، ماذا جرى ؟
ألْكْمان : هيّا، يا امفيتريون، كفّ عن سخريتك وتبيّن حقيقة هذا التناقض والغموض.
أمْفيتريون : يا صوزي، أكسرْ هذا الختم.
صوزي (**بعد ان يفتح العلبة**) : عجبي من هذا الامر المحيِّر. العلبة فارغة. فأين العقدة والماسات ؟ هل اختفت بقوة السحر، ام انا فاقد الوعي لا ارى الواقع المرير بعين الحقيقة ؟ كيف وصلت العقدة والماسات الى من كان مولاي مزمعاً ان يهديها إياها ؟
أمْفيتريون (**على حدة**) : ايتها السماء، ايتها الآلهة، أوضحي لي هذه المعضلة المعقّدة. ماذا جرى وكيف انتقلت هذه الهدية الى صاحبتها على هذه الصورة المذهلة ؟
صوزي (**لامفيتريون**) : اذا كانت مولاتي تنطق بالحقيقة الاكيدة وكذلك انا ايضاً، فالغرابة كل الغرابة في تصرفك، والسرّ الغامض كامن في العلبة الفارغة التي كلّفتني انت يا مولاي، بان اسلمها سيدتي زوجتك.
أمْفيتريون : أصمت، يا غبي.
ألْكْمان : لا أستغرب الآن دهشتك، ولا اجد تفسيراً لهذه المشكلة المستعصية الحلّ.
أمْفيتريون (**على حدة**) : ايتها السماء، ما هذه الورطة التي وقعنا فيها ؟ وكيف حصل هذا الأمر الغامض الذي ينبئني بشرٍّ مستطير لا يسع ذهني ان يتوقّع مصدره وكيفية حدوثه.
ألْكْمان : الا تزال مصرّاً على إنكار حضورك العاجل بالامس ؟
أمْفيتريون : انا لا أفهم كيف جرى دلك. ولكني أسألكِ ان تعيدي على مسمعي تفاصيل مجيئي المزعوم مساء الامس الى هنا.
ألْكْمان : بما انك تطلب مني ان اسرد لك مفصّلاً وقائع البارحة، فهذا دليل على انك تلحّ على إنكار حضورك بالذات الى هذا المكان.

أمْفيتريون : اسمحي لي بان أقول لك ان هناك سبباً يدعوني الى الطلب منكِ ان تكرّري سرد هذه القصة العجيبة المحيّرة التي جرت هنا بيننا اثناء غيابي.

ألْكمان : وهل ما يشغل بالك محيّر الى درجة جعلك تنسى تصرّفك يوم البارحة ؟

أمْفيتريون : ربما. على كل حال يطيب لي ان اسمع القصّة منك مرة ثانية.

ألْكمان : الحكاية غير طويلة، وهذا ما جرى حرفيّاً. هي حادثة مسلّية ويسرني ان اردّد عليك انك ضممتني الى صدرك بحنان وقبلتني، ويشهد على ذلك ما غمرتني به من عطف وبهجة ليس عليهما من مزيد.

أمْفيتريون (**في سرّه**) : من ذا الذي أقدم على استغلال مثل هذا الاستقبال الحارّ ؟

ألْكمان : اوّلاً قدّمتَ لي انت هذه الهدية الثمينة التي غنمتها، وأحببت ان تخصّني بها. ثم فتحت لي قلبك وذراعيك، وتكرّمت عليّ فوق ذلك بكنوز عطفك وحنوّك، وَبَثَثْتَني لواعج شوقك الى حناني بعد طول غيابك عني، يا زوجي الحبيب، وردّدت على مسامعي آيات هيامك، كما عوّدتني دائماً، وقد فاقت هذه المرة كل ما سبق ان أظهرته لي من اللهفة والأشواق.

أمْفيتريون (**في سرّه**) : ما أغرب هذا الكلام !

ألْكمان : وكما تعرف جيداً في قرارة نفسك، ان هذه البراهين العاطفية والأحاسيس العذبة تُفعم فؤادي فرحاً وارتياحاً بما تغمرني به دوماً من فيض هواك، ولا أكتمك إنْ بحتُ لك بأن سروري كان يُضاعف بهجتك بما قابلتني به من تجاوب فورة غرامك.

أمْفيتريون : وماذا جرى بعد ذلك ؟ أخبريني مفصّلاً.

ألْكمان : وعلى أثر تبادل الاحاديث المتشعّبة انفردنا وتعشّينا معاً، وحين فرغنا من تناول الطعام مضينا الى النوم.

أمْفيتريون : معاً ؟

ألْكمان : طبعاً. ما هذا السؤال ؟

أمْفيتريون (**على حدة**) : هذه هي النقطة الجوهرية المؤلمة، هذه هي الطعنة النجلاء في صميم عزّة نفسي التي تثير كوامن غيرتي.

ألْكمان : لماذا علا الإحمرار خدَّيْك يا عزيزي ؟ هل صدر عني ما يُخجل، إن انا نمت الى جانبك ؟

أمْفيتريون : لا، لا. لم أكن أنا من نمت الى جانبه. وهذا ما يدمي قلبي. وانت تصرّين على التأكيد أني أنا بذاتي جئت ليلة الامس اليك. وقد ختمت قولك بأفظع تزوير أقدم عليه هذا النذل السافل الذي انتحل شخصيّتي ونمْتِ انت الى جانبه.

ألْكمان : ماذا تقول، يا امفيتريون ؟

أمْفيتريون : ما افظع هذه الخيانة القاتلة ؟

ألْكمان : لماذا تحتدّ هكذا ؟

أمْفيتريون : لا، لا. هذا يفوق طاقة احتمالي. وانت كنت في غاية الإنسجام بصحبة هذا المحتال الدجّال، بدون أي حذر أو تحفّظ من قبلك. كلّ كياني في هذه اللحظة يهتزّ سخطاً ويثير في أعماقي كوامن المرارة وروح الانتقام.

ألْكمان : لماذا ؟ وممّن تريد ان تنتقم ؟ هل نقضتُ بعمل كهذا بريء عهدي لك على الحب والوفاء ؟ وهل تعتبر تصرّفي نحوك بهذه الأمانة وهذه المسايرة والإخلاص جرماً فظيعاً يستحق الاحتقار والعقاب ؟

أمْفيتريون : لست ادري. غير اني اؤكّد لك بإلْحاح اني لم اكن انا من استقبلته ليل امس في فراشك هذا الاستقبال الحميم الذي طعن مهجتي في الصميم.

ألْكمان : اراك الآن وانت في ثورة غضبك زوجاً غير أهل لما بادلتك اياه من حب وإكرام. وأعتبر موقفك الآن امتهاناً لكرامتي التي جرحتها في هذه اللحظة بكلامك المهين، اذ تتهمني صراحةً بالخزي والعار في حظيرة زواجنا الطاهر الذي اعتبرته على الدوام رباطاً مقدساً وضعت نفسي في ظلّه فوق كل الشبهات. فإذا كنت تبحث عن ذريعة لحلّ وثاق هذا الزواج النبيل الذي ربط بيننا طوال هذه السنين، فلا موجب لكل هذه الحجج المزعومة. لأني من جهتي لن أقاوم فكرتك بعد ما قابلتني به من التهم والتنديد والإذلال.

أمْفيتريون : كنتيجة هذا العار الذي إطّلعتُ عليه من حديثك، لا بد لك من ان تستعدّي لتحمّل مسؤوليّته، اذ دُستِ حبي وكرامتي، وأثرتِ اشمئزازي وغضبي بتصرّفك الأرعن حيال شخصٍ غريبٍ ليس زوجك. انا لا احاول الحطّ من كرامتك، لكني أدافع عن شرفي المطعون الذي مرّغته بالوحل. ثقي بأني لن أخفي الأمر عن اخيك الذي فارقته منذ برهة وجيزة. وسأعرف كيف أنتقم من الذي لوّث سمعتي بأقذار طيشه وتهتّكه.

صوزي : يا مولاي ....

أمْفيتريون : لا تلحق بي، بل أمكث هنا، وانتظر عودتي.

كليانتيس (**لألْكْمان**) : هل من واجب ؟....

ألْكْمان : لا أريد ان اسمع ... أتركيني وحدي، ولا ترافقيني.

المشهد الثالث

كليانتيس وصوزي.

كليانتيس (**على حدة**) : لا بد من ان يكون هناك ما زرع الشك والاضطراب في دماغها. غير ان شقيقها سيضع حدّاً لهذا الخلاف المستجّد.

صوزي (**على حدة**) : هذه كارثة أليمة أصابت مولاي في الصميم. وهذه المغامرة القاسية تكشف عن إساءة لا تُغتفر اخشى ان تحطّم عاقبتها الوخيمة كبرياءها وإباءها. لذا لا بد من تنقية الجوّ بالنسبة اليها.

كليانتيس (**على حدة**) : سأرى إن كان سيدي سيأتي ليفاتحني بالقضية، وعليّ ان لا أتظاهر بتجاهل الامر.

صوزي (**على حدة**) : المسألة تبدو أحياناً مزعجة عند الاطلاع على تفاصيلها. فلْأتجنّب مغبّتها واتغافلْ عن أحداثها. عليّ ان اتروّى عساي أتمكّن من الدفاع عن الضعف البشري، بانتظار جلاء الموقف. وفي هذه الأثناء أسأل السماء ان تساعدكِ يا كليانتيس على تدارك سوء المصير.

كليانتيس : ها، ها. أنت تتحاشى الاقتراب مني ايها الخائن الخبيث.

صوزي : ما لي أراك دائماً غضبى تثورين لاتفه الاسباب ؟
كليانتيس : ماذا تعني بتعبيرك « لأتفه الاسباب ؟
صوزي : أُسمي « أتفه الاسباب » ما هو في الواقع لا يستحقّ كل هذا الاضطراب والقلق.
كليانتيس : لا أفهم ماذا تقصد بالضبط ايها اللئيم. كم اودّ ان افقأ عينيك الاثنتين لتعرف كيف يكون كيد النساء.
صوزي : مهلك. لماذا كل هذا السخط الأعمى ؟
كليانتيس : انت لا تذكر، على ما يظهر، شناعة فعلتك القبيحة.
صوزي : اية فعلة ؟
كليانتيس : ماذا تقول ؟ أتتجاهل ما أقدمت على قوله من أكاذيب، وتنفي انك أنت ايضاً جئت الى هذا المكان ؟
صوزي : كلاّ. انا أعلم تماماً بما جرى، وهو عكس ما تدّعين. وعليك ان لا تتنصّلي من هذه المهزلة، لأننا كلانا شربنا من الخمرة ذاتها التي أنستكِ تصرّفاتي انا ايضاً.
كليانتيس : هل تظن ان أقوالك تستدرّ عليك العذر والسماح ؟
صوزي : لا، لا. انا واثق بأني كنت في حالة لا تسمح لي بأن أدرك مدى ما حصل من الأسى والاساءة.
كليانتيس : هل تعتقد ان تغابيك يخفف من جرمك ؟
صوزي : انا اعرف جيداً انكِ لا تريدين ان تصدّقيني حين أؤكد لكِ اني كنتُ في وضع حرج، وربّما أتيت أعمالاً ندمْتُ عليها فيما بعد ولا اودّ ان اتذكّرها.
كليانتيس : ألا تذكر الآن كيف عاملتني حال رجوعك من المرفأ ؟
صوزي : كلا، لا أذكر. باستطاعتك ان تروي لي بالتفصيل ما بدر مني فأنا صريح وصادق تجاه نفسي، ولن أتردد في الحكم على ذاتي إن كنت حقاً مخطئاً.
كليانتيس : ماذا تعني ؟ ألم تدرِ بما فعله امفيتريون قبل قدومك الينا الليلة البارحة. انا لم أَلْقَ منك في الماضي ما اظهرته لي بهذه المناسبة من برود

وإهمال، انا زوجتك المحبة المخلصة، خلافاً لكل ما ابديته نحوي سابقاً من لهفة وتودّد. يكفي ان اذكّرك بانك أشحتَ بوجهك عني، عندما حاولت ان اعانقك واقبّلك.

صوزي : ما هذا الهذيان ؟

كليانتيس : اي هذيان ؟

صوزي : يا الهي. أنت لا تدرينَ يا كليانتيس، لماذا فعلت ذلك. لقد اكلت كثيراً من الثوم وتصرّفتُ بحكمة فأدرت وجهي لكي لا تزعجك رائحته الكريهة.

كليانتيس : انا لن أنسى كيف كنت تتهافت علي التعبير لي عما يطفح به قلبك عادةً من هيام. ولكنك ليلة الامس لم تَفُهْ بأية لفظة تدلّ على ما أِلفْته منك من حلو الكلام.

صوزي : لا تتسرّعي في حكمك الجائر.

كليانتيس : على كل حال، مهما أَقُلْ إنك كنت فاتراً، لم يغب عن تصرّفك الفعلي ما يدل على برود عواطفك نحوي. فإنك على عير عادتك تغافلت عمداً عما يحرص عليه ارتباط الازواج بالوثاق المبارك من تبادل العواطف وواجب المسايرة التي تتخطّى جميع حدود التحفّظ عند النوم في فراش واحد.

صوزي : ماذا تقولين ؟ لم أَنَمْ بتاتاً ...

كليانتيس : كلا، أيها الجبان.

صوزي : هل هذا ممكن ؟

كليانتيس : ايها الخائن. هذا الجرم أفظع ما يمكن أن يرتكبه اسفل الازواج. وها قد لمست فيك احطّ النوايا لصدّي وهجري والتخلّي عني.

صوزي (**على حدة**) : فليحيا صوزي إذاً.

كليانتيس : هل لشكواي هذا المفعول العنيف ؟ وأنت تضحك مستهتراً بعد ما صدرت عنك فعلتك الخسيسة هذه.

صوزي : كم انا مرتاح الى ما أقدمتُ عليه.

كليانتيس : هل بهذا الكلام تؤكد ما قصدته من إذلالي ؟

صوزي : لم اكن أظن اني قادر على اتخاذ مثل هذا الموقف الرصين.

كليانتيس : بدون ان أحكم نهائياً عليك، اراك متجهّم الوجه حيالي.
صوزي : يا الهي. مهلاً. اذا ظهرت لك مسروراً، فاعلمي ان هناك اسباباً تجعلني هكذا مرحاً بدون قصد مني، ولا يسعني ان اخفي عنك حقيقة امري.
كليانتيس : ما لك تهزأ بي، ايها السخيف الحقير ؟
صوزي : لا، لا. انا اكلّمك بكل صدق. اذ كنتُ مروَّعاً في حالة من الاضطراب الذي استولى عليّ بغتةً. ولكن حديثك الآن قد هدّأ خاطري، بعد خشيتي من ان القى منك بعض الحماقة والغباء.
كليانتيس : لكن، بربّك، قل لي ما هي دوافعك ؟
صوزي : يؤكّد الاطباء، حين يسيطر السكرْ على الانسان، أنّ عليه أنْ يبتعد عن زوجته. لانه في هذا الوضع، اذا أنجب، لا يُرزق إلّا اولاداً بلهاء مشوّهين، لأن البلادة تكون اذ ذاك مستولية على ذهن الزوج، ولا يدرك أحد هول النتيجة التي تنجم عن أفعاله.
كليانتيس : انا لا أبالي بالاطباء وباقوالهم وبوصفاتهم المشؤومة التي يغدقونها على مرضاهم التعساء. لأنهم وهم العاجزون عن مداراة الأصحّاء، لست أدري كيف يمكنهم ان يعالجوا ويشفوا أصحاب العلل والعاهات، ولا سيما الرهيبة. فيتشبّثون بالنصح في غير محله، ويوصون بالزهد كل من يلجأ الى طبّهم، فلا تسفر عن حماقتهم سوى الويلات والكوارث المدمّرة.
صوزي : مهلا، مهلاً.
كليانتيس : انا اصرّ على ما ابديه من رأي اعتبره سديداً. ألا اعلم انْ ليس أدرى من الرجل العاقل الذي يتجنّب شرب الخمرة والمجازفة المؤذية في حظيرة الزواج، بينما انا اعتبر جميع الاطباء دجّالين محتالين بدون استثناء.
صوزي : ارجوك ان تخفّفي لهجتك في مهاجمتهم وتلويث سمعتهم على هذا المنوال. لاني ارى فيهم رجالاً متّزنين شرفاء، رغم كل ما يُلصق بهم من تهم باطلة.
كليانتيس : انت بعيد عن جادة الصواب، تخبط في اوهامك خبط عشواء. تريد ان تعذرهم، ومن جرمهم ان تُبرّئهم. وانا لا يسعني إلّا ان انتقم من خداعهم عاجلاً أو آجلاً. لأني اكتويت بنار ادعائهم وشعوذتهم. وأجدك

انت على شاكلتهم، يا زوجي الساذج المغرور. تجبرني جبانتك على عدم الاقرار بالحق والواقع، واتّخاذ هذا الموقف السلبي منهم ومنك انت ايضاً لانك تدافع عما تودّ ان تستره من قبائحهم المفضوحة.

صوزي : ماذا تثرثرين، وبماذا تتبجّحين ؟

كليانتيس : حتماً بتصرفك هذا الارعن ستضطرني يوماً الى التخلّي عنك بما تتشبّث به من الخساسة وفقدان المنطق السليم.

صوزي : في هذا الموضوع، انت على ضلال لا يحتاج الى برهان. فارجوكِ ان تكفّي عن حماسك في التهجّم على كرامتهم التي تهدرينها غدراً.

كليانتيس : آه، لو تسنّى لي ان أثبت لك ما انا مقتنعة به.

صوزي : كفّي عن مواصلة النقاش الفارغ في هذه القضية الخاسرة. فها هو أمفيتريون قادم الى هنا.

المشهد الرابع

جوبيتار وكليانتيس وصوزي.

جوبيتار (**على حدة**) : لقد أضعت وقتي، وانا أحاول تهدئة خاطر ألْكمان، وطرد الحزن والكمد عن قلبها الذي اودّ الإحتفاظ بمودته، كما اريد ان ابقي على حبّنا متأجج اللهيب، لأظل متنعّما بفيض عطفها وحنانها. (لكليانتيس) أعتقد أن ألْكمان موجودة في حجرتها. أليس كذلك ؟

كليانتيس : نعم، هي في مخدعها، والقلق ينهش صدرها في وحدتها الموحشة. وهي تُصرّ على الانزواء، وقد منعتني من البقاء بصحبتها.

جوبيتار : مهما حرّمت على غيري البقاء برفقتها، لا يسعها ان تمنعني من موافاتها.

كليانتيس : حزنها، على ما أرى، قد سيطر على كل مشاعرها.

المشهد الخامس

كليانتيس وصوزي.

صوزي : ما رأيك في الكلام الذي تلفّظ به صاحبنا ؟

كليانتيس : لو أمكننا، لقذفْنا نحن النساء، جميع الرجال الى الجحيم. لان أفضلهم لا يستحقّ إلاّ هذه المعاملة الصارمة.

صوزي : تقولين ذلك، لان الغضب أعمى بصرك وبصيرتك. لكن الرجل المتروّي الواعي يظل فوق هذا المستوى. ولو هلك سائر الرجال كما تتمنّينْ، ليت شعري ماذا يحلّ بك وبأمثالك ممن يتعلّقْنَ دوماً باذيال الرجال مستجدياتٍ رضاهم.

كليانتيس : أحقاً ما تقول ؟

صوزي : ها هم أصحابنا قد أقبلوا، فلنصمتْ اذاً.

المشهد السادس

جوبيتار والكمان وكليانتيس وصوزي.

جوبيتار : اراك تتعمّدين دفعي الى حافة اليأس والقنوط. ما لك حزينة ؟ ماذا دهاك، يا عزيزتي الْكمان ؟

ألْكمان : لا يمكنني ان اتفاهم انا ومسبّب أحزاني وآلامي.

جوبيتار : ارجوك ....

ألْكمان : دعني وشأني.

جوبيتار : ماذا تقولين ؟

ألْكمان : أسألك أن تتركني وحدي غارقة في أساي.

جوبيتار (**بصوت خافت، على حدة**) : ان دموعها تغرز في صدري سكيناً مرهف الحدّيْن. (بصوت عال)ارجوك أن ترأفي بحالي.

أَلْكْمان : لا، لا. لا تواصلْ إلْحاحك غير المجدي.
جوبيتار : الى اين تريدين ان تصلي ؟
أَلْكْمان : الى حيث لا تكون انت.
جوبيتار : لن تبلغي مرامك. فانا متشبّث بالمحافظة على محاسنك وفضائلك، وإن فرّق البعد بيننا بعض الزمن. واني مستعدّ ان أَلْحق بك الى آخر الدنيا، يا أَلْكمان الحبيبة.
أَلْكْمان : وانا سأهرب منك كلما لقيتك.
جوبيتار : وهل انا رهيب الى هذا الحدّ ؟
أَلْكْمان : في نظري، اكثر مما تتصوّر. لأني اراك كإبليس اللعين، كالوحش الضاري المفترس، لا يُؤمَن جانبك. فقلبي يتعذّب كلما ابصرك، لأنك تقيم في وجهي افظع العراقيل، واحطّ الويلات. لذا لم اعد أطيق صبراً على كل ما له صلة بك.
جوبيتار : يؤسفني جداً ما اسمعه من فمك الحلو.
أَلْكْمان : وانا يضيق صدري بكل ما ينوبني منك من شقاء. ولا أجد على لساني بحقّك إلاّ مرّ الكلام وما تستحقه من التنديد.
جوبيتار : لم أعد أعرف ماذا حدا بك الى هذا النفور مني يا الكمان، كي تري في شخصي هذا المسخ الذي يروّعك ويقضّ مضجعك.
أَلْكْمان : ايتها السماء، إرأفي بحالي. يدهشني ان تتساءل عمّا دفعني الى النظر اليك بهذه العين الحذرة المتشائمة.
جوبيتار : هل لك أن تخفّفي قليلاً من غلوائك ؟
أَلْكْمان : كلا، لا اودّ مطلقاً ان أُلْقي عليك لمحة إشفاق، ولا ان اسمع منك اية كلمة رجاء ومراضاة.
جوبيتار : هل يطاوعك فؤادك الرقيق على معاملتي بمثل هذه القساوة والازدراء ؟ وأنا أحفظ لك مع ذلك اصدق عواطف الحب والوفاء.
أَلْكْمان : لا، لا. لا تظلمني، فانا ما بلغت هذا الحدّ من الجفاء إلاّ على أثر ما لقيته منك من الصدّ والأذى. لا تدّعي الهيام والحنين، وأنت ما بادرتني إلاّ بالطعن والإذلال، وكدتَ تقتل ما بين ضلوعي من مودّة وحنان.

فإن كنتُ في الماضي قد احببتك، فأنت لم تبادل اخلص عواطفي إلا بالإساءة والجحود. لذا لم يبقَ في وسعي إلاّ أن اكرهك واتجنّبك كما يتحاشى الصحيح الأجرب.

جوبيتار : ليت هيامي لم يَلْقَ منك كل هذا المقْت والاحتقار. وهل بقي بيننا من سبيل للخلاص سوى الطلاق الذي لا أُقِرُّك عليه ؟

ألْكمان : وهذا ما يغيظني ولا استطيع ان اطالبك به. وهذا بالذات ما يثير في اعماقي الغيرة والحسد. اذ لا أقوى على التزام جانب التعقّل والإتّزان لقاء ما يستفزّه تصرّفك في أعماقي من ضيق وأشمئزاز وتمرّد ونفور، بدون ان أجد تجاهي أية عاطفة تخفّف عنف اساءتك الى شعوري الصادق وتحطيمك إبائي واذلال كبريائي انا المرأة الوفية التي ترفض الخنوع والإزعان لما تلقاه من سفالة استهتارك وسخرية أهوائك. وتحدّيات عنجهيّتك. فقلبي الجريح لم يعد قادراً على تحمّل شراسة ابتذالك واستغلالك السافل.

جوبيتار : اجل، الحق الى جانبك، يا الكمان الطيبة العنصر. انا من رأيك في ما يبرر منك لردّ العدوان عنك ومجابهة الطغيان وتحاشي الغدر. ولكني لا أجد لكل ذلك من موجب إذا كان الامر يتعلّق بشخصي وبقلبي انا الذي لم أكنّ لك إلاّ المحبة والولاء. فأنا أحترم شعورك، وأقدّر اخلاصك واتشبّث برقة عواطفك. لأني أعرف ما يتوجّب على الزوج الفاضل من مراعاة ظروف شريكة حياته واحترام شعورها. انا، يا عزيزتي الكمان، ضنين بتقديس ما ألفته من سموّ اخلاقك ونزاهتك فلا تحكمي عليّ لقاء ما تتوهّمينه من جرم لم ارتكبه وذنب لم اقترفه. بل أسألك ان تنظري الى واقعي بعين الإنصاف.

ألْكمان : كل هذه السُبُل قد خبرنها، وانا لا اجد لك أي عذر يشفع بدناءتك وخداعك. تريد ان تقنعني بكلامك المعسول وتعكس ما أجده سخيفاً في تصرفاتك المهينة. فإنّ سخطي لم يحلّ عليك عبثاً بدون سبب، واشمئزازي من سلوكك الدنيء ليس وليد ظنون طائشة. فإن نفوري ناجم عن جراح أصبتَ بها صميم فؤادي. وإن كنت تدّعي أنك تحسن معاملتي كزوج، فأنت في نظري لست سوى عاشق متيّم أعماه الهوى. وبتّ أكره

الزوج والعشيق معاً، لانكما تشكّلان شخصاً واحداً، وقد أسأتما معاً الى أبسط قواعد الحب والوفاء.

جوبيتار : انا أفهم نفسيّتك المتحصّنة. فأنت جريحة الشكوك وصريعة الظنون تتآكلك الغيرة والنقمة عليّ، لأنك استسلمتِ الى تخيّلات هواجسك المضلّلة. ففي شخصي، عليك ان تميّزي بين ناحيتين. ناحية الزوج وناحية العاشق كما لمّحت. ربما أخطأ الزوج بحقك، لكن العاشق يهيم دائماً بغرامك ويتمنّى حتماً نيل رضاك. ولا تنسَيْ أن على الزوج كثيراً من الواجبات، بينما للعاشق حقوق على القلب الودود أن يؤمّنها له، ويغضّ الطرف عن اي تقصير يسبّبه شوقه وحنينه. لا تنسَيْ ايضاً أن الزوج، نظراً الى روابط الزفاف التي تشدّه الى شريكة عمره، يعتقد ان من حقّه ان لا يحرم نفسه اطاييب الحياة، ولو عن طريق لجوئه احياناً الى فرض ذاته بخشونة. بينما انت لا تنظرين بعين الرأفة الى العاشق الذي يضع كل كبريائه عند قدميك. فما عليك إلّا ان تشجبي أفعال الزوج وترقّي لحال العاشق المستجدي الذي لا يرى من غضاضة مهما قَسَوْتِ وجُرْتِ عليه.

أَلْكمان : ما امهرك في ابتداع الحجج وتلفيق الأعذار، وما أبرعك في استمالة القلوب الرقيقة. فعبثاً تحاول استرداد عطفي بعد ان تلاعبت بصدقِ مودتي، واستَثْمرت طهارة حبّي. يمكنك ان توقن بانك الشخص الذي ترى المرأة فيه الزوج والعاشق معاً، فتلوم الأول وتُشفق على الثاني. أمّا انا فلا استطيع ان اميّز بين هذا وذاك. فكل منهما في شرع هيامي مجرم يستحقّ اقسى الحكم وأقصى العقاب.

جوبيتار : بما ان هذه هي مشيئتك، لا أستغرب منك ان تُظهري لي كل هذا العداء، وأن لا ترحمي عذابي في هواك، يا حبيبتي أَلْكمان. لقد طفح كيل صبري، وفاض بي الشوق الى أَلْطافك التي اغدقت عليّ كفوزها طوال السنين الماضية. فهلاّ رحمت صبّاً متهافتاً على حنانك، وجُدْتِ عليّ بصفحك الكريم وغفرانك الشفوق لتعود إلينا أيام السعادة والهناء نجنيها مع أحلى امارات الشوق والهيام.

أَلْكمان : ما اشرسك من زوج أناني.

جوبيتار : لماذا كل هذا العناد المضني ؟
ألْكمان : ألا تزال تأمل بالتمتع بصفاء زوجي، وأنت العليم بما قابلتني به من سوء أمانتك وسفالة دناءتك.
جوبيتار : وهل يسمح لك سموّ إخلاصك، ان لا تتأثري باسفي وندامتي على ما بدر مني وفات ؟
ألْكمان : اراك تتمسّك بالقول المأثور : ان الإنسان المغرم مهما عانى من المآسي، لا مناص له من المسامحة برحابة صدر ومن التعالي على الصغائر والأحقاد، إن شاء ان لا يحرم نفسه من اطاييب هذه الدنيا و...
جوبيتار : أجل، أريد أن تضعي هذا المبدأ بالذات نصب عينيكِ، لأن القلب المحبّ غفور لا يسعه ان يحقد.
ألْكمان : لا، لا تكلمني بهذه اللهجة التي يجمل بك ان تخاطب بها نفسك أولاً.
جوبيتار : هل تكرهينني حقاً الى هذا الحدّ ؟
ألْكمان : لقد جاهدت لكي لا أبلغ شفير الهاوية. لكن تهوّرك وتماديك في غيّك وإمعانك بمحاباتي واستغلال طيبة قلبي دفعاني الى هذه القسوة التي غلبت على طبعي السموح.
جوبيتار : بربّكِ، لماذا تقصدين هذا التشدّد ؟ بما انك تحرصين على الإنتقام، فما عليك إلاّ أن تصدري عليّ حكمك الرهيب بالهلاك، وأنا طوع بنانك مستعد أن انفّذ إعدام نفسي حالاً وسريعاً، إكراماً لعينيك.
ألْكمان : هل حقاً تريد أن تموت بسببي ؟
جوبيتار : لأني لا أقوى على العيش بعيداً عنك. وبما انك لم تشائي حجب صواعق غضبك عني، فأنا لم أعد أطيق البقاء هكذا على قيد الحياة مرذولاً في نظرك. فإمّا ان تشمليني بعفوك وتقلبي صفحة الماضي، وتُسدلي ستار الغفران على إساءتي مهما كانت بالغة في عينيك، وإمّا .... ها أنا أجثو على ركبتيّ ملتمساً صفحك ورضاك، (كذلك يخرّ صوزي وكليانتيس على ركبتيهما) وإمّا، إنْ لم تسامحيني، ان تصدري حكمك النهائي المبرم عليّ، وانا قانع بمصيري في الامتثال الى رغبتك.

أَلْكْمان : يؤسفني ان لا استطيع مسامحتك، لأنها فوق طاقتي. لكن قلبي الذي لا يعرف الحقد والضغينة يصعب عليه ان يكرهك. لذا اجدني في حيرة من امري بين هذين الحلّين المتناقضين.
جوبيتار : لا سبيل الى ترك الأمور هكذا معلّقة تتأرجح في جوّ من التردد المضني.
أَلْكْمان : دعني وشأني، لعلّي أتوصّل الى معالجة وضعي الحائر المتألم.
جوبيتار : هيا، يا صوزي، استعجل، لعلّك تساعدني على ايجاد مخرج وتصفية لهذه المعضلة المرهقة. إذهب وادعُ بعض ضبّاط جيشي لتناول العشاء الى مائدتي. (بصوت خافت، على حدة) وبينما انا أريد طرد مركور من جواري ستتهيّأ له فرصة المجيء والجلوس حيث لا يسعف وجوده حالي على الانفراج.

المشهد السابع

كليانتيس وصوزي.

صوزي : هل ترين، يا كليانتيس، ما آل اليه هذان الزوجان المتحابّان من خلاف ؟ لا بدّ من ان نتّعظ بأمثولتهما، ونسعى الى الوفاق والوئام فيما بيننا، لمدى ما بقي لنا من العمر، ونعيد السلام والسعادة الى أسرتنا.
كليانتيس : هل تريد ان افعل ذلك اكراماً لك؟ وهل هذا حقّاً ما تشاء ؟
صوزي : ماذا تعنين ؟ ألا تريدين تحقيق هذه الامنية العزيزة ؟
كليانتيس : كلاّ.
صوزي : وانا لا يهمني هذا الامر كثيراً. فإن كنت لا ترغبين، فأنا لا أُصرّ على ذلك (يهم بالانصراف).
كليانتيس : تعال، لا تذهبْ.
صوزي : إن كان هذا لا يرضيك، فأنا بدَوْري لا أبالي به.
كليانتيس : اذاً أُخرج من هنا يا خائن عهدي. فقد مللتُ ان اكون امرأة فاضلة صالحة وأُلْعُوبةً بين يديك الأثيمتين.

الفصل الثالث

المشهد الاول

أمْفيتريون.

أمْفيتريون : أجل حظي العاثر يخبّئ لي كل هذه المشاكل التي تعبت منها نفسي. اذْ ليس أصعب على المرء من ان يرى الظروف تعاكسه، وأن يجد ذاته فريسة الشك والاتّهام. وهذا ما يقلقني ويحزّ في قلبي. وها أنا أشاهد اقرب الناس الى نفسي، وهي زوجتي، تسيء الظنّ بي وتستفزّني لأصبّ جام حقدي ولعناتي عليها. ولكن أمجادي التي تشهد بشجاعتي وطيب عنصري ورحابة صدري، تأبى عليّ ان أسلك هذا السبيل المعوجّ وأنحدر الى هذا الدرك السافل البذيء. فأنا ما رضيت يوماً بأن أُلطّخ سمعتي ولا أسخّر ضميري لارتكاب اية شائنة، أجدني الآن أمام عمل شنيع يتمثل بسرقة الماسات الخمس التي كانت محفوظة في علبة مغلقة وممهورة بخاتمي الرسمي. والامر الأعجب هو إتهامي بأني يوم البارحة قدّمت هذه الهدية بنفسي الى زوجتي، بينما كنت بعيداً عن بيتي. فمن، يا ترى، جاء الى منزلي وانتحل صفتي كزوج ؟ من تجاسر على انتهاك مقدّساتي وعلى ارتكاب هذه الخيانة النكراء ؟ وانا في ساحة القتال انتزع غار المجد بتشتيت أعدائي الذين انزلت بهم ضربة قاضية وبدّدت صفوفهم ومزّقت أوصالهم. فيا ايتها السماء، انصفيني وأظهري لي من هو هذا الخصم الخسيس الذي استغلّ

فرصة غيابي وهدم سعادتي وقَلَبَ مودّة زوجتي الحبيبة بغضاً وحقداً علي، وبدّل هيامها بي كرهاً شديداً لشخصي انا زوجها، بما أقدم عليه من حقارة ودناءة منتحلاً إسمي بكل وقاحة.

المشهد الثاني

مركور وامفيتريون.

مرْكور : بما ان الحب لم يبسم لي هنا، وظلت أموري شائكة لا يرتاح لها فؤادي المنقبض، لا بدّ لي من تغيير هذا الوضع الحزين بحيلة توصلني الى مبتغاي وتثلج صدري.

أمْفيتريون (**بدون ان يبصر مركور**) : من أغلق هذا الباب في مثل هذه الساعة المبكرة (يطرق الباب) افتحوا لي، هيا افتحوا.

مرْكور : مهلاً. من يطرق الباب ؟

أمْفيتريون : أنا.

مرْكور : من أنت ؟

أمْفيتريون (**يلمح مركور فيظنه صوزي**) : هيا، افتحْ.

مرْكور : لماذا أفتح لك ؟ ولكن من انت لكي تقيم الدنيا وتقعدها ؟

أمْفيتريون : ألم تعرفني بعد ؟ هيا، افتح لي.

مرْكور : كلا، أنا لا أريد أن افتح لك.

أمْفيتريون (**على حدة**) : ارى جميع الناس قد فقدوا عقولهم. فما هذا الجواب الذي اتلقّاه ؟ (بصوت عالٍ) إفتح، يا صوزي، هيا افتح لي.

مرْكور : أجل، انا صوزي. وهل ظننت أني لا اعرفك ولا أتذكرك ؟

أمْفيتريون : ألا تراني أنتظر، ايها الغبي الاحمق ؟

مرْكور : نعم، انا أبصرك. لكن، ماذا حملك على المجيء في هذه الساعة ؟ وكيف تطلب مني ان افتح لك ؟

أمْفيتريون : وكيف تردّ انت عليّ بهذه الوقاحة، أيها الخسيس ؟
مرْكور : ماذا تريد مني ؟ قل لي بدون تأخير كي اسمع حجتك.
أمْفيتريون : ترقّب مني الويل، ايها الخائن. فاني مصمم على إسماعك ما لا يرضيك. وسأعلّمك كيف تجيب مولاك بمثل هذه الوقاحة وهذه اللّهجة المهينة.
مرْكور : انا أتحدّاك إن كنت حقاً تنوي اساءة معاملاتي. إفعل ما بدا لك، فلن أُبالي بتهديدك ووعيدك.
أمْفيتريون : ما هذا الاستهتار، ايها الخادم الجاحد ؟ سأعلمك كيف تكون مؤدّباً، ولا سيما تجاهي.
مرْكور : هل تظنّ اني عبدك الذليل لتتهجّم عليّ هكذا ؟ لسوف تندم على تطاولك بهذه اللجهة المهووسة على رجل مثلي لا يهاب المنايا.
أمْفيتريون : لقد طفح الكيل بما تتلفظه من كلام متشامخ، لا سبيل لي الى تحمّل سفالته. ولسوف أجابهك وأحطّم رأسك كما تقتلع العاصفة كل ما يعترض سبيلها وتجرفه أمامها الى اعماق الهاوية.
مرْكور : حقاً، ان لم تبادر الى مغادرة هذا المكان طوعاً، وتغرب من وجهي الى الابد، لا بد لك من ان تنال جزاء وقاحتك كم صفعة، بل كم جرحاً بليغاً يشوّه سحنتك اللئيمة.
أمْفيتريون : أَبَلَغَ بك الجنون ان تخاطب هكذا سيدك وولي نعمتك ؟
مرْكور : من انت لتدّعي انك سيدي ؟
أمْفيتريون : ماذا تقول أيها الخبيث الدنيء ؟ الم تعرفني بعد ؟
مرْكور : انا لا اعترف إلا بسيدي امفيتريون.
أمْفيتريون : انا أمْفيتريون بالذات أخاطبك. ومن تريد أن يكلمك ويأمرك أحد سواي أنا ؟
مرْكور : من انت لكي تدّعي انك أمفيتريون ؟
أمْفيتريون : انا امفيتريون بدون أي شك. أجل انا هو.
مرْكور : ما هذا الهذيان ؟ ألّا قُلْ لي من أية حانة انت قادم، ايها السكران المغرور ؟

أمْفيتريون : ماذا اسمعك تقول ؟
مرْكور : كم كأس خمرة كرعت حتّى صرت في هذه الحالة من السكْر ؟
أمْفيتريون : يا الهي.
مرْكور : وهل كانت الخمرة التي كرعتها جديدة ام معتّقة ؟
أمْفيتريون : سأحطّم عظامك، ايها المهووس.
مرْكور : الخمرة الجديدة تلهب الدماغ اذا شربها الانسان بدون ان يمزجها ماءً، كما هو حالك على ما أرى.
أمْفيتريون : سأقطع لسانك القذر، ايها الثرثار الحقير.
مرْكور : لا تُرْغِ ولا تُزْبِدْ. فلن يصغي اليك احد. انا ايضاً أحبُّ شرب الخمرة. فاذهَب من هنا بسلام، ودعْ امفيتريون جانباً مرتاح البال يهنأ بالسعادة التي يتذوّقها هنا الآن.
أمْفيتريون : ماذا تقول ؟ هل حقّاً امفيتريون في الداخل ؟
مرْكور : طبعاً، وهو بعد ان قطف غار المجد يتمتع في هذه اللحظة بقرب حبيبته ألْكْمان، ويتلذذ بالطافها وكنوز عواطفها التي لا تنضب. وإيّاك ان تعكّر عليهما صفو هذه الاويقات الحلوة التي تحقّ لهما كزوجين ينعمان بخلوتهما الهادئة التي يتمنّيان أن تدوم الى الابد.

المشهد الثالث

امفيتريون.

امْفيتريون : ما هذا الكابوس اللعين الذي يجثم على صدري ويكاد يزهق انفاسي إثر هذا الحديث المشؤوم ؟ من هو هذا الخائن الخبيث الذي تجاسر على مخاطبتي بمثل هذه الوقاحة والنذالة ؟ من هو هذا الصعلوك الذي بلغت به السفالة ان يدنّس شرفي ويعتدي على اقدس حرماتي، وانا في ذروة النصر والمجد ؟ لن يهدأ لي بال قبل ان اميط اللثام عن هذه الغوامض التي لا يتقبّلها أي عاقل.

المشهد الرابع

صوزي، ونوكراتيس وبوليداس وأمْفيتريون.

امْفيتريون (**لامفيتريون**) : كل ما استطعت ان افعله، يا مولاي، هو ان آتيك بهؤلاء السادة.

امْفيتريون : حسناً فعلتم بمجيئكم اليّ، يا اصحابي.

صوزي : سيدي.

امْفيتريون : ايها الاحمق المغرور.

صوزي : ماذا تقول ؟

امْفيتريون : سأعلّمك كيف تتصرّف وتخاطب مولاك.

صوزي : ماذا جرى ؟ ماذا فعلت انا ؟

امْفيتريون (**يستلّ سيفه**) : تتساءل عما فعلت، يا غبي ؟

صوزي (**لنوكراتيس وبوليداس**) : أرجوكما ان تتدخّلا في الامر، وإلاّ ....

نوكراتيس : أسألك ان توقف تهجّمك.

صوزي : اي جرم اقترفت انا حتى تغضب عليّ هكذا ؟

امْفيتريون : وتسألني ايضاً، ايها الجبان ؟ (لنوكراتيس) دعني أشفِ غليلي من دماء هذا الحيوان.

صوزي : قبل أن يُنفَّذ حكم الاعدام بالمشنوق، لا بد له من أن يعرف ما هي جريمته.

نوكراتيس (**لامفيتريون**): أرجوك أن تتنازل وتُعْلمنا أي جرم اقترف هذا المسكين.

صوزي : التمس منك، يا سيدي، ان تلحّ لمعرفة التهمة التي أُلْصِقتْ بي ؟

امْفيتريون : ماذا أسمع ؟ منذ لحظة بلغت وقاحته حدّاً لا يطاق، إذْ اغلق الباب في وجهي، ولم يشأ ان يفتحه لي، بل صرفني وهدّدني وأهانني. (يهزّ سيفه بيده) آه منك ايها الغبي.

صوزي (**يجثو على ركبتيه**) : رحماك، لقد هلكت.

نوكراتيس (**لامفيتريون**) : هدِّئ غضبك، أيها المولى الكريم.

صوزي : ارجوكم، يا سادة ....

بوليداس : ما هذا ؟

صوزي : هل ينوي حقاً ضرب عنقي ؟

امْفيتريون : لا بدّ له من ان يلقى جزاء ما جنت يداه، وأن يكفّر عن الكلام البذيء الذي وجّهه بوقاحة اليّ انا مولاه.

صوزي : كيف يمكنني أن افعل ذلك، وانا خادمك المطيع، وهؤلاء السادة الكرام يشهدون على صدق كلامي، ولطالما لمسوا خضوعي وولائي حين يأتون بتواتر لتناول الطعام هنا، وأني دائماً رهن إشارة مولاي.

نوكراتيس : حقاً، هذا ما لا يسعنا إلاّ الإقرار بصحة حدوثه.

امْفيتريون (**لصوزي**) : من أوْعز اليك بأن تتصرف كما فعلت ؟.

صوزي : انت، يا مولاي.

امْفيتريون : متى ؟

صوزي : بعد ان عقدت عهد الصلح والسلام، وقَدِمْتَ الى هنا لملاقاة سيدتي الكريمة الكمان. (ينهض صوزي وقوفاً على قدميه).

امْفيتريون : يا الهي. ماذا جرى ؟ وما هذه الاقوال الغريبة المتناقضة، والافعال العجيبة التي لا تُصدَّق ؟ لم أعد أدري ما الأمر. ولم اعد افهم معنى ما أسمعه من العبارات المتضاربة.

نوكراتيس (**لصوزي**) : عليك ان توضح لنا هذه الاحجية المعقّدة التي وضعتك في هذا الموقف الحرج، واطاشت صوابنا من سوء المعاملة التي بدرت منك، وجارح الكلام الذي بلغ مسامعنا.

امْفيتريون : هيّا بنا نضاعف جهودنا لجلاء الموقف. فأنا أكاد لا أصدّق أُذنيّ، وأودّ أن أُدرك حقيقة ما جرى، لان ما حدث لا أساس له من المنطق، ولم يكن قط بالحسبان.

المشهد الخامس

جوبيتار، وامفيتريون، ونوكراتيس، وبوليداس، وصوزي.

جوبيتار : من اضطرني للنزول الى هذا المستوى، ومن يتكلّم هكذا بصلف حيث انا السيد الوحيد الآمر المطاع.

امْفيتريون : ماذا أرى، أيتها السماء ؟

نوكراتيس : ما هذه المعجزة ؟ ماذا أُبصر ؟ هل في الواقع اثنان لشخص امفيتريون يَمْثُلان امامنا ؟

امْفيتريون (**على حدة**) : نفسي مضطربة، يا للأسْف. ولم أعد أدرك ماذا يجري حولي. لقد انجلى مصيري وتوقّعت كل ما يتهدّد كياني.

نوكراتيس : ما هذا الامر الغريب حقاً ؟ كلّما أمْعنتُ النظر في ما أُبصر، كلّما ازداد يقيني بان الشخصين يتشابهان كل الشبه.

صوزي (**يمرّ بجانب جوبيتار**) : هذا هو، يا سادتي، هذا هو الشخص بعينه الذي قابلني، والآخر ليس سوى محتال دجّال يستحق الشنق.

بوليداس : انا محتار، لأني لم أعد أحسن التمييز والحكم بصفاء ذهن.

امْفيتريون : لا يمكنني أن أقبل بهذا الواقع الشاذّ المحيِّر. فهذا المحتال الحقير، يجب ان ينال عقابه على انتحاله صفتي بهذه الوقاحة الدنيئة.

نوكراتيس (**لأمفيتريون الذي لا يزال يشهر سيفه**) : توقّف، ولا تأتِ بحركة.

امْفيتريون : دعني أفعل ما يلزم.

نوكراتيس : يا الهي. ماذا تريد أن تصنع ؟

امْفيتريون : ان أقاصص الجاني الجسور على خيانته الفظيعة.

جوبيتار : مهلاً. فالغضب لا يحلّ المعضلات. وحين يستشيط الانسان غيظاً لا يبقى امامه من مجال لإثبات الحق الذي يكون الى جانبه.

صوزي : أجل، هذا المدّعي ليس سوى رجل هزيل الشخصية يتشبّه بالسادة الكرام.

امْفيتريون : سأعلّمك كيف تصدر احكامك الفاشلة، بما سأكيله لك من الضرب المؤلم.

صوزي : مولاي رجل شجاع، ويأبى ان يدع احداً يضربني ويظلمني.
امْفيتريون : دعني أؤدّبك، يا قليل الحياء، وأغسل العار الذي تريد ان تلحقه بي بجحودك إحساني وخروجك على طاعة أوامري.
نوكراتيس (**يوقف امفيتريون**) : لا يسعنا ان نسمح بمثل هذا القتال الجائر، فينازل امفيتريون نفسه بشخص يشبه أمفيتريون.
امْفيتريون : هل غرّكم مظهر هذا المحتال، فانخدعتم بادّعائه انه هو أمفيتريون الحقيقي ؟ ورحتم تدافعون عنه وتحمونه من غضبي وانتقامي أنا القائد المنتصر.
نوكراتيس : كيف تريد ان نتصرّف حيال مشهد شخصين يدّعيان انهما أمفيتريون بالذات. وقد ثبّطا همّتنا اثناء الفصل في هذه المشكلة، حين عرفنا ان احدهما إكتسب أمجاد مدينة طيبة وعلينا ان لا نشكّ بمقدرته وبسالته في ساحة الحرب، ولا ننسى ان الثاني محتال ماكر يخبّئ نذالته خلْف إدعائه بأنه البطل المقدام. علينا اذاً ان نكشف حقيقة كل منهما على ضوء الواقع الأكيد لتكريم المولى الفضيل والإقتصاص من المجرم الوضيع. وهنا تكمن العقدة العسيرة الحلّ بينهما. فمن هو الصادق منهما ومن هو المنافق ؟ الأمر في الحقيقة ليس بهيّن.
جوبيتار : الحق كل الحق الى جانبكم. لأن هذا الشبه التامّ محيّر، ولا يجوز لكم ان تخلطوا بين الشبيهين الاثنين. لا بدّ من الانتباه الى ان القضية تحتاج الى كثير من الدقة والخبرة والمهارة لمعرفة أيّ أمفيتريون منّا هو الحقيقي الاصيل وايّ هو المزيّف. وعليّ انا ان ازيل من امامكم هذا الالتباس المعقّد. فما لنا إلّا ان نحتكم ايضاً الى أهالي طيبة الذين يمكنهم ان يفصلوا فيما بيننا ويبتّوا بالامر جدّيّاً، ولا سيما الى شهادة زوجته أَلْكمان، ولها من الوزن الراجح ما لا يُضاهَى في الحسم نهائياً. وتبرير إدعاء كل منا وكشف هذا الغموض المحيّر. إذاً ارجوكم ان تسألوها رأيها الصريح اثناء تناولنا طعام العشاء الذي دعاكم اليه صوزي.
صوزي : انا غير مخطئ، يا سادتي، وعلي أن أحسم هذه الحالة الشاذة من الحيرة والتردّد. أؤكد لكم أن امفيتريون الحقيقي هو صاحب المنزل الذي نزمع فيه أن نتعشّى.

امْفيتريون : ايتها السماء، ما هذه المذلّة. هل تحتّم عليّ ان انتظر هنا واتحمّل عذابي، وأدع هذا المحتال يتبجّح بمثل إدّعائه الكاذب وأقف مكتوف اليدين ؟

نوكراتيس (**لامفيتريون**): انت تتذمّر بدون حقّ. فاسمح لنا بأن ننتظر توضيح هذه القضية الشائكة. اذ لا بدّ لأحدكما من أن يكون صاحب الحق.

امْفيتريون : ما بالكم، أيها الأصحاب غير الحازمين الذين بدون ان تدروا تتملّقون المحتال ؟ إن أهالي طيبة يحفظون لي أجمل تذكار وهم مستعدّون لمساندة أقوالي الصادقة.

جوبيتار : وانا انتظر حكمهم وقرارهم. فلْنعرضْ القضية عليهم ونستفتيهم.

امْفيتريون : أيها الخبيث الماكر، هل تظن انك بهذا المطلب تجد مهرباً يقيك ثورة غضبي وانتقامي.

جوبيتار : ستضطر الى دفع ثمن هذا الكلام المهين غالياً جداً. ولن اجيبك انا عليه إلّا بكلمتين حاسمتين.

امْفيتريون : لن تنجيك السماء من نقمتي، ايها الدجّال، وسألحق بك حتى الى قعر الجحيم لانتقم منك شرّ انتقام.

جوبيتار : لا حاجة الى اللحاق بي. فالامر لن يبلغ بنا هذا الحدّ.

امْفيتريون (**على حدة**) : هيا بنا، ولْنسرع قبل ان يخرج الامر من يدنا ويهرب هذا الجبان. اجمعوا الاصحاب ليشاهدوا كيف سيخترق سيفي صدر هذا المدّعي اللئيم.

جوبيتار : هيا، هيا. لندخل الى البيت بعجلة.

نوكراتيس : هذه مغامرة لا اوّل لها ولا آخر.

صوزي : عليكم ان تعتصموا بالتروي والتبصّر، يا سادتي. ولا بدّ لكم من الصبر الى الغد حتى تنجلي الامور كما نبتغي جميعا. (وحده) ما لي أطوّل الشرح واوجّل إجلاءِ الغموض الى الغد، وانا بطني الخاوي يتضوّر جوعا ؟

المشهد السادس

مركور وصوزي.

مرْكور : لماذا جئت تزجّ نفسك في هذه المشكلة الغامضة، وانت معروف بما اشتهرت به من السطو على المطابخ ؟

صوزي : ارجوك ان تخفض صوتك.

مرْكور : اراك تحاول الرجوع الى مكانك المعهود.

صوزي : مع الاسف الشديد. انا أعرفك شجاعاً كريماً. فأرجوك ان تلزم جانب الإعتدال. فأنا صوزي ألْتمس منك ان تكفّ عن نعتي بما ليس فيّ من صفات، لئلاّ تزيدني تورّطاً وتثبت ما ينسبه الغير اليّ زوراً وبهتاناً.

مرْكور : من يتهمك بما هو في صميم طبعك لا يظلمك، وقد خبرناك جيداً في هذا الميدان الذي تصول فيه وتجول.

صوزي : نحن كلانا نخصّ سيداً واحداً، ونخضع ختماً لأوامره. وانا صوزي يعرفني الجميع، ولا يخطئ إنسان بالتوجّه اليّ بهذا الاسم الذي يدل عليه رسمي. ولكن، كيف يتسنى لك انت أن تدّعي بأنك انت صوزي ؟ لنترك الآن شخصَيْ امفيتريون، يثبت كل منهما من هو الحقيقي في الواقع، ولندعْ شخصَيْ صوزي يُمضيان هذا الوقت العصيب بسلام ووئام.

مرْكور : لا، لا. يكفي ان يكون أحدنا صوزي، ليظهر احتيال الآخر المدّعي.

صوزي : انا اتنازل الآن عن حقّي، وأقبل بأن تكون انت الاول وانا الثاني كي نتفادى كل نزاع وخصام فيما بيننا.

مرْكور : أمّا انا فلا ارضى، ولا أقبل بأن أكون الأخ المتعِب، بل أفضّل أن أكون الوحيد في محيطي.

صوزي : يا لك من مستبدّ عنيد. ألَا تريد ان أكون انا كظلّك ؟

مرْكور : لا، ابداً.

صوزي : ارجوك ان تُبدي قليلاً من اللين والإنصاف، وأن لا تُحرج موقفي، فأكون لك من الشاكرين.

مرْكور : ليس من طبعي التساهل في مواقفي، بل أُصرّ على فرض شريعتي في كل ما يخصّني.
صوزي : ما أتعس حظي إذاً، أنا صوزي المسكين.
مرْكور : ماذا تقول ؟ ألا تزال تدّعي انك صوزي ؟
صوزي : لا أدّعي أن اسمي صوزي، بل أتحدّث عن شخص آخر يحمل هذا الاسم ذاته، كان سابقاً من اقربائي، وقد طُرد عن المائدة حين كان يتعشّى.
مرْكور : حذارِ أنْ تُكرّر هذا القول. وإلّا لن تبقى في عداد الاحياء.
صوزي (**على حدة**) : كم اودّ ان أنهال عليك بالضرب، لو كان لي بعض الشجاعة، يا ابن الزانية، المنتفخ عجرفة وكبرياء.
مرْكور : ماذا تقول ؟
صوزي : لا شيء.
مرْكور : لقد سمعتك تُتمتم بعض كلمات.
صوزي : لا، لا. لم ألفظ حرفاً واحداً.
مرْكور : بلى، لقد بلغ مسمعي بعض غمغمات، يا ابن الزانية. وهذا امر اكيد لا يمكنك ان تنكره وتنفيه.
صوزي : لا بد من ان تكون بجوارنا ببغاء تردّد مثل هذا الكلام.
مرْكور : الوداع اذاً. عندما يعنّ على بالك ان تتلقّى بعض السياط، تجدني على الدوام حاضراً ها هنا.
صوزي (**وحده**) : ايتها السماء، ما ابعد وقت تناول الطعام، وما حرماني من الأكل إلّا امر كريه امقته بكل قواي. لكن، ما عليّ إلّا ان أتبع خُطَى مصيري، لعلّه يهديني الى ضالتي المنشودة. ما عليّ إلّا ان اضمّ تعاستي انا صوزي الى شقاء مولاي امفيتريون الذي أراه مقبلاً الى هذا المكان.

المشهد السابع

أمفيتريون، واكاتيداس، وبوزيكْليس وصوزي

أمْفيتريون : قفوا، يا سادتي، ولنتبعْ هؤلاء عن بعد. أرجوكم ان لا تتقدّموا إلّا عندما يقتضي الأمر.

بوزيكليس : انا أفهم جيداً ان يؤثّر هذا الموقف عليك كثيراً.

أمْفيتريون : آلامي تجتاحني من كل حدب وصوب. وانا اشقى بما يصيب حبّي وما ينتاب شرفي من الإمتهان.

بوزيكليس : اذا كان الشبه هكذا كبيراً، لا بد لألْكمان من أن ....

أمْفيتريون : في هذه القضية الشائكة، أقلّ هفوة تصبح جريمة نكراء. وبدون ان يعلم البريء يذهب ضحية الاستهتار والاستغلال. فلا بدّ من تحاشي الغلط، والتمسّك بحبل الصواب، وإلّا فلن تُغتفر خطيئة العقل إن طاش، ولن يعرف الشرف والحب معالم السماح والغفران.

اركاتيداس : تفكيري لن يعرف الارتباك. وكم أكون خجولاً إن عارضت التأجيل الصادر عن هؤلاء السادة. لأن قلبي المسحوق لن يوافق على ما يبدر من سماحة هؤلاء وتساهلهم. فأنا أركاتيداس، لن أرضى مطلقاً بما يحاول المسؤولين ان يفضّوه من خلافنا بالتراضي وغضّ النظر عما يلوم به الصديق خصمه المتواري بسبب ما يكنّه له من عداء. ولا بد للرجل الأصيل من ان ينتقم لشرفه المهان. هذا مبدأ عامّ لا أحيد عنه فأتشبّث دائماً لإحقاق الحقّ. إذْ إني انا أرْكاتيداس ألْتزم باستمرار جانب الاستقامة، ولا أحابي، فآخذ بيدٍ ما اكون قد منحته باليد الاخرى.

أمْفيتريون : كم أحسدك على هذه الفلسفة العويصة.

صوزي : جئت أجثو عند قدميك، يا مولاي. ملتمساً عقابي على ما بدر مني من إساءة. فاضربني، أجل إضربني كما يحلو لك. ولا ترحمني إن كنت أستحق فعلاً هذا العقاب. ولا تتردّد في قتلي إن كان غضبك لا يهدأ إلّا بتشفّيك مني. وانا لن أُمانعك، بل استسلم الى عدلك طائعاً راضياً.

أمْفيتريون : هيا، انهض. ماذا دهاك ؟

صوزي : لقد طُرِدتُ من مائدتك، يا مولاي الكريم. وأنا لا يسعني أن اتنصّل من خدمتك، وآبى إلاّ طاعتك. لكني أُعلِمك بأن الخادم الآخر قد انتهرني، وتصرّف حيالي كإبليس الرجيم. فهلاّ انصفتني منه وأعدت الحق الى نصابه، يا مولاي أمْفيتريون ؟

أمْفيتريون : اتبعني، وسنرى.

صوزي : يجمل بي ان أنظر إن كان احد قادماً الى هنا.

المشهد الثامن

كليانتيس، ونواكراتيس، وبوليداس وصوزي وامفيتريون واركاتيداس وبوزيكليس.

كليانتيس : ايتها السماء.

أمْفيتريون : من يفزعكِ هكذا ؟ وماذا يُرهبكِ على هذه الصورة ؟

كليانتيس : انا تعبة. وانت تطلّ من الاعالي. بينما انا ابصرك ها هنا.

نوكراتيس (لامفيتريون) : لا تستعجل هكذا. ها هوذا قد أقبل. وبناءً على ما سمعناه، لا يسعنا ان نحكم إلا بأننا أمام سرّ عويص الإشكال ثقيل الوطأة.

المشهد التاسع

مركور وكليانتيس ونوكراتيس وبوليداس وصوزي وامفيتريون واركاتيداس وبوزيكليس.

مركور : نعم سترون وتعلمون سلفاً بان ألْكمان أنزلت من العلاء هذا الشبيه الكبيرِ، ربّ الآلهة الى هذا المكان. وبما اني انا مركور لا أعي ماذا افعل، وبّختُ قليلا هذا الذي اتخذت انت هيئة تشبهه، وانتحلت اسمه، وانا اعرف

ان من يذهب ضحية هذا الإفتراء المشين، لا بدّ له من ان يتحمّل اعباء نتائجه.

صوزي : اعتبرني، ايها الاله، خادمك المطيع، لكن إعْفني من شرف الخضوع لأهوائك المتضاربة.

مركور : ها أنا اصرف النظر عن كون اسمه صوزي، وأُعفيه من حمل وجه قبيح كوجهه. وسأعود الى الاعالي لأُزيل هذا الاجحاف بحقّه. (يرتفع في الفضاء).

صوزي : وَقَتْني السماء من الدنوّ إليك، لأن غضبك حلّ عليّ في وقت من الاوقات، ولم أبصر في حياتي ابليساً رجيماً أبشع منك.

المشهد العاشر

جوبيتار، وكليانتيس ونوكراتيس وبوليداس وصوزي وامفيتريون واركاتيداس وبوزيكليس.

جوبيتار (**وهو فوق غيمة**) : انظر، يا امفيتريون، الى خصمك، وتمعّن في ملامحه جيداً لتعرف تماماً من هو. فقد إتّخذ قسمات محيّاك وبدا كأنه شخصك بالذات. ومن هذه العلامات، يمكنك ان توقن بالاهتداء الى شخصه الحقيقي. وهذا كافٍ ليعيد الى قلبك الأطمئنان، ويجعلك تنعم بما يطلبه بالك من هدوء وسلام. فكن واثقاً بأني انا جوبيتار، لا أضمر لك ما يدنّس شرفك طبعاً، ولا يمرّغ حبك بالأوحال. وأنا أستغرب غيرتك وغيظك من تصرفي، وإن أكُنْ انا الإله جوبيتار، فلك انت ملء الحق بان تحافظ على عطف زوجتك وحنانها، وان تنعم بألْطافها وكنوزها، وأن تكون على يقين بانها لم تَخُنْ عهدك ولا رضيت بسواك بديلاً كحبيب وزوج. وليطمئن بالك من هذا القبيل لأن ظنونك لا ترتكز على اي اساس من الواقع.

صوزي : حقاً، مولاي الاله جوبيتار، يعرف كيف يداري الامور ويعيد الحق الى اصحابه.

جوبيتار : دعْ عنك اذاً هذه الافكار السوداء واطرد من رأسك هذه الأوهام. فان امورك لا تزال تجري في المسار الصحيح، ولا غبار على عواطف شريكة حياتك بالنسبة اليك، فانت حبيب عمرها الوحيد، وانت على الدوام تستحقّ فيضاً من الامجاد على شجاعتك، ومن الاخلاص والمودة على هيامك ووفائك لمالكة لبّك ألْكْمان. واعلم ان تصرّفك السليم المشرّف قد استدرجني الى منحك كل ما تشتهيه وتتمنّاه من ثمار الهوى والحياة. فانا الإله جوبيتار أقدّر حسن سعيك حق قدره وأجعل من نصيبك خير المصير (يتوارى بين الغيوم).

نوكراتيس : أنا مرتاح جداً إلى هذا القول السديد، والعمل الجدّي المجيد.

صوزي : هل تريدون يا سادتي، ان تتبعوا نصيحة صادقة ؟ لا تركبوا أبداً هذا المركب المترجرج السلس الأمواج لأنه رغم سهولة مسلكه لا يؤدي إلّا إلى الهلاك المحتّم. ثم من جهة أخرى هذا الإطراء في غير محله ليس سوى مرحلة شائكة، وزهو الوعود هو بدون شك أمر ثانوي. إذ يمنّينا بالسعادة الثابتة والازدهار الأكيد، وليس من مجال إلى تصديق أقاويله وخطبه المعسولة الرنّانة. فما على كلٍّ منّا إلّا أن ينسحب من هذا المأزق الوخيم العاقبة. لأن أسلم الأجوبة هو عدم الردّ، ما دام الصمت زين والسكوت سلامة.

(تمت)

السَيّد دي بُورسْيَاك

اشخاص المسرحية

السيّد دي بورْسيّاك :	
السيّد دي بورْسيّاك :	
أُورونْت :	
جولي	: ابنة أُورونْت
نارين	: امرأة مشاغبة
لوليت	: مشبوهة من كاسكوني
أَراسْت	: عاشق جولي
إِسْبْريكاني	: مشاغب من نابولي
طبيب أول	
طبيب ثانٍ	
صيدلي	
فلاّح	
فلاّحة	
موسيقي أوّل	
موسيقي ثانٍ	
محامٍ أول	
محامٍ ثانٍ	

حاجب اول
حاجب ثانٍ
رجل أمن
مسلّحان : عدّة موسيقيّين
عازفون وراقصون

الأحداث تجري في باريس

مقدّمة

يُرفع الستار على حفلة رقص وغناء.
يتشاجر اثناءها أربعة متطفّلين فيما بينهم،
وهم يُشهرون سيوفهم بعد عراك قصير يفرّق بينهم
حاجبان ويسوّيان امرهم. ثم يتابع الجميع رقصهم على ألْحان مرحة.

الفصل الاول

المشهد الأول

جولي، وأَراشْت، ونارين.

جولي : يا الهي. كُفَّ عن الدهشة، يا أَراشْت. فأنا أرتجف خوفاً من أن يرانا الناس معاً. فنخسر كل ما اكتسبناه بعد المنع الذي فُرِض عليّ.

أَراشْت : انا اتطلّع الى جميع الجهات ولا أرى أحداً

جولي : إفتحي عينيك جيداً، يا نارين، واحذري ان يُقْبِل الينا أيّ شخص

نارين : إتّكلي عليّ، وقولي بشجاعة ما تريدين أن تصارحيني به.

جولي : هل تصوّرت حلاً مناسباً لمسألتنا ؟ وهل تعتقد يا أَراشْت، أننا نستطيع ان نتوّصل الى تفْشيل الزواج المزعج الذي صمّم أبي على تتميمه ؟

اراست : على الأقّل نحن نبذل جهدنا في هذا السبيل. وها قد جهّزنا عدّة مشاكل لقلْب هذه القضية السخيفة رأساً على عقب.

نارين : انتبهي. هذا والدك قادم.

جولي : هيا نفترقْ بسرعة.

نارين : لا، لا تتحرّكي. لقد أخطأتُ، وليس هو الآتي.

جولي : يا الهي. ما لك تضعضعين تفكيري بحماقتك وقلة وعيْك ؟

اراشْت : نعم، يا جولي الحلوة، لقد ابتدعنا عدة تضليلات، ونحاول أن نجنّد كل امكاناتنا بموجب السماح الذي تكرّمتِ به عليّ. فلا تسألي

عن الطرق التي يمكننا أن نلجأ اليها. سنُدهش الجميع بما سنفعله في هذا السبيل. فما عليك إلّا أن تستعدّي لكافّة المفاجآت بشرط ان لا ندع أحداً يتوقّع ما سنقوم به من ضروب الألاعيب. كوني على ثقة بأنّ لديّ ما لا يُحصى من الحِيَل التي سنستخدمها في حينها لبلوغ غايتنا. لأننا نتّكل ايضاً كثيراً على دهاء نارين ومهارة إسْبْريكاني لمساعدتنا في الوصول الى هدفنا.

نارين : طبعاً، ابوك يهزأ بنا، إذ يضع في أعلى المراتب هذا المحامي السيد دي بورْسيّاك الآتي من مدينة ليموج، وهو لم يشاهده في حياته. هل يحتاج والدك الى ثلاثة أو أربعة آلاف ليرة ذهبية ليزيد بها ثروته، حسب قول عمك الذي يقنعه بأن يحرمك من حبيبك المتفاني في هواك ؟ وهل انتِ خُلِقْتِ لتتزوجي مثل هذا المحامي الاحمق الدخيل ؟ ما باله لا يدع الناس ينصرفون الى شؤونهم ؟ إن اسم السيد دي بورسْيّاك وحده يثير غضبي الشديد نظراً لما بلغني عنه من قبائح. أنا لا أستطيع سماع ذكره، فكيف بي امام هجمته لاختطافك من بين أيدينا ؟ حقاً، لقد آليت على نفسي أن أحرق كل كتبي ومجلّداتي الثقافية اذا لم أتمكن من الحيلولة دون هذا الزواج البغيض. لأني لا أقوى على تصوّرك وانت تصبحين قرينة هذا السيد دي بورسْيّاك السخيف. لا، لا، إن اسمه وحده يجعل الدم يصعد الى رأسي ويورثني الجنون. لا، لا، لن يتمّ هذا الزواج أبداً. ونحن جميعاً مستعدون حتماً للجوء الى كل الوسائل، ولن نتورّع عن أية دسيسة أو مؤامرة لطرد هذا العريس غير المرغوب من هنا، وارجاعه الى مدينته ليموج حال وصوله إلينا. ما أحمق السيد دي بورسْيّاك هذا الذي لا أطيق حتى سماع اسمه القبيح.

اراسْت : هذا هو صاحبنا الداهية ابن نابولي البارّ الذي سيزوّدنا بآخر الاخبار.

المشهد الثاني

إسْبْريكاني، وجولي، واراسْت، ونارين

إسْبْريكاني : يا سيدي، وصل الرجل الذي تنتظره. وقد شاهدته عن بُعْد ثلاثة أميال حيث نام المسافرون في العربة التي تنقلهم. ثم في مطبخ النزل حيث يبيت، وهو يتناول طعام الإفطار، فراقبت أوضاعه مدة نصف ساعة من الزمان، وحفظتها غيباً. ولقد تبيّنتُ من أيّة طينة صنعتْه الطبيعة، ورحتّ أُحصي حركاته وسكناته كما يجب. لكن، كن على ثقة بأن ذهنه من أغلظ ما في الوجود. وهو مادّة طيّعة نستطيع ان نتصرّف بها على هوانا. لأنه رجل لا رأي ولا مبدأ له وسنكيّفه كما نشاء.

اراست : هل هذا حقاً صحيح ؟

إسْبْريكاني : نعم، نعم، لأني خبير بأحوال البشر، كما تعرفني..

نارين : هذا رجل شهير، يا سيدتي. وقضيّتك بين يدي خبير عليم ليس أفضل منه لمعالجة مثل هذا المشكل. أجل هو إنسان مخلص، خاطر مرة بحياته ليخدم أصدقاءه بكرم ووفاء، إذ عرّض نفسه للهلاك أثناء مغامراته العديدة المعقّدة. وقد نُفِيَ أيضاً إلى بلاد بعيدة عن وطنه لأجل قضايا مشرّفة أصرّ على التمسّك بها رغم كل المحاذير.

إسْبْريكاني : لقد أخجلتموني بما تجودون به عليّ من مديح، بسبب ما قمت به من واجباتي، ولا سيما شرف إنقاذ الغريب الذي كان بصحبة بعض أصدقائي، ، وقد تهدّده أحد الأشرار بالقتل لأنه لم يدفع له فدية بلغ قدرها إثنَيْ عشر ألْف ليرة ذهبية، عندما اضطررتم الى توقيع عقد معه يفوق هذا المبلغ الضخم بكثير، فأدّى تدخلّكم لإنقاذه بوسيلة هكذا شهمة الى شنق المعتدي وزميله الذي يستعين به على تنفيذ وعيده.

نارين : هذه أمور تافهة لا تستحقّ الذكر، وقد جعل ثناؤكم خدّيّ يحمران من الخجل.

إسبريكاني : انا أُقدّر تواضعكِ. دعي هذا الكلام جانباً. ولنبدأ بحلّ مشكلتنا.

هيا ننضمّ الى صديقك، بينما نحن نتظاهر بتمثيل المسرحية التي خطّطنا تفاصيلها المُحْكَمَة.

اراست : على الأقل، يا سيدتي، تذكّري دورك جيداً. ولكي نستر لعبتنا، تظاهري أنتِ بقبولك قرار والدك بكل بساطة وطبعيّة.

جولي : اذا كان الامر ينقضي هكذا، ستنحلّ المسألة على أحسن ما يُرام.

اراست : لكن، يا عزيزتي جولي، ما العمل ان لم تنجح مساعينا ؟.

جولي : سأعلن رغبتي الحقيقة أمام والدي ليكون على بيّنة من أمره.

اراست : واذا أصرّ بعناد على تنفيذ قراره ؟.

جولي : سأهدّده بأني في هذه الحالة ذاهبة الى الدير، وارفض فكرة الزواج.

اراست : واذا بقي على عناده والحّ عليك لتقترني بالرجل الذي اختاره لك ؟.

جولي : ماذا تريد ان أفعل ؟.

اراست : تسألينني ماذا أريد أن تعملي ؟.

جولي : نعم .

اراست : أن تصرّحي له بما يعلنه العشاق عادةً في مثل هذا الموقف.

جولي : قل لي ماذا.

اراست : أعلني له أنْ لا قوّة في الدنيا تستطيع ان تجبرك على مطاوعته، حتى ولا تهديده ووعيده، وانكِ لن تكوني لزوج سواي.

جولي : يا الهي. إقنَعْ يا اراست، بما أصرّح به الآن، ولا تحدّد لي ما عليّ أن اقول لتلبية نداء قلبي. لا تتصوّر أن الواجب يحتّم عليّ أن أجابه والدي بهذه الطريقة من التطرّف، فقد لا نحتاج اليها. وإذا اضطررنا الى الخروج عن المألوف، لا بد لنا من أن نحتاط للتخلّص بسهولة من مأزقنا الحرج.

اراست : ماذا تقولين ؟

اسبريكاني : مهلاً، ها هوذا الرجل، فعلينا أن نتروّى.

نارين : ما أصلب عوده.

المشهد الثالث

السيد بورْسيّاك (يلتفت الى الجهة التي يأتي منها، كأنه يخاطب أناساً يلاحقونه)، واسبريكاني.

دي بورسْيّاك : ما الخبر ؟ ماذا يجري هنا ؟ ما أغرب هذه المدينة، وما أسخف سكّانها. لا أرى سوى سذّج واغبياء ينظرون اليّ ويضحكون بدون سبب. أيها المغفّلون، إنصرفوا الى أعمالكم ودعوا غيركم يهتمّ بشؤونه، ولا تسخروا من أحد. إن لصبري حدوداً ولا أضمن ضبط نفسي كي لا أوجّه الى كل منكم ضربة بقبضة يدي تحطّم رأسه.

اسبريكاني : ما هذا الحديث، يا سادة ؟ من يتكلّم هكذا ؟ وإلى من يوجّه كلامه ؟ هل يحتاج الغريب هنا للجوء الى مثل هذا الانذار ليكون بأمان ؟

دي بورسياك : هذا رجل عاقل ينطق بحكمة ورويّة.

اسبريكاني : ما هي غايتكم ؟ ولماذا تضحكون ؟.

دي بورسيّاك : هذا حقاً ظريف.

اسبريكاني : هل مظهر هذا السيد يستدعي الاستغراب ؟.

دي بورسياك : نعم.

اسبريكاني : هل يختلف عن سائر البشر ؟

دي بورسياك : هل أنا مشوّه أو أحدب ؟

اسبريكاني : عليكم ان تحترموا غيركم، لكي يحترمكم بدوره.

دي بورسياك : ما أعقل هذا المنطق.

اسبريكاني : إن مظهر هذا الانسان يستوجب كل اعتبار.

دي بورسياك : هذا صحيح.

اسبريكاني : وهو شخص رفيع المستوى.

دي بورسياك : نعم، انا فعلاً من طبقة النبلاء.

اسبريكاني : وهو أيضاً رجل ثقافة وكياسة.

دي بورسياك : وقد درستُ القانون أيضاً.

اسبريكاني : شرّف المنطقة بمجيئه الى هنا.

دي بورسياك : بدون شكّ.

اسبريكاني : اذاً ليس مخلوقاً يستدعي الضحك.

دي بورسياك : طبعاً، بكل تأكيد.

إسبريكاني : ان من يهزأ به سيؤدي لي حساباً عسيراً عن ذلك.

دي بورسياك : أنت تغمرني بمعروفك ولطفك، يا سيدي.

اسبريكاني : انا لا أرضى بأن تُساء معاملتك هكذا، يا سيدي، واعتذرُ لك عن استهتار بعض أهالي هذه المدينة.

دي بورسياك : لست أدري كيف أردّ لك جميلك.

اسبريكاني : لقد ابصرتك هذا الصباح في العربة، ثم حين كنت تتناول طعام الإفطار، وكيف كنت تأكل بأناقة ولباقة، الأمر الذي مهّد نشوء الصداقة المتينة بيننا. وبما اني أعرف جيداً أنك لم تأتِ سابقاً الى هذه الديار، وأنك لا تعرف أحداً هنا، أوّد أن أعرض عليك خدماتي، وأن أكون لك دليلاً أميناً بين جماعتنا الذين لا يصونون إجمالاً حرمة الغرباء الشرفاء الذين يقصدون منطقتنا.

دي بورسياك : هذا لطف زائد منك، يا سيدي الكريم.

اسبريكاني : كما قلت لك، منذ رأيتك، قدّرت مكانتك ومستواك الرفيع.

دي بورسياك : لا اعرف كيف اشكرك على ألْطافك.

اسبريكاني : لقد أعجبني مظهرك ايضاً.

دي بورسياك : هذا شرف كبير توليني إياه.

اسبريكاني : لأني ايقنت بسمو اخلاقك الحميدة.

دي بورسياك : حقاً أنت إنسان تستحقّ كل اعتبار وإجلال.

اسبريكاني : هذا من سماحة نفسك ورحابة صدرك.

دي بورسياك : بل هذه هي الحقيقة المجرّدة.

اسبريكاني : كل هذا من مزاياك الأصيلة.

دي بورسياك : هذا حقاً تصرف مشكور بكل معنى الكلمة.

اسبريكاني : لا بل هذا أصدق دليل على علوّ همتك.

دي بورسياك : في الحقيقة، هذه صراحة تستحقّ الإكبار.

اسبريكاني : صدّقني، هذه طيبة قلب نادرة الوجود.
دي بورسياك : أؤكد لك أني أقدّر شهامتك حقّ قدرها.
اسبريكاني : هذا من أوجب واجباتي.
دي بورسياك : لقد سبقتني في اللياقة واللطافة.
اسبريكاني : أنا أخاطبك بمنتهى الوفاء والأمانة.
دي بورسياك : إني على يقين من صفاتك العالية النزيهة.
اسبريكاني : لأني عدوّ التزلّف والنفاق.
دي بورسياك : وانا واثق كل الثقة بما تقول.
اسبريكاني : إني لا استطيع إخفاء حُسْن نيّتي.
دي بورسياك : الامر الذي ألْمسه لمس اليد.
اسبريكاني : لا تنظر الى ثيابي التي لا توازي ما ترتديه سيادتك. فأنا اتمسك ببساطة المظهر وصدق القول.
دي بورسياك : تصّرفك رائع، لم أشاهد له مثيلاً في حُسْن الضيافة والإكرام. مع أني مطّلع جيداً على أصول العيش في الأرياف والمدن ايضاً.
اسبريكاني : صّدقني، انا لا أُحبّ التملّق أبداً.
دي بورسياك : لقد قال لي خيّاطي إن زيّي غنيّ وفقير في آن واحد، وإنه لن يُلفت الانظار هنا بتاتاً.
اسبريكاني : بالعكس هو في غاية الأناقة والذوق السليم. ألا تريد أن تزور قصر اللوفر لتقدّم احتراماتك للملك ؟.
دي بورسياك : لا بدّ لي من الذهاب إلى هناك.
اسبريكاني : لأن الملك سيُسَرّ بزيارتك.
دي بورسياك : هذا لسان حالي انا ايضاً، وشرف كبير افتخر به.
اسبريكاني : والآن، هل حجزت مكاناً تبيت فيه ؟
دي بورسياك : كلاّ. أنا أبحث عن استضافة لائقة.
اسبريكاني : يسرّني أن أجد لك ما تبحث عنه، لأني أعرف جيداً هذه الجهات.

المشهد الرابع

اراسْت، واسبريكاني، ودي بورسْيّاك

اراست : ما هذا ؟ ماذا أرى ؟ هذه صدفة سعيدة. لان مشاهدتك، يا سيدي دي بورسياك، تبهجني كثيراً. وكم أنا مسرور بلقائك المفاجئ. كيف جرى ذلك ؟ يظهر عليك انك لم تتذكّرني بعد.

دي بورسياك : انا في خدمتك، يا سيدي.

اراست : هل يُعقَل أن تكون الاعوام الخمسة او الستة التي حرمتني من رؤياك قد مَحَتْ صورتي من ذاكرتك ؟ وأنت تلتقي الآن بأُخلص صديق لأُسرة دي بورسياك ؟ .

دي بورسياك : أُعذرْني (يخاطب اسبريكاني) : لا أعرف من يكون هذا الشخص.

اراست : لا يوجد أحد من اسرة بورسياك النبيلة في مدينة ليموج لا أعرفه منذ زمن طويل. وانا لم أعاشر أحداً لا ينتمي الى هذه الأُسرة الكريمة التي كنت أزورها تقريباً كل يوم. هذا شرف أعتزّ به حقّاً.

دي بورسياك : الشرف لي، يا سيدي.

اراست : ألا تتذكر وجهي مطلقاً ؟

دي بورسياك : أجل، اجل. (يخاطب اسبريكاني) الآن تذكرته تماماً.

اراست : الا تتذكّر اني شربت نخبكم مراراً عديدة ؟

دي بورسياك : أُعذرْني. (يخاطب اسبريكاني) : لا أفهم عمّا يتكلّم.

اراست : ما اسم المطعم الشهير الذي يُقدِّم لزبائنه أشهى المآكل ؟

دي بورسياك : اسم المطعم « حنّا الصغير ».

اراست : هذا هو. كنّا نذهب اليه معاً في معظم الأوقات للتسلية والتلذُّذ بمآكله الفاخرة. وما اسم المكان الذي كنا نقصده للتنزّه في ليموج ؟

دي بورسياك : تلّة مقبرة الذوات.

اراست : تماماً. وكنّا نقضي فيه أطيب الاوقات بمحادثتكم الطليّة. ألا تذكر الآن ذلك ؟

دي بورسياك : أُعذرني إن لم أتذكره. (يخاطب اسبريكاني) : أنا لا أتذكّر ....

اسبريكاني : هناك مئات الامور التي لا أتذكّرها أنا ايضاً.

اراست : عانقْني، من فضلك لنوثّق علاقاتنا الحميمة القديمة.

اسبريكاني : حقّاً، هذا الرجل يحبّك بصدق وإخلاص.

اراست : أَخبْرني كيف أحوال عموم أفراد العائلة ؟ وكيف حال السيد ... إنه من أشرف الرجال الذين أعرفهم.

دي بورسياك : تعني أخي القنصل ؟

اراست : نعم، هو بعينه.

دي بورسياك : صحّته جيدة، والحمد لله.

اراست : هذا يسّرني حقيقة، لأنه مَرِح المزاج حلو المعشر. والسيد ....

دي بورسياك : تعني ابن عمّي مساعد القاضي ؟

اراست : هو بالذات.

دي بورسياك : دائماً نشيط وخدوم كعادته.

اراست : يسرّني أن أطمئنّ الى ذلك، والسيد عمّك ؟ ...

دي بورسياك : لا عمّ لي ؟ .

اراست : بلى، كان لك عمّ في تلك الأيام ؟ .

دي بورسياك : لا، ليس لي سوى عمّة واحدة.

اراست : هذا ما كنت أقصده. كيف حال السيدة عمّتك ؟

دي بورسياك : تُوُفِّيَتْ منذ ستة أشهر.

اراست : رحمها الله. مسكينة هذه المرأة. كانت طيبة القلب.

دي بورسياك : هناك ابن اخي الراهب الذي أوشك ان يقضي عليه المرض.

اراست : مسكين، هو لا يستحقّ إلّا كل خير.

دي بورسياك : هل تعرفه هو أيضاً ؟

اراست : طبعاً، كنت أعرفه. وهو شاب طويل القامة لطيف المعشر.

دي بورسياك : ليس طويل القامة كما تقول.

اراست : لكنه قويّ البنية.

دي بورسياك : أجل، أجل.
اراست : لكن ابن أخيك ...
دي بورسياك : نعم.
اراست : ابن أخيك أو إبن إختك ...
دي بورسياك : ما به ؟
اراست : يخدم كنيسة ... لا أذكر ما اسمها.
دي بورسياك : كنيسة القديس اسطفانوس.
اراست : هو بذاته الذي لا أعرف سواه.
دي بورسياك : يبدو عليك انك تعرف جميع انسبائي.
اسبريكاني : هو يعرفكم جيّداً اكثر مما تظنّ.
دي بورسياك : على ما أرى، لا بدّ من ان تكون قد مكثت زمناً طويلاً في مدينتنا.
اراست : طوال عامَيْن كاملَيْن.
دي بورسياك : كنتَ إذاً هناك يوم قدّم ابن عمّي المُنتَخب ولده الى سيادة الحاكم ؟
اراست : نعم، بالطبع. وكنت من أوّل المدعوّين.
دي بورسياك : هذا حقّاً ظريف.
اراست : ظريف جدّاً.
دي بورسياك : وكان العشاء فخماً للغاية.
اراست : بدون شكّ.
دي بورسياك : وقد شهدتَ الشجار الذي نشب بيني وبين أحد الذوات المتبجّجين ؟
اراست : طبعاً، طبعاً.
دي بورسياك : حقّاً ؟ ولقد ابصرت اذاً من يكلّمه ؟
اراست : فعلاً.
دي بورسياك : لقد صفعني، لأني صارحته بكل نقائصه.
اراست : طبعاً. بالتالي، أظن انك ستحلّ في المكان حيث أبيت انا.

دي بورسياك : لم أحجز بعد مكاناً.
اراست : هل تمزح ؟ لن أرضى أبداً أن ينزل اعزّ أصدقائي في بيت سواي.
دي بورسياك : لكني سأكون ...
اراست : لن أقبل أبداً. ستنزل ضيفاً في بيتي أنا.
اسبريكاني : بما انه يطلب ذلك منك بإلْحاح، لا بدّ من أن تكون ضيفه.
اراست : أين حقيبة سفرك ؟
دي بورسياك : تركتها مع خادمي حيث كنت منذ فترة.
اراست : أَرْسِلْ في طلبها فيأتيك بها حالاً الى هنا.
دي بورسياك : لا، لا. لقد منعته من إتيان أيّة حركة إلّا اذا كنت معه، خشية أن يكون ضحية ألاعيبه المزعجة.
اسبريكاني : هذا عين الصواب والتبصّر.
دي بورسياك : لأني لست واثقاً من حسن تصرفه.
اراست : لا سيما حيال امثالك من أهل الظرف والكياسة.
اسبريكاني : سأرافق هذا السيد وآخذه الى حيث تشاء أنت.
اراست : أجل. يسرني ان أُصدر اليه بعض الأوامر، وعليك أنت أن تسهر على تنفيذها، وأن تعود الى هنا في أقرب وقت.
اسبريكاني : نحن بانتظارك، فلا تتأخّر في موافاتنا.
اراست : وانا انتظرك أيضاً بفارغ الصبر.
دي بورسياك : هذا صديق لم أكن أترقب أن أصادفه في هذا المكان.
اسبريكاني : يبدو عليه انه إنسان شهم.
اراست(**وحده**) : ستسمع أخبارنا عما قريب، ونحن مستعدّون لمواجهتك بكل أنواع المعارضة. فالامور جاهزة، وما علينا إلّا إطلاق الإشارة المتّفق عليها للمباشرة بالهجوم.

المشهد الخامس

الصيدلي، وأراست.

اراست : أظنّ أنك الطبيب الذي ذهب أحد من قِبَلي لإستدعائك.

الصيدلي : لا، يا سيدي. لست أنا، لأني لست طبيباً، ولم أَحْظَ بهذا الشرف السامي إذْ إني لست سوى صيدلي بسيط في خدمتك.

اراست : وهل الطبيب موجود في داخل عيادته ؟

الصيدلي : أجل هو هنا، ومنهمك بمعالجة بعض المرضى. سأنبئه بحضورك.

اراست : لا، لا تزعج نفسك. سأنتظره لأقابله بغية مرافقته الى أحد ذويّ، وقد كلّمته عنه، فقد أُصيب بنوبةِ هوس، ونودّ ان يعالجه قبل أن يعقد زواجه قريباً.

الصيدلي : انا مطّلع على هذه الحالة. أجل، وكنت بصحبته حين أُنبئَ عن هذه الوضعية. حقاً، لا يسعكم أن تستعينوا بطبيب أمهر منه. لأنه عالمٌ يُتقن الطب بدقّة وإمعان. وأمام خطر الداء واستفحاله لا يُهمل حرفاً واحداً من توصيات أساطين الطبّ القدماء. نعم، هو من أبرع الأطباء الذين يتبعون القواعد الجوهرية، ولا يبحث عن علّة إلّا أصاب هدفه في الصميم. ولو قُدِّم له ذهب العالم برمّته لا يُعطي فعلاً لمعالجة المريض إلّا الدواء الناجح الذي تسمح به أهم كلّيات الطبّ.

اراست : حسناً، يفعل. لان المريض لا يصحّ عملياً إلّا بتناول الدواء الذي توصي به كلّية الطب.

الصيدلي : لا لكوننا أصدقاء، أنا أتكلم عنه هكذا، بل لأني، لو كنت مريضاً، أرتاح الى ان يعالجني هو بنفسه. وأفضّل دائماً أن أموت على يده بتناول دوائه وان لا يشفيني طبيب سواه. إذ اني واثق بأن الأمور مهما تقلّبت تظل بفضله ضمن حدود إمكان الشفاء القريب حتماً. واذا مات العليل وهو قيد المعالجة، فإنّ ورثته لن يجدوا ما يلومونه عليه من خطأ.

اراست : حقّاً، هذا أكبر عزاء للمُتَوَفّي أيضاً.

الصيدلي : بكل تأكيد. لأن الميت يعلم علم اليقين، بأن هذا الطبيب البارع

لا يساوم على الامراض، لأنه رجل إنساني لا يحبّ التخلّص من مرضاه. وعندما يحين الأجل المحتوم لا تتعقّد معه الأمور، بل يبادر المريض الى الخضوع ويتقبّل الموت على أهون سبيل وبأسرع وقت ممكن في هذه الدنيا الفانية.

اراست : في الواقع، لا أفْضَل من انتهاء العمر بمثل هذه البساطة والعجلة.

الصيدلي : هذا صحيح. وما الفائدة من إطالة المعالجة واللّف والدوران. فمِن عادته أن لا يطيل مدة المرض والمداواة اكثر من أربعة أيام. بينما سواه ربما مدّد المهلة الى ثلاثة اشهر، إن أمكن ذلك.

اراست : حقّاً يسرّني أن يكون لي صديق نظير هذا الطبيب الماهر العَجُول.

الصيدلي : بدون شك. انا لم يبقَ لي سوى ولدَيْن يهتم بهما كأنهما إبناه. وهو يداويهما ويتدبر أمرهما على هواه بدون ان يحيجني الى التدخل في شؤونهما. وفي أغلب الأحيان عندما أعود من المدينة يدهشني ان أراه يعالجهما ويعطيهما مسهّلاً بموجب مقتضيات المرض.

اراست : هذه معالجة فعّالة تستحقّ الشكر.

الصيدلي : ها هوذا الطبيب قادم.

المشهد السادس

الطبيب الاوّل، والفلاّح، والفلاّحة، وأراست، والصيدلي.

الفلاّح : هذا السيد لا يُطيق صبراً أكثر مما فعل، لأنه يشعر بأن آلام الدنيا كلها تنهال على رأسه.

الطبيب الاول : هذا المريض أحمق بالإجمال، لأنه لا يعرف ما به تماماً. فالمرض لم يُصِبْ رأسه كما قال جالينوس أبو الطبّ، بل طحاله في الواقع مريض، وهو الذي يُوجعه.

الفلاّح : مهما كان الأمر، يا سيدي، فإنّ معدته لم تؤلمه منذ اكثر من ستة أشهر.

الطبيب الاول : حَسَن. هذه علامة تدلّ على ان علّته الداخليّة تتوضّح. بعد يومين أو ثلاثة سأذهب لزيارته. لكن، اذا مات قبل هذا الموعد، لا تنسوا ان تعلموني، إذ ليس من اللائق أن لا يزور الطبيب مريضاً قبل وفاته.

الفلاّحة : ابي، يا سيدي، يزداد مرضه سوءاً باستمرار.

الطبيب الاول : هذا ليس بسببي، ولا نتيجة غلطي. فلماذا لا يصحُ. كم مرة قصدْتموه في هذه الأثناء.

الفلاّحة : خمس عشرة مرة، يا سيدي، منذ عشرين يوماً حتى الآن.

الطبيب الاول : خمس عشرة مرة ؟

الفلاّحة : نعم.

الطبيب الاول : ولم يصحّ بعد ؟

الفلاّحة : كلاّ، يا سيدي.

الطبيب الاول : هذا برهان على أن مرضه ليس في الدم. سأعطيه مسِّهلاً على عدد هذه المرّات لأرى إن كان مزاجه في الواقع هو المريض. وإن لم تظهر حقيقة أمره، سأرسله الى الحمّامات.

الصيدلي : هذا علاج مفيد، وهنا تبرز مهارة الطبيب.

اراست : انا، يا سيدي، قد أرسلت اليك نسيباً لي مشّوش الذهن قليلاً، وأريد ان تبقيه عندك حتى تجد له الدواء الناجع لشفائه.

الطبيب الاول : نعم، يا سيدي. كن مطمئنّ البال من نحوه. لأني إتخذت كل الاحتياطات اللازمة، وسأحيطه بالعناية الضرورية لشفائه بأسرع وقت ممكن.

اراست : من هو هذا القادم ؟

الطبيب : صدفة سعيدة. هذا زميل من أعزّ أصدقائي، سأستعين به لتشخيص المرض ومعالجته على نور فوراً.

المشهد السابع

دي بورسياك، واراست، والطبيب الاول، والصيدلي.

اراست : طرأتْ عليّ مسألة بسيطة تضطرني الى مغادرتكم بعض الوقت. غير أني أترك لكم شخصاً يقدّم حتماً ما تحتاجون اليه من مساعدة بدلاً عني، وسيعالج مريضكم بأضمن الطُرق.

الطبيب الاول : واجبات مهنتي تجبرني، وأنا مستعد لبذل كل جهد وعناية ضرورية.

دي بورسياك : هذا رئيس الطُهاة في المنزل، ولا بدّ من ان يكون رجلاً ماهراً.

الطبيب الاول : أجل، وأعدكم بأن أعالج المريض بانتظام حسب قواعد مهنتنا وفنّنا الرفيع.

دي بورسياك : يا الهي. انا لست بحاجة الى كل هذه الرسميّات، وحضوري هنا ليس لإرباك أي شخص.

الطبيب الاول : هذا تصريح يطمئنني ويبهجني.

اراست : خُذْ هذا المبلغ سلفاً بانتظار تسديد ما يتوجّب عليّ كما وعدتك.

الطبيب الاول : لا، لا. أرجوك. أنا لا أريد أن أسبّب لك أي مصروف، وأصرّ على ان لا تقدّم لي أيّة هدية.

اراست : يا الهي. ما هذا الكلام ؟ دعني أتصرّف. إنّ ما اقصده لا ينطبق على ما تفكّر أنتَ به.

دي بورسياك : أرجوك ان تعتبرني وتعاملني كصديق.

اراست : هذا بالذات ما أريد عمله. (بصوت خافت يخاطب الطبيب) : أرجوك ان لا تدعه يبتعد عنك. بل أتركه دائماً تحت أنظارك، لأنه سريع الزَوَغَان ولا يلبث ان يختفي عن بصرك.

الطبيب الاول : لا يقلقْ بالك.

اراست(**يخاطب دي بورسياك**) : أرجوك أن تعذرني على ما صدر منّي من قلّة اللياقة.

دي بورسياك : هل تمزح معي ؟ أنت تغمرني بأفضالك.

المشهد الثامن

الطبيب الاول، والطبيب الثاني، دي بورسيّاك، والصيدلي

الطبيب الاول : هذا شرف كبير لي، يا سيدي، أن تختارني لأقدّم لك خدمة.
دي بورسياك : انا في خدمتك.
الطبيب الاول : هذا الرجل الماهر زميلي، وسنتشاور معاً لمعالجتك بأفضل الأدوية.
دي بورسياك : لا حاجة لهذه الرسميّات. فأنا رجل قانع بالوسائل العاديّة.
الطبيب الاول : هيا اجلبوا لنا بعض المقاعد.
دي بورسياك : هؤلاء الخدم غير كُفْءٍ لتنفيذ أوامرِ مثلِ هذا الرجل الشهير.
الطبيب الاول : هيا اجلسْ في مكانك، يا سيدي.
(عندما يقعد الجميع، يتناول كلّ من الطبيبَيْن إحدى يديه ويجسّان نبضه معاً).
دي بورسياك(**يمدّ يَدَيْه**) : أنا خادمكما الأمين. (حين يرى أنهما يجسّان نبضه يتساءل) ما معنى ذلك ؟
الطبيب الاول : هل تأكل جيداً، يا سيدي ؟
دي بورسياك : نعم، وكذلك أشرب بصورة أفضل.
الطبيب الاول : بئس هذا الفعل. لأن شهيّتك هذه تسبّب لك البرد والرطوبة. وهذه إشارة الى أن الحرارة والنشاف يستبدّان بجوفك. هل تنام كما يجب ؟
دي بورسياك : نع، بعد ان اتناول عشاءً دسماً.
الطبيب الاول : وهل تبصر أحلاماً أثناء نومك ؟
دي بورسياك : أحياناً.
الطبيب الاول : أي نوع من الأحلام ترى ؟
دي بورسياك : هي كسائر الأحلام. ما هذا السؤال الغريب ؟
الطبيب الاول : وكيف حال خروجك، يا تُرَى ؟
دي بورسياك : انا لا أفهم معنىً لكل هذه الأسئلة. والآن انا أودّ أن أشرب جرعة.
الطبيب الاول : صبراً. سنتداول في حقيقة أمرك أمامك وباللغة التي تعرفها

لا اللاتينية، لكي تفهم ما يدور بيننا من مناقشة.

دي بورسياك : ما فائدة المماحكات للسماح لي بأن آكل لقمة ؟

الطبيب الاول : بما ان شفاء المرض يحتّم معرفة العلّة معرفة تامّة، لكي يتسنى للطبيب ان يلاقي لها العلاج اللازم، بعد التشخيص الصحيح، يا زميلي الخبير، لا بدّ من الإهتداء الى المرض لكي يستعمل الطبيب لمداواته العلاج الناجح ويستأصل العلّة من جذرها. لذا أصرّح، بعد استئذانك، يا زميلي العزيز، ان مريضنا الحاضر ها هنا قد أرهقه ألم المرض الى حدّ جعله يفقد صوابه. لذلك يمكننا أن ندعو مرضه كآبة عصبيّة، هي من نوع الجنون المزعج، ويتطلّب اللجوء الى نطاسيّ مثلك متضلّع من فنّنا العويص الذي يشيّب شعر الرأس على مدى السنين الطويلة في الاختبارات الطبّيّة المذهلة. وأُسمّي هذه الحالة كآبة عصبيّة لأُميّزَها عن غيرها من الحزن الباطني الذي ينتاب المرضى الضعفاء على نوعَيْن. وقد بيّن أبو الطب جالينوس عن خبرة واسعة أن هناك ثلاثة أصناف من هذا المرض الخطير الذي ندعوه الإغريق، ووافقوا على تسميتها بصيغها الثلاث : الاولى الناجمة عن إصابة الدماغ، والثانية المتأتّية عن الدم، وهي حالة صعبة، والثالثة تُسمّى العصبية، وهي في الواقع من النوع الذي نعالجه الآن هنا، وسببها آلام يشعر بها المريض في أسفل بطنه من الجهة اليمنى أي من جهة الطحال. لأن حرارته والْتهابه يصعدان الى النخاع، في مثل هذه الحالة المصاب بها مريضنا، وكأنه دخان كثيف أسود ولزج أوْ بخار دهني خبيث يشلّ أهمّ وظائف الذهن، كما تظهر أعراضه على عليلنا المسكين المغلوب على أمره. أنا اعتقد أنّ هذا التشخيص الجدّي الذي لا يمكن نقضه، هو بكل تأكيد سبب هذا الحزن المتأصّل الذي يسيطر على كيان الإنسان. وفي الغالب يُخشى أن تتطوّر علّته حسب الدلائل الواضحة التي نراها، وتتعقّد أكثر مما نترقّب. كما كان يردّد شيخ الطبّ هيبوقراط. وتظهر نتائجه المقلقة على ملامح المريض وفي عينَيْه المحمّرتَيْن التائهتين في الفضاء، وعلى لحيته الطويلة، وعلى جسمه النحيل الهزيل المائل الى السواد والتجعيد. لأن حالته المتدهورة تثبت وصول المرض الى مرحلة خطيرة مقلقة، ما دامت صحته

المتدهورة تتعدّى الحدود الطبيعية لتصبح في الشيخوخة سريعة التطوّر جداً، وتنتهي بعارض جنون يشتمل على تحركات غير معقولة، وإرهاق لا مزيد عليه يؤدّي به الى الاختناق أو الى انفجار الغضب والعنف والجنون المطبق. كل هذه إفتراضات، لأننا لا نزال نجهل حقيقة أصل العلّة، مع العلم ان معرفة الداء هي نصف الدواء. وهذا الوضع الحرج لا يسهّل علينا أن نصف له العلاج الملائم. اوّلاً لأن مداواة المرض قد تغلّبت عليه كثرة الإنسدادات والاشتراكات في زحمة هذه التقلّبات غير المألوفة في عناصر الجسم. فأنا من رأيي أن نجري له عملية الفصْد الحرّة التي تقوم على تكرار النزْف بكمّيّة وافرة : أوّلاً في مكان رئيسي من صُلْبه، ثم في دماغه. واذا استعصي المرض، لا بد من المبادرة الى فتح أحد عروقه في الجبين مثلاً، على أن تكون الفتحة عريضة لتمكين الدم من النزف بغزارة. وفي الوقت عينه نسقيه مسهِّلا لتفريغ جهازه الهضمي بطريقة فعّالة مناسبة، بتناوله موادّ تنشّط له إفرازات المرارة التي أورثته السويداء. وبما أن أصل هذه العلّة كامن في الموادّ الدهنية التي تُربك عمل أجهزته الباطنية وتسبّب له كما قلنا أبخرة سوداء كثيفة تسدّ وتعيق وتلوِّث وظائفه الحيوانية، يجمل به أن يسْتحّم بالماء النظيف مع شرب قليل من الحليب ليطهِّر بالماء النظيف سواد هذا البخار قبل أن يستفحل أذاه. ثم ارى من الضروري أن ندعه يبتهج بسماع الأحاديث المرحة والأغاني والرقصات بمرافقة انغام الآلات الموسيقية الجَزْلى التي بحركاتها الهازجة تُدخل السرور الى قلبه، وتطرد عنه الحزن والكسل اللذَيْن يستوليان على ذهنه، فتغلّفه الكآبة وينتابه الخمول بسبب تكاثف الدم وتباطُؤ دورته الدموية التي بتمّهلها تزيد المرض خطورةً. وهناك وسائل أخرى يمكن معالجته بها، يا زميلي العزيز الخبير حسب التجارب التي أوصلتْنا الى هذا الاستنتاج على ضوء المعلومات والإختبارات التي اكتسبناها من ممارستنا فنّ الطبّ الشامل.

الطبيب الثاني : لا سمح الله، يا زميلي الكريم، أن تخطر ببالك إضافة أيّ تفصيل الى ما تقدّمت به من شرح وتبيين وافيّيْن. فقد تناولتَ الموضوع من جميع جوانبه وأظهرت الأعراض والاسباب التي أوصلت المريض الى

هذه الحالة التعيسة. في الحقيقة، جميع ما تفضّلتَ بإعلانه عن حكمة وثقة، إذا لم تبدو أعراضه عليه بجلاء لا بدّ من ان تظهر نتائجه الاكيدة عند الفحص الدقيق. نعم، يا زميلي العزيز، لقد وصفت بتخطيطك الواضح كل ما يمكن أن يبلغه المرض الخطير من أعراض وتعقيدات، وليس اكثر تحفظاً وعلماً من استنتاجك الذي صوّرت مراحله الداخلية، وأعلنت كيفيّة معالجته بالوسائل الفعّالة العاجلة. ولم يبقَ هنا إلّا أن أهنّئك على مقدرتك الطبّيّة الخارقة، لتجول دون تفاقم حالة المريض وبلوغها مرحلة الحزن الشامل العميق. وكل ما هو أمامنا ان نفعله، المبادرة الى فصْده بمقادير كافية. وانا أوافق على كافّة الإجراءات التي تراها ضرورية، من فصد وتسهيل الخروج والحمّامات بالماء النظيف، ثم اللجوء الى نقع القدمَيْن في الماء المُشْبَع ملحاً، وذلك على عدد مرّات مفردة، لأن الملح رمز العلاج والمنفعة، إذْ يُستخدم لمزجه بالكلس في تبييض جدران غرفة المريض بغية تبديد الأفكار السوداء عن ذهنه المرهق. ولا يَحْسُن أن نصرّح له بأن عليه أن يعتبر نفسه سعيداً أثناء جنونه، وأن يكون قد وقع بين أيدينا لنختبر الأدوية التي نعطيه إياها حسب اقتراحك السديد، بقصد إبرائه عاجلاً. والأمل بالله أن يشفى، وان نكون قد توفّقنا الى معالجته بالوسائل الصحيحة الناجحة.

دي بورسياك : منذ ساعة، وانا أستمع اليكم، يا سادتي. فهل ما تقولونه هو دور في مهزلة تمرّنتم جيداً على أدائه ؟.

الطبيب الاول : كلّا، يا سيدي، نحن لا نمثّل مسرحية.

دي بورسياك : فما هو الذي قمتم به الآن إذاً ؟ ما هذه الألفاظ المبهمة والسخافات التي ردّدتموها على مسمعي ؟.

الطبيب الاول : اتحسبها تفاهات ؟ .هذا تشخيص مرضك حسب أفضل قواعد الطب الأصيل، التي كانت ضرورية للاهتداء على علّتك، وإلّا كانت خطورة مرضك قد تفاقمت واعترتك اشتراكات مشؤومة لا يُعرف مداها.

دي بورسياك : مع من وُضعتُ انا هنا، وفي أيدي من وقعت ؟ أرجوكم أن تفيدوني. (يبصق على الارض مرّتَيْن او ثلاث مرّات).

الطبيب الاول : هناك تشخيص آخر لا بدّ منه. وهو بخصوص النوبات والتشنّجات التي يمكنها أن تنشأ وتعقّد مرضك.
دي بورسياك : دعونا الآن من هذا ولنخرج حالاً من هنا.
الطبيب الاول : يجب الإنتباه الى عامل هام آخر هو القلق من استبدال المكان.
دي بورسياك : وما هي هذه المسألة الجديدة ؟ وماذا تريدون منّي بالضبط ؟.
الطبيب الاول : أن نشفيك حسب مبادئ الطبّ الذي تلقنّاها.
دي بورسياك : لكي تشفوني ؟.
الطبيب الاول : نعم.
دي بورسياك : ومن قال لكم إني مريض ؟.
الطبيب الاول : هذه علامة لا تعجبني بتاتاً. لا سيما عندما لا يشعر المريض بأنه عليل.
دي بورسياك : أؤكّد لكُم أني بصحة تامة.
الطبيب الاول : نحن نعرف اكثر منك إن كنت مريضاً أو لا. نحن الأطباء نرى الأمور بوضوح حتى في داخل جسمك.
دي بورسياك : وإن كنتم أطباء، ما لي ولكم. فأنا لست بحاجة اليكم. وبطبيعة الحال انا أهزأ بالأطباء أمثالكم.
الطبيب الاول : لا حول ولا ..... هذا الرجل مهووس بل مجنون اكثر ممّا كنّا نظنّ.
دي بورسياك : أبي وأمّي لم يريا في حياتهما أيّ طبيب للمعالجة، وقد ماتا كلاهما بدون مساعدة أيّ طبيب.
الطبيب الاول : لذا أنا لا أتعجّب إذا كانا قد أنجبا ولداً فاقد الرشد مثلك. هيّا نبدأ بالمعالجة، أوّلاً بلطف ولين وانسجام لنخفّف عنك وطأة الكابوس الذي يجثم على صدرك، وتصعد أبخرته الضارّة الى دماغك وتضعضع تفكيرك، وتجعلك تخبط خبط عشواء في تصريحاتك عن صحتك المتدهورة بدون أن تعي أنت خطورة وضعك، لا سيما من الناحية العقلية المؤسفة.

المشهد التاسع

دي بورسيّاك

دي بورسياك : ما هذا يا جماعة ؟ الناس في هذا البلد غير متّزني البصر والبصيرة. وأنا طوال حياتي لم أشاهد أشخاصاً مثلهم فاقدي الوعي والضمير. في الحقيقة، لم أعد أفهم ما يجري حولي..

المشهد العاشر

طبيبان (**إيطاليان مرتديان ثياب أطباء يتبعهما**) **ثمانية رجال،** (**ضخام الجسم، ينشدون أغنيات غير مفهومة، وَهُمْ يحملون أدوات غير مألوفة**).

المشهد الحادي عشر

الصيدلي، ودي بورسيّاك.

الصيدلي : هذا دواء لطيف، عليك أن تتناوله، من فضلك.
دي بورسياك : ما هذا ؟ أنا لست بحاجة اليه.
الصيدلي : يا سيدي، لقد أمر الطبيب بإعطائك إياه بدون إمهال.
دي بورسياك : ما هذه القصة السخيفة.
الصيدلي : هيّا تناوله، ولن يؤذيك أبداً. أُؤكّد لك انه غير ضارّ على الإطلاق.
دي بورسياك : آه منك ومن عنادك.
الصيدلي : هذا مسهِّل لطيف، لا يُضرّ، ومفعوله غير عنيف. هذا، يا سيدي، أفضل ما يوجد من المطهِّرات.
(الطبيبان المزعومان مع مرافقيهما وآلاتهم الغريبة يرقصون حول دي بورسيّاك. ثم يقفون أمامه، وينشدون كلاماً غير مفهوم).
دي بورسياك : إذهبوا عني الى جهنّم، أيها الشياطين الملاعين.

الفصل الثاني

المشهد الاول

إسْبْريكاني، والطبيب الاول

الطبيب الاول : لقد اخترق كل الحواجز التي وضعتُها حوله، وهرب من العلاجات التي بدأتُ أناوله إياها.

إسبريكاني : هو فعلاً عدوّ نفسه، لأنه هرب من مداواتكم التي ستشفيه.

الطبيب الاول : وهذا أكبر دليل على أنّ دماغه مشوَّش وعقله مشتَّت، إذا كان مصمّما فعلا على البقاء مريضاً ولا يريد الشفاء.

إسبريكاني : حتماً كانت علاجاتكم قد أبرأته بسرعة.

الطبيب الاول : بدون شك، لأنه مصاب بإثني عشر مرضاً.

إسبريكاني : ولقد سبّب لكم خسارة مبلغ كبير من المال بهربه هكذا.

الطبيب الاول : أنا لا أودّ أبداً ان أخسره، وسأشفيه رغماً عنه. لأنه مرتبط ومتعهّد بتناول أدويتي. سأطلب توقيفه حيث هو الآن كهارب من الطبّ، يتمنّع عن تناول علاجاتي.

إسبريكاني : الحق معك. مفعول أدويتك مضمون وأكيد، وبتصرفه الغريب قد سرق مالك.

الطبيب الاول : أين يمكنني أن أتسقّط أخباره الآن ؟.

إسبريكاني : طبعاً عند العمّ أورونْت الذي جاء اليه ليزوجه إبنته. وهذا

الاخير لا يدري مطلقاً بحالة صهره الصحيّة وبامكان إصابته بالشلل في المستقبل القريب، وربما استعجل في عقد هذا الزواج.

الطبيب الاول : سأفاتحه بالأمر حالاً.

إسبريكاني : حسناً تفعل.

الطبيب الاول : سأحتجزه عندي حتى يدفع لي اتعابي، ولن أدعه يسخر من طبيب مثلي.

إسبريكاني : هذا خير تصرّف تقوم به. وإذا أصغيت الى نصيحتي، لا تدعْه يتزوج ابداً قبل أن يسدّد لك ما يتوجّب عليه عدّاً ونقداً.

الطبيب الاول : دعني أتصرف.

إسبريكاني : وانا من جهتي، سأفعل ما بإمكاني. لأن الصهر وحميه أحدهما أغبى من الآخر.

المشهد الثاني

أورونت، والطبيب الاول

الطبيب الاول : السيد دي بورسيّاك، على ما بلغني، يريد ان يقترن بابنتك.

اورونت : نعم، وأنا انتظر قدومه من مدينة ليموج، ومن المفترض أن يكون الآن قد وصل.

الطبيب الاول : عليّ أن أُخبرك إذاً أنه هرب من معالجتي إيّاه بعد أن استدعاني، وفحصته فحصاً دقيقاً ووصفت له الأدوية اللازمة بموجب قوانين الطب، وأنا امنعك من إتمام هذا الزواج الذي وافقتَ أنت عليه، قبل أن أنهي مداواتي علله، وأن أُعِدَّه لإنجاب اولادٍ سليمي الجسم والعقل.

اورونت : ماذا تقول ؟.

الطبيب الاول : إن صهرك أصبح من مرضاي. وعلته التي طلب اليّ ان أشفيه منها هي كقطعة أثاث تخصّني، وأحسبها جزءاً من أملاكي. فاعلمْ

جيداً أني لن أَدَعَه يتزوّج قبل أن أقوم أنا بواجبي، وأن يسدّد هو لي اتعابي القانونية لقاء مداواتي اياه.

اورونت : وهل هو مريض ؟

الطبيب الاول : ماذا تقول، يا رجل ؟

اورونت : ما هو مرضه، من فضلك ؟

الطبيب الاول : لا موجب للقلق عليه.

اورونت : انا أسألك : ما هو مرضه ؟

الطبيب الاول : الأطباء مرتبطون ومتعهدون بالمحافظة على سرّ المريض. يكفي أن أنصحك انت وان انصح ابنتك أيضاً بأن لا تحقّقا هذا الزواج بدون موافقتي وأن لا تقيما أيّة حفلة بدون أُذْني، وإلاّ تكونان قد خالفتما شريعة كلية الطب، وتكونان قد جلبتما العلل والأمراض على رأسكما. وهذا ليس من صالحكما، ولا يرضي ضميركما بتاتاً.

اورونت : أنا، والحالة هذه، غير مُلْزَم بعقد أيّ زواج.

الطبيب الاول : لقد استُدعيتُ لأجل مداواته، وهو مرغم على أن يصبح مريضي.

اورونت : خيراً تفعل.

الطبيب الاول : الى أينما هرب،، سأطلب توقيفه وأُصدر حُكْماً عليه بان يتبع معالجتي حتماً.

اورونت : انا موافق.

الطبيب الاول : نعم يتحتّم عليه إمّا أن يموت أوْ أن أعالجه.

اورونت : انا لا مانع عندي في ذلك.

الطبيب الاول : وإذا لم أعثرْ عليه، أنتَ مسؤول عنه، وسأداويك بدلاً عنه.

اورونت : أنا صحّتي جيدة، ولا أحتاج الى معالجة.

الطبيب الاول : لا فرق عندي بينك وبينه. لا بدّ لي من مريض أداويه. وسأباشر بمعالجة من يقع تحت يدي.

اورونت : عالج مَن تشاء. لكني لن أكون مريضك. هيّا حكِّمْ عقلك، وعُدْ إلى المنطق السليم.

المشهد الثالث

اسبريكاني (متنكّراً بلباس بائع فلمنكي) وأُورونْت

إسبريكاني : يا سيدي، عن إذنك، أنا بائع فلمنكي، وأريد أن استعلم منك عن أمر بسيط.

اورونت : ماذا تريد، يا سيدي ؟

إسبريكاني : أَعِدْ قبعتك الى رأسك، يا سيدي، من فضلك.

اورونت : قُلْ لي، يا سيدي، ماذا تريد ؟.

إسبريكاني : لن أقول كلمة إذا لم تَضَعْ قبعتك على رأسك.

اورونت : ها قد أعدتها. ماذا تريد، يا سيدي ؟

إسبريكاني : ألَا تعرف شخصاً إسمه السيد أُورونْت ؟

إسبريكاني : ومن هو هذا الرجل، من فضلك ؟

اورونت : هو رجل كسائر الرجال.

إسبريكاني : أسألك، يا سيدي، إن كان رجلاً غنيّاً، لديه أملاك وافرة ؟.

اورونت : نعم.

إسبريكاني : هل حقّاً هو رجل غني جداً، يا سيدي ؟

اورونت : ولماذا هذا السؤال ؟

إسبريكاني : الأمر يتعلّق بمسألة تهمّني، يا سيدي.

اورونت : مرة ثانية أسألك لماذا هذا الإلحاح ؟.

إسبريكاني : لأن السيد اورونت سيزوّج ابنته شخصاً يُدعى السيد دي بورسيّاك.

اورونت : وما همّك انت ؟

إسبريكاني : السيد دي بورسيّاك رجل مفلس ومدين بأموال كثيرة لعشرة أو أثني عشر تاجراً فلمنْكيّاً، وقد أتى الى هنا.

اورونت : السيد دي بورسيّاك مفلس ومدين بأموال كثيرة لعشرة أو إثني عشر تاجراً ؟

إسبريكاني : نعم، يا سيدي. ومنذ ثمانية أشهر ربحنا دعوة واستصدرنا

حكما عليه وهو ينوي أن يعقد هذا الزواج لكي يفي ديونه التي لا تُحصى، بالمال الكثير الذي سيدرّه عليه اقترانه بابنة السيد أورونْت.

اورونت : اذاً هو يقصد الزواج لكي يفي ديونه الكثيرة ؟.

إسبريكاني : نعم، نعم، يا سيدي. وترانا ننتظر عقد زفافه بفارغ الصبر لنستردّ أموالنا .

اورونت : رأيك في محله. نهارك سعيد.

إسبريكاني : أشكرك، يا سيدي، على معروفك.

اورونت : أنا في خدمتك على الدوام.

إسبريكاني : بل أنا في خدمتك، وقد اسديتَ إليّ جميلا لن أنساه، بما أبلغتني إياه من أخبار السيد دي بورسياك. (على حدة) والآن عليّ ان اتخلّص من تنكُّري بالزيّ الفلمنْكي. وعليّ أيضاً ان أزرع الشك والفرقة على قدر المستطاع بين الصهر وحميه، لإبطال هذا الزواج البغيض. وكلاهما على أتمّ الاستعداد للعضّ على السنّارة التي أُلقي طعمها الى كل منهما. وبما أن اللعبة خبيثة من الدرجة الاولى، عليّ أن أقوم بها بمهارة لأني لن أُلاقي فرصةً لصيدٍ أفضل من هذا في المستقبل.

المشهد الرابع

دي بورسياك، واسبريكاني

دي بورسياك : ما هذا اللَغَط ؟.

إسبريكاني : ما الخبر ؟ ماذا تريد، يا سيدي.

دي بورسياك : كل ما أراه أمامي يخيَّل الي انه مسهِّل ومطهِّر.

إسبريكاني : ماذا تعني ؟

دي بورسياك : ألَا تدري بما حلّ بي في المنزل الذي أوصلتني الى بابه ؟

إسبريكاني : لا، حقّاً. ماذا جرى ؟

دي بورسياك : كنت أظن أني سأكون مرتاحاً ومسروراً فعلاً هناك.

إسبريكاني : وماذا جرى ؟

دي بورسياك : سأخبرك بالتفصيل، يا سيدي. هناك أطباء مرتدين ثياباً سوداء، فأجلسوني على مقعد، وأحدهم جسّ نبضي، واعتبروني مجنوناً. كانت خدودهم بارزة، وقبعاتهم واسعة. كانوا ثلاثة، تاراتاتا، تاراتاتا. وقد قالوا لي : أسترخ، يا سي ديّد دو بورسيّاك. وكان هناك أيضاً صيدلي يُعِدّ مسهِّلاً ومطهِّراً، فقال لي : تناولْه، يا سيدي، لأنه لا يضرّ. هذا مسهِّل ومطهِّر، تناولْه، هيّا تناوله. آه، لم أشاهد في حياتي نظير هذه الحماقات والسخافات.

إسبريكاني :وماذا يعني كل ما تسرده لي ؟

دي بورسياك : هذا يعني أن ذاك الرجل وجماعته كلّهم خبثاء أغبياء حمْقى. وأنّ من قادني اليهم سيّئ النيّة لئيم، أراد أن يسخر منّي ويجعلني ضحيّة ألاعيبه القذرة.

إسبريكاني : هل هذا ممكن ؟

دي بورسياك : بدون شك. كانوا حوالي إثني عشر.دجّالاً تسكنهم الأبالسة، يريدون أذاي. وقد علمتُ المستحيل للهرب والنجاة من شرّهم.

إسبريكاني : هدّئ روعك. فالمظاهر غالباً ما تكون خدّاعة. لقد ظننت الطبيب من أخلص الأصدقاء واكثرهم وداعةً وإنسانية. حقاً، كلامك هذا يُدهشني ويجعلني أتساءل هل يوجد على وجه الأرض أمثال هؤلاء الخبثاء الذين تحّدثت عنهم.

دي بورسياك : إني حتى الآن أتوهّم مفعول المسهِّل والمطهِّر. أرجوك أن تصدّقني.

إسبريكاني : لا بد من أن تكون صادفت ما يشبه الامور التي تخبرني عنها.

دي بورسياك : لقد سكنت الرائحة في أنفي، وملأت تحركاتهم مخيّلتي. ولا أزال حتى هذه الساعة أبصر أشباحهم الرهيبة، وأرى المسهّل والمطهّر الكريهين أمام نظري.

إسبريكاني : هذا لؤم لا حدّ له. والرجال الذين تكلّمني عنهم قتلة مجرمون.

دي بورسياك : دُلّني من فضلك، على منزل السيد اورونْت. لأني أنوي الذهاب لمقابلته بدون تأخير.
إسبريكاني : آه. هل أنت واقع في شرك الغرام، وسمعتَ أنّ لهذا السيد الغني المدعو أورونت إبنة جميلة برسم الزواج ؟
دي بورسياك : أجل. انا قادم لعقد زفافي إليها بموافقته ومباركته.
إسبريكاني : هل تريد حقّاً أن تقترن بها ؟
دي بورسياك : نعم، نعم.
إسبريكاني : أن تقترن بها هي ابنة السيد اورونت ؟
دي بورسياك : وما المانع ؟
إسبريكاني : هذا أمر لا يعنيني. وأرجوك أن تعذرني على تطفّلي.
دي بورسياك : ماذا تقصد بكلامك إذاً ؟
إسبريكاني : انا لا أشير الى أي تلميح.
دي بورسياك : بربّك، قل لي ....
إسبريكاني : لا، ر قصْد لي. ربما تكلّمتُ أنا أكثر مما يلزم.
دي بورسياك : أرجوك ..... من فضلك .....
إسبريكاني : لا، أبداً. أرجوك أن تعفيني من هذا الحديث.
دي بورسياك : لماذا تتمنّع ؟ أَوَلَسْتَ من أصدقائي ؟
إسبريكاني : أجل، لا أحد يكنّ لك صداقة أوْفى منّي.
دي بورسياك : إذاً يجب عليك أن لا تخفي عني أيّ خبر، لا سيما إذا كان سيّئاً.
إسبريكاني : هذه مسألة تتعلّق بمصلحة القريب.
دي بورسياك : لكي أشجّعك على الكلام، إليك بهذا الخاتم الصغير الذي أرجوك ان تقبله مني كعربون الصداقة التي نتبادلها بإخلاص.
إسبريكاني : دعني أفكّر قليلاً، واتأمل فيما إذا كنت أرضي ضميري إذا تكلّمتُ. هو رجل يبحث عن صالحه ويريد أن يؤمّن مستقبله المهزوز ويسعى للإقتران بالفتاة الغنيّة التي تناسبه اكثر من سواها. وأنا لا أودّ أن أُسبب الضرر لأيّ كان. وما أعرفه هو في الحقيقة أمر لا يجهله أحد.

ولكني لا أريد أن اكشف سرّه لمن لا علم له به. لأن النميمة بحق الغير محرّمة. هذا محتّم. لكن من جهة ثانية لا أحبّ أن أقع على أيّة مفاجأة مزعجة. فأنت صديقي، سليم النيّة، طيب القلب، وتريد أن تقترن بفتاة لا تعرفها بعد، ولم تشاهدها قط. ثم أنت رجل صادق صريح للغاية، وانا أحفظ لك مودة نزيهة الى حد أني أعتبرك أفضل أصحابي، ونتبادل ثقةً عمياء. وقد أهديتني خاتماً منذ لحظة كعربون المحبة السائدة بيننا. نعم لذلك أجد نفسي مسؤولاً ومضطراً لأن أبوح لك بأمور طبعاً بدون أن أُسيء الى ضميري. وعليّ أن أُبلغك إياها بألطف طريقة ممكنة، وأن أُداري شعور الناس على قدر المستطاع. فإنْ أخبرتك بأن سلوك هذه الفتاة ليس على ما يُرام من العفّة والبراءة يكون كلامي ثقيلاً جداً وجارحاً. عليّ أن اشرح لك الوضع بأرقّ تعبير ممكن. فإنّ وَصْفها بالغانية المستهترة ليس كافياً، وكلمة مغناجة متدلّعة قد تكون أكثر براءة مما يجب أن تعلم عنها، ولا تكون أوفى ممّا أودّ أن تدري به عن تهتّكها.

دي بورسياك : أهذه هي الحقيقة، وأبوها يعتبرني مغفّلاً الى هذا الحدّ ؟

إسبريكاني : ربما في أعماقه لا يضمر لك شرّاً، كما يعتقد معظم عارفيه. ثم هناك أشخاص يترفّعون عن هذه الدنايا، ولا يعتبرون بعض التساهلات مضرّة بشرفهم وسمعتهم.

دي بورسياك : أنا مدين لك طوال عمري بهذا الجميل الذي قبلت أن تسديه اليّ، كي لا أتورّط في مثل هذه الفضائح القذرة. وها قد أدركت لماذا يريد التقرّب إليّ، انا المرفوع الرأس بانتسابي الى أسرة دي بورسيّاك الأبيّة.

إسبريكاني : ها هوذا والده قد أقبل.

دي بورسياك : هذا الشيخ المنجوس الخدّاع.

إسبريكاني : نعم، وأنا أنسحب.

المشهد الخامس

أورونْت، ودي بورسياك.

دي بورسياك : نهارك سعيد، يا سيدي.
اورونت : نهارك أسعد، يا سيدي.
دي بورسياك : أنت السيد أورونت، أليس كذلك ؟
اورونت : نعم.
دي بورسياك : وأنا دي بورسياك.
اورونت : أهلاً وسهلاً.
دي بورسياك : أتعتقد، يا سيدي أورونت، أن أفراد أسرة دي بورسيّاك مغفّلون أغبياء ؟
اورونت : وهل تظن، يا سيدي دي بورسيّاك أن البارسيّين سذّج حمْقى.
دي بورسياك : هل تتصوّر يا سيدي أُورونت، إنّ رجلاً شهماً مثلي، يقتله الشوق الى النساء ؟
اورونت : وهل تتخيّل، يا سيدي دي بورسياك، أن أبنتي تتهافت بهذا المقدار للحصول على زوج من أمثالك ؟

المشهد السادس

جولي، واورونت ودي بورسياك

جولي : لقد قيل لي، يا أبي، إن السيد دي بورسياك قد وصل الى هنا. ها هوذا، بدون شكّ، وقد أنبأني قلبي بقدومه الميمون، وبأنه رجل ممتاز، أنيق المظهر، وأنا مسرورة بالحصول عليه كزوج. فأرجوك أن تسمح لي بمعانقته إكراماً لقدومه، ولإبلاغه ما أشعر به نحو من ....
اورونت : مهلاً، يا ابنتي الحبيبة، مهلاً.

دي بورسياك : ما أوقح جسارتها. تبّاً لها من متحزلقة. وما أشدّ ميلها الى الرجال.

اورونت : أريد أن أعرف، يا سيدي دي بورسياك، لماذا أنت قادم إلينا ؟

جولي : كم أنا مسرورة برؤياك. وكم أنتظر بفارغ الصبر أنْ ....

اورونت : قلت لك مهلاً، يا ابنتي. إنسحبي من هنا.

دي بورسياك : (تقترب منه جولي، وتنظر اليه بحنوّ وتودّ أن تُمسِك بيده) : ها، ها. ما هذه الجسارة غير المألوفة.

اورونت : أودّ أن أعرف، من فضلك، لماذا تتكلّم بهذه اللجهة المهينة ؟

دي بورسياك : انا لا أقصد أن أجرح إحساس أحد.

اورونت : ما هذا القول الذي لا ينطبق على ما تفضّلت وتلفظت به ؟

جولي : ألَا تريد ان ألاطف العريس الذي اخترته انت لي ؟

اورونت : كلاّ. أدخلي الى هذه الحجرة.

جولي : دَعْني أنظرْ إليه.

اورونت : هيّا، قلت لك أنْ تنسحبي.

جولي : أودّ البقاء هنا، من فضلك.

اورونت : أنا لا أريد. وإذا لم تدخلي حالاً .....

جولي : ها أنا أنسحب.

اورونت : إبنتي غبيّة لا تعرف خيرها من شرها.

دي بورسياك : كم هي معجبة بي.

اورونت : ألَا تريدي أن تنسحبي، يا ؟ ...

جولي : متى تنوي ان يتمّ عقد زفافي الى هذا السيد ؟

اورونت : لن يتمّ ابداً. لأنك لن تكوني له بأي شكل من الاشكال.

جولي : انا أريد أن أصبح زوجته كما وعدتني بذلك مؤخّراً.

اورونت : حتى إن كنت وعدتك بذلك في الماضي، فالآن أنا امنعك من الاقتران به.

دي بورسياك : هي تتمسّك بي.

جولي : مهما فعلت، يا والدي، لن أُزفّ إلّا الى هذا الرجل، رغماً عن أنف الجميع.
اورونت : سأمنعكما من تحقيق هذا الزواج. ما هذه الوقاحة التي تظهرينها بحقّي ؟
دي بورسياك : يا إلهي. أرجوك أن لا تتعب نفسك هكذا، يا حميّ. فأنا لا أنوي أن اختطف منك ابنتك. وحركاتك لن تؤدّي الى أية نتيجة إيجابية.
اورونت : وأنت، لن يكون لكلامك عندي أية قيمة.
دي بورسياك : هل تعتقد أن ليونار دي بورسيّاك رجل ساذج، يَسَعُك أن تشتريه بأموالك ؟ وأنه لا يستطيع الإستعلام عن أحوالك وعن سلوك ابنتك. وأن يعرف سلفاً أنّ اقترانه بابنتك سيكون لسعادته أو لشقائه. وأن هذا الزواج سيصون شرفه وسمعته أو يمرّغ إسمه في أقذر الأوحال.
اورونت : لا أفهم ما تريد أن تقول. ولكن، هل فكّرت كيف أن رجلاً في الثالثة والستين من العمر قد فقد عقله ومنطقه السليم ليزفّ ابنته الى رجل صحّته هزيلة، كما تعلم، أُودِعَ لدى الطبيب قيد معالجته وانقاذ حياته من الامراض الوبيلة.
دي بورسياك : هذه مهزلة غير صحيحة، لأني لست مريضاً.
اورونت : الطبيب المعالج بعينه أفادني عن حالتك الصحيّة التعيسة.
دي بورسياك : الطبيب كذب عليك. فأنا رجل محترم سليم الصحة. وكم أودّ أن أقابل هذا الدجّال والسيف في يدي لأعرّفه قيمة نفسه.
اورونت : انا أعلم علم اليقين ما يجب أن أصدّقه. فلا تُراوِغ أمامي في هذا الموضوع الأساسي، ولا في موضوع ديونك التي لا تُحصى، والتي تتمنّى أن تسدّدها بعد اقترانك بابنتي.
دي بورسياك : أيّة ديون تعني ؟
اورونت : لن ينفعك النكران. لأن البائع الفلمنْكي أخبرني عن الدائنين الذين يلاحقونك لتحصيل أموالهم، وأنه أخذ حكماً عليك منذ ثمانية أشهر.
دي بورسياك : أي بائع فلمنْكي ؟ وأيّ دائنين ؟ وأي حكم عليّ تقصد ؟
اورونت : أنت أدرى بما أشير اليه.

المشهد السابع

لوسيت، واورونت، ودي بورسياك

لوسيت : انت جالس هنا تتظاهر بأنك لا تعرفني، ولا تخجل من كذبك، ايها المنافق ؟ ألَا تدري، يا سيدي، بأنه قال لي لماذا يريد أن يقترن بابنتك ؟ لقد صرّح لي حين مرّ في مدينة بيزيناس بأنه ينوي أن يتزوج ابنتك لكي يحصل على أموال أبيها.

اورونت : ها، ها.

دي بورسياك : ما هذا الكلام الملفّق ؟

لوسيت : انه يريد أن يهجرني بعد ثلاثة عشر عاماً ويغادر منطقته ويأتي ليقترن هنا بفتاة أخرى، أبوها غني جداً، وبعد الحصول على أموال أبيها التي يطمع بها من خلال هذا الزواج الإجرامي، يهرب كرجل وَغْد عديم المروءة.

دي بورسياك : هذه امرأة وقحة وكاذبة لا تستحي.

لوسيت : أنت الوقح، لأنك تهين امرأة مسكينة مثلي بدون أن يوبّخك ضميرك على فعلتك السافلة الشنيعة.

دي بورسياك : هل أنا زوجكِ، كما تدّعين زوراً وبهتاناً ؟

لوسيت : يا خسيس، هل تجرؤ على تكذيبي ؟ أنت تتظاهر بالبراءة والمسكنة رغم كل قبائحك التي تدلّ على أنك ثعبان لاذع وثعلب محتال. تريد أن تهجرني الى امرأة أخرى وترميني في الشارعِ لتنعم بزواجك من امرأة غيري وتختلس أموال والدها. حقاً إنك شرّير سبقتَ ابليس في النفاق والأذى.

اورونت : أكاد أتمالك نفسي عن البكاء. الآن أيقنت أنك رجل غادر فاسق.

دي بورسياك : صدّقني، أنا غريب عن كل ما يُنْسَب اليّ من التهم الباطلة.

المشهد الثامن

نارين (متنكرّة بزيّ أهل بيكاردي) ولوسيت، ودي بورسيّاك

نارين : لم أعُد أتحمّل هذه المشاكل التي أرهقتني. أيها الجبان الدنيء، لقد تركْتَني أُسرع الخطى وراءك وأنت تهرب مني. ألا عاقبتْكَ السماء على اعمالك القبيحة وانتقَمتْ لي من ظلمكَ وخداعكَ. وها قد أتيتُ لأمنع زواجك الآثم. هذا زوجي، يا سيدي، وأريد أن أحتفظ به.

دي بورسياك : أنتِ أيضاً ؟

اورونت : أيّ شرّير أنتَ ؟

لوسيت : ماذا تقول ؟ كفاكَ ما سمعته عنه. فهل من مجال لتزفّ اليه ابنتك ؟

نارين : نعم، أنا زوجته، يا سيدتي.

لوسيت : إن كنتِ أنتِ أيضاً تدّعين أنكِ زوجة هذا الرجل المحتال، فأنه حقاً يستحق أن يُشنَق فوراً.

نارين : ماذا تقولين عنه ايضاً ؟

لوسيت : أنا أُؤكد لك أني أنا زوجته.

نارين : أنتِ زوجته ؟

لوسيت : نعم، نعم.

نارين : أؤكد لك ما اعلنتُه الآن، وهذا ضرب من ضروب احتياله وغشّه.

لوسيت : أراكِ تصرّين على ما صرحتِ به.

نارين : لقد اقترن بي منذ أربع سنوات.

لوسيت : وانا قد عقد زواجه عليّ منذ سبعة أعوام.

نارين : لديّ أثباتات على صحّة ما صرّحت به أمامكم.

لوسيت : وأنا كل أهالي بلدي يشهدون بأني زوجته الشرعية.

نارين : انا ايضاً، سكّان جيرتي يؤكّدون أني أنا قرينته.

لوسيت : جميع القاطنين مدينة بيزيناس قد حضروا حفلة زفافنا.

نارين : وأنا كلّ مدينة سان كانْتان قد احتلفتْ بعرسنا.

لوسيت : إن كنّا كلانا صادقتَيْن، فأي زير نساء تزوجنا ؟

نارين : ليس من كلام أصدق من الذي صرّحتُ به لنا.
لوسيت : وهل باستطاعتك أنتَ أن تُنكر أقوالي ؟
نارين : وانت، ايها الرجل الخبيث المحتال، هل يسعك أن تكذّبنا نحن الاثنَتيْن ؟
دي بورسياك : كل منكما أكذب من رفيقتها .
لوسيت : ايها الجبان الوقح، أيها الشقي الخسيس، هل تقدر أن تُنكر أولادك. وأولادي طبعاً فانْشون وجانيت، ثمرتَيْ زواجنا نحن الاثنَيْن ؟
نارين : هل بلغتْ بك الجسارة وقلّة الحياء هذا المبلغ الدنيء ؟ أَوَ لَم تعد تذكر الآن ابنتك وابنتي مادلين، وهي خير شاهدة على ارتباطك بي بوثاق الزواج ؟
دي بورسياك : أراني أمام فاجرتَيْن محتالتَيْن لا تخجلان مما تدّعيان باطلاً.
لوسيت : تعالي يا فانْشون، تعالي يا جانيت، تعالوا جميعاً إشهدوا، وأفهِموا هذا الجبان من يكون، لأنه يُنكر حتى أولاده.
نارين : تعالي، يا ابنتي مادلين، تعالي الى هنا واثبتي لأبيك أنه أكبر كذّاب في الكون علّه يستحي ويعترف بواقع حاله.
جانيت وفانْشون ومادلين : يا بابا، يا بابا، يا بابا، يا بابا.
دي بورسياك : تبّاً لكنَّ يا بنات العهر والبغاء.
لوسيت : مالك تسيء معاملة بناتك ايضاً ؟ بعد نكران زوجاتك، يا سافل، يا خسيس ؟ أنت تتهمنا زوراً بالعهر والبغاء، يا عديم المروءة، يا من لا أصل له.
نارين : أَلَا تستحي مما تقوله، يا دجّال، لا سيما أمام بناتك، وهنّ من لحمك ودمك، يا عديم الانسانية، يا سافل الأخلاق. لن تنجو من أيدينا، فرغم نكرانك، ورغم تنصّلك منا ومن أولادك سأظل أنا زوجتك غصباً عنك وسأدعك تدفع ثمن موقفك المخجل باهظاً جداً، يا نَذْل.
الاولاد (**معاً**) : يا بابا، يا بابا باب، يا بابا.
دي بورسياك : النجدة، النجدة. الى أين أهرب من أولاد الحرام هؤلاء ؟
اورونت : حسناً تفعلْنَ. عاقبنه على ما جنت يداه من فسق وتهتّك. حقّاً إنه يستحقّ الشنق حالاً.

المشهد التاسع

اسبريكاني

اسبريكاتي : ها أنا أراقب كل ما يجري، بعينٍ ساهرة شامتة، وكل ما دبرته له من دسائس قد نجح على ما يُرام. لقد تعبتْ أعصابه من هذه المضايقات الى حدّ أنه لم يبق أمامه سوى الفرار ليغنم نفسه.

المشهد التاسع

دي بورسيّاك، واسبريكاني

دي بورسياك : لقد هلكت. ما هذه القصص الغريبة العجيبة. اللعنة تنزل على هذه المدينة الجهنّميّة؛ الجميع يحاولون اذلالي بكل الوسائل.

إسبريكاني : ماذا تقول، يا سيدي ؟ هل جرى لك حادث جديد ؟

دي بورسياك : نعم، نعم. السماء تمطر في هذه المدينة الملعونة نساءً وبناتٍ، وكذلك مسهّلات ومطهِّرات.

إسبريكاني : كيف جرى ذلك ؟

دي بورسياك : هناك عاهرتان تدّعي كل منهما أنها زوجتي، وتهدّداني كلتاهما برفع دعوى عليّ أمام المحكمة.

إسبريكاني : هذه قضية خبيثة، مع العلم أنّ القضاء في هذه المدينة صارم جداً بحقّ مثل هذه الجرائم.

دي بورسياك : نعم، لكن عند إجراء التحقيق ستتبيّن الحقيقة الناصعة، وسيلفظ القضاء كلمته العادلة بتكذيب كل هذه الإدّعاءات الباطلة. ولا بدّ من بذل أقصى جهودي لإظهار الحقيقة الناصعة الأكيدة مدعومة بالأدلّة الثبوتيّة.

إسبريكاني : هذا حديث من له اطلاع واسع على القوانين، ومتضلّع من نصوص الشرع كأن المحاماة مهنتك الأصيلة.

دي بورسياك : أنا لست سوى مواطن صادق.
إسبريكاني : لكي تتكلم بمعرفة وثقة كما تفعل، لا بدّ لك من أن تكون رجل قانون درستَ الحقوق حتماً.
دي بورسياك : لا، لا، أبداً. أنا أتكلّم بما يوحي به اليّ المنطق السليم الذي يرتكز عليه القضاء والعدل. ولا سبيل الى الحكم عليّ استناداً الى مجرّد ادعاءات لا أساس لها من الصحة. فالمجابهة أمام الواقع، لا بدّ من ان تُظهِر الحقائق بجلاء.
إسبريكاني : هذه أيضاً مهارة بارزة مكتسبة بالدرس والاختبار.
دي بورسياك : لقد نطقت بهذه الكلمات عفويّاً بدون أن أبحث عنها.
إسبريكاني : يُخيَّل إليّ أن حديثك المدعوم بالشواهد، لا يمكن أن ينطق به إلّا مَن مارس الدفاع عن الحقوق بموجب القوانين العدلية. وهو يدري بتفاصيل المرافعة والنقاش.
دي بورسياك : هذه كلمات حفظتها، وانا أطالع بعض القصص من وقائع الحياة.
إسبريكاني : حسناً قلت.
دي بورسياك : ولكي أبرهن لك أني بعيد عن جوّ المحاكم، ارجوك ان تدلّني على احد المحامين، لكي ارفع على يده شكواي الى القضاء فيخلّصني من هذه التهم الباطلة.
اسبريكاني : حبّاً وكرامةً. سآخذك الى رجلَين محنّكَيْن بارعَيْن. لكني انبّهك سلفاً كي لا تندهش من اسلوب حديثهما. لانهما تعلّما من المحاكم بعض عبارات تظهرهما كأنهما يُهيّئان السامع لما سيدليان له من اقوال محيِّرة.
دي بورسياك : لا تهمّني طريقة حديثهما. المهمّ أن يصرّحا لي بما أودّ أن اقف عليه من الحقائق.

المشهد الحادي عشر

اسبريكاني، ودي بورسياك

(المحاميان هما موسيقيان، احدهما يتكلّم ببطء زائد، والآخر بسرعة مبالغة، يرافقهما مدّعيان عامّان ورقيبان في الشرطة القضائية).

المحامي الاول (بلهجة بطيئة) : تعدّد الزوجات جريمة تستحق الشنق حالاً.

المحامي الثاني (بلهجة سريعة) : قضيتك واضحة وصريحة والعدالة في هذا المكان تعيد الحق الى صاحبه بأمان اذا راجعت المشرّعين من يوستينيانوس الى بابينْيانوس وألْبيانوس وتريبونيانوس وفيرنان وريبوفيل وجان وإيمول وبولس وكاستروك وكوجاس، هذا الرجل العظيم والمشرّع القدير توقن بأن تعدّد الزوجات جريمة تستحقّ الشنق حالاً. فكل الشعوب الخاضعة للقوانين وتحتكم الى المنطق السليم من فرنسيّين وإسبان وفلمنْكيّين وإيطاليّين وألْمان وشرقيّين، كلهم أجمعوا على شريعة واحدة والقضية هنا أضحت واضحة تُؤكّد أنّ تعدّد الزوجات جريمة تستحقّ الشنق حالاً.

(دي بورسياك يقاتلهم، بينما النائبان العامان والرقيبان في الشرطة القضائية يدخلان، وينتهي الفصل الثاني).

الفصل الثالث

المشهد الاول

اراشت واسبريكاني

اسبريكاني : نعم، الأمور تتّجه الى حيث نشاء. ولمّا كانت الاضواء ضئيلة خافتة ومعنويّاته منهارة الى أقصى حدّ، حملته على الخوف من صرامة العدالة في هذه البلاد، ومن الاستعدادات القائمة على قدم وساق لإعدامه، وها هو ينوي الهرب لدى اول فرصة سانحة. ولكي يفرّ بسهولة قلت له إنّ المسؤولين وضعوا له عند أبواب المدينة لتوقيفه جواسيس تراقبه، فرضي أخيراً بأن يرتدي ثياباً تنكّرية بزيّ امرأة.

اراست : كم اودّ ان أبصره في هذا اللباس الذي سيجعل منه أُنثى.

اسبريكاني : فكّر أنت من جهتك كيف ستنتهي المهزلة. بينما انا اقوم بدوري حياله. هيّا انصرفْ. هل سمعت ما أوصيتك به ؟

اراست : نعم.

اسبريكاني : وحين أضعه حيث أريد ....

اراست : جيد جداً.

اسبريكاني : وحين أُلْفتُ أنا انتباه الوالد الى ....

اراست : ستكتمل القصة على أَحسن ما يُرام.

اسبريكاني : ها هي آنستنا آتية. هيا اذهبْ بسرعة لكي لا يرانا صاحبنا معاً.

المشهد الثاني

دي بورسياك (متنكّراً بثياب امرأة) واسبريكاني.

اسبريكاني : بالنسبة اليّ، انا لا أصدّق أننا في هذا الوضع يمكننا أن نرى، رغم مظهرك الناعم ومشيتك الرشيقة، انك لست امرأة.

دي بورسياك : هذا ما يذهلني في هذا البلد حيث جميع معالم العدالة لا تساعد على تطبيق قوانينها.

اسبريكاني : نعم، قلت لك ان جميع الاستعدادات هنا جارية لالقاء القبض على رجل مطارَد والمباشرة بمحاكمته.

دي بورسياك : هذه عدالة خرقاء ظالمة.

اسبريكاني : هي قاسية مثل كل الأبالسة، لا سيما حيال هذه الجرائم الاخلاقيّة.

دي بورسياك : لكن، عندما يكون الإنسان بريئاً.

اسبريكاني : هذا غير مهمّ، لأن المسؤولين هنا لا يبحثون عن إحقاق الحقّ. وفي هذه المدينة بنوع خاص يُعَشْعِش الحقد الأسود في قلوب الأهالي، لا سيما نحو القادمين من بلادكم، ولا يسرّهم اكثر من أن يروا أحداً منكم متدلياً من حبل المشنقة.

دي بورسياك : وماذا فعلنا نحن بحقّهم ؟

اسبريكاني : هُمْ قساة، وأعداء اللين والفضيلة السائدة في غير مدنهم. ولا يسعني إلّا أن أقرّ لك بأني خائف جداً على مصيرك، ولن أقبل أيّ عزاء في حال إعدامك لا سمح الله.

دي بورسياك : انا لست خائفاً من الموت بحدّ ذاته، لكني هربت مما يغيظ كل إنسان شهم يُحكَم عليه بالشنق زوراً وبهتاناً. لان هذه المعاملة الوحشية هي في الحقيقة إهانة لكل رجل نبيل نزيه.

اسبريكاني : الحق معك. وفي مثل هذا الحال سيضنّون عليك بما يحقّ لك، وينتزعون منك ايّ لقب حتى الفروسيّة. في الواقع يجب عليك أن

تتنبه عندما أشدّكَ من يدكَ، الى السير كالنساء برشاقة، والتكلّم بلهجة لا تفضح حقيقة أمرك .

دي بورسياك : دعني اتصرّف. فأنا أعرف جيداً كيف أماشي وضعيّتي الجديدة الموقّتة. لكن ما يشغل بالي هي لحيتي الطويلة قليلاً.

اسبريكاني : لحيتك غير هامّة، إذ إن لبعض النساء لِحىً كما هو حالك الآن. هيّا أرني كيف تمشي. حَسَن.

دي بورسياك : هيّا بنا إلى عَرَبَتي. أي هي ؟ ماذا حلّ بها ؟ يا إلهي. ما أشدّ تعاستي عندما اتعاطى مع أناس على هذا الشكل الذي نراه. هل سيَدَعُونني أنتظر طوال النهار على قارعة الطريق، ولا يأتيني أحد بعربتي ؟

اسبريكاني : مهلاً.

دي بورسياك : أيها السائق، يا خادمي الحقير، أيها الغبي الكبير. لماذا ضربت الخيل كل هذه السياط ؟ ستتلقّى منّي مثلها، أيها الخادم الحقير. أين هذا الخادم الصعلوك ؟ أو لم يبقَ لدي من يخدمني في هذه الدنيا ؟

اسبريكاني : هذا أمر عجيب. لكني ألاحظ ما هو أغرب، وأعني هذه القبعة الرخوة قليلاً، سأرسل في طلب غيرها أوسع منها، لكي تخفي وجهك بطريقة أفضل، فيما اذا صادفت احد المتطفّلين.

دي بورسياك : ماذا سيحل بي يا ترى ؟

اسبريكاني : انتظرني هنا. وسأكون في خدمتك بعد لحظة. يمكنك أن تتنزّه قليلاً.

المشهد الثالث

حاجبان، ودي بورسياك

الحاجب الاول : هيّا بنا نسرع، يا رفيقي. لا بدّ لنا من الذهاب معاً الى محلّة « كراف » لكي نرى ما إذا وصل السيد دي بورسيّاك الذي حُكِم عليه بالإعدام شنقاً وشدّ الحبل حول عنقه.

الحاجب الثاني : يجب علينا ان نستأجر نافذة لكي نشاهده ونرى كيف تأخذ العدالة مجراها.
الحاجب الاول : يُقال إن عود المشنقة قد نُصب حديثاً ليُعلَّق عليه دي بورسيّاك.
الحاجب الثاني : سنفرح كثيراً بشنق أحد أهالي ليموج.
الحاجب الاول : أجل وسأنظر اليه كيف يدلّي رجليه في الهواء امام كل المشاهدين.
الحاجب الثاني : سيكون منظره مدهشاً. أجل، لأنه اقترن بثلاث نساء دفعةً واحدة، ولم يكتفِ بواحدة كسائر الرجال حسب القانون.
الحاجب الثاني : نهارك سعيد، يا آنسة.
الحاجب الاول : ماذا تفعلين هنا وحدك ؟
دي بورسياك(بزيّ إمرأة) : أنا أنتظر جماعتي، يا سادة.
الحاجب الثاني : ما أجملها.
دي بورسياك : مهلاً، يا سيدي.
الحاجب الاول : انت، يا آنسة، جئت لتبتهجي بمشاهدة المجنون الذي سيشنق في محلّة « كريف ». حقاً ستبصرين بعد قليل مشهداً رائعاً.
دي بورسياك : ارجوكم ان تعفوني من رؤياه.
الحاجب الثاني : هناك رجل من النبلاء المزيفين من اهالي ليموج سيشنق عقاباً له على قبائحه وسيعلّق على عود ضخم حتى يزهق حبل المشنقة انفاسه.
دي بورسياك : انا لا احب هذه المشاهد العنيفة.
الحاجب الاول : ما هذا الصدر العامر.
دي بورسياك : إحتشم، يا هذا.
الحاجب الاول : كم يلذّ لي ان انام بجانبك.
دي بورسياك : هذا حقّاً يتعدّى حدود اللياقة. ومثل هذه الاقوال القذرة لا توجّه الى امرأة محترمة مثلي.
الحاجب الثاني : دعها، يا صاح، فانا اتدبّر امرها بصورة انسب منك.
الحاجب الاول : انا لا اريد التخلي عنها لأحد.

الحاجب الثاني : ولا انا ايضاً.
(يتجاذبان دي بورسياك المتنكّر بزي امرأة)
الحاجب الاول : لن أُقْدِم على اي عمل.
الحاجب الثاني : انت منافق محتال.
الحاجب الاول : بل انت الكذّاب الاكبر.
دي بورسياك : النجدة، النجدة.

المشهد الرابع

رجال الامن، ومسلّحان، والحاجب الاول والحاجب الثاني
ودي بورسياك (بزيّ امرأة)

رجال الامن : ما هذا ؟ ولماذا هذا النقاش الحادّ ؟ ماذا تريدان كلاكما من هذه السيدة ؟ هيّا أخرجا من هنا، اذا لم تريدا أن تُساقا الى السجن.
الحاجب الاول : أجل، سنذهب. ولن تكون لك أنت أبداً.
الحاجب الثاني : حسناً، سنمضي معاً، ولن تكون لك بتاتاً.
دي بورسياك : اشكرك، يا سيدي، لأنك أنقذتني من هذين المعتديَيْن الوقحَيْن.
رجال الامن : نعم، هذا الوجه يشبه الذي وُصِفَ لي تماماً.
دي بورسياك : أؤكّد لك أني لست من تتكلّم عنه.
رجال الامن : ها، ها. ماذا قلتُ لكَ ؟
دي بورسياك : لست أدري.
رجال الامن : لماذا إذاً نفيتَ ذلك ؟
دي بورسياك : انا لا أقصد امرأً معيّناً.
رجال الامن : حديثك يدلّ على إخفاء أمر ما. لذلك أُلْقي القبض عليكَ.
دي بورسياك : أرجوكَ، يا سيدي أن ترأف بحالي.
رجال الامن : لا، لا. يبدو عليكَ انكَ بكل تأكيد السيد دي بورسياك

الذي نبحث عنه، وقد تنكّرت بثوب امرأة. فلا بدّ لك من أن ترافقني الى السجن حالاً.

دي بورسياك : يا للأسف.

المشهد الخامس

رجل الأمن، والمسلّحان، واسبريكاني ودي بروسياك.

اسبريكاني : أيتها السماء، ماذا يعني هذا التصّرف ؟

دي بورسياك : لقد انكشف أمري.

رجال الامن : نعم، وأنا فخور ومسرور بذلك.

اسبريكاني : يا سيدي، إكراماً لي، وأنت تعرف مدى الصداقة التي تربطنا معاً منذ زمن بعيد، ألْتمس منك أن لا تقوده الى السجن.

رجال الامن : كلاّ. هذا مستحيل.

اسبريكاني : انت يا رجل التسويات، قُلْ لي أليس من وسيلة لقبض مبلغ من المال لقاء صرف النظر عن هذه القضية، وغضّ الطرف عنها نهائياً.

رجال الامن(يخاطب مسلّحَيْه) : إنسحبا من هنا.

اسبريكاني(يخاطب دي بورسياك) : لا بدّ لك من أن تدفع مبلغاً من المال لكي يخلي سبيلك. هيا ادفع له.

دي بورسياك : تبّا لأهالي هذه المدينة الملعونة.

اسبريكاني(يخاطب رجل الأمن) : تفضّل، يا سيدي.

رجال الامن : كم هو المبلغ ؟

اسبريكاني : واحد، إثنان، ثلاثة، اربعة، خمسة، ستة، سبعة، ثمانية، تسعة عشرة.

رجال الامن : لا، لا. الأوامر الصادرة بحقّه مشدّدة، ومسؤوليتي كبيرة.

اسبريكاني : يا الهي، ما هذا الطمع. انتظر لحظةً. هيا عجّل وادفع له ضعْف هذا المبلغ.

دي بورسياك : ولكن ....

اسبريكاني : أقول لك أسرع ولا تُضِع الوقت سدىً. هل يسرّك أن تُشْفَق إذاً ؟

دي بورسياك : آه.

اسبريكاني : خُذْ، يا سيدي.

رجال الامن : لا بدّ لي من الهرب معه الآن، إذْ إني لن أجد الأمان هنا. دعني أقوده الى مكان آمِن، وابْقَ أنت هنا.

اسبريكاني : أرجوك أن تهتمّ به كما يجب.

رجال الامن : أعِدُك بأن لا أتركه وحده لحظة واحدة قبل أن أُوصله الى مكان حريز أطمئنّ اليه.

دي بورسياك : الوداع. أنت الرجل الشهم الوحيد الذي وجدته في هذه المدينة.

اسبريكاني : لا تُضِعْ وقتك. أنا احبّك، وأوّد أن تبتعد عن هنا بقدر ما يمكنك. رافقتك السلامة. إنك حقّاً ساذج بسيط. ولكن ما هذا ؟

المشهد السادس

اورونت، واسبريكان.

اسبريكاني : ما هذه المغامرة الغريبة. وما أزعج هذا النبأ بالنسبة الى الأب المخدوع. مسكين أنت، يا أورونت. كم اشفق عليك. ماذا ستقول ؟ وكيف ستتحمّل ألَم هذه الضربة القاضية.

اورونت : ماذا تقول ؟ وبأي شرّ تتنبئني ؟

اسبريكاني : آه، يا سيدي. هذا الرجل من سكان ليموج وهو سافل حقير يُدعى دي بورسياك، لأنه خطف لك ابنتك.

اورونت : خطف لي ابنتي ؟

اسبريكاني : نعم. لقد هامت بحبّه حتى الجنون، فتخلّت عن كل ما في الدنيا وتبعته. ويُقال إنه داهية يحمل النساء جميعاً على تعشّقه والتضحية بجميع ما لديهن في سبيله.

اوورونت : هيّا بنا نذب حالاً الى المحكمة، فنرسل المسلّحين لإلقاء القبض عليهما.

المشهد السابع

اراست، وجولي، واسبريكاني، وأوورونت.

اراست : هيّا، ستأتين مرغمةً، وسأسلّمك لوالدك. ها هي ابنتك، يا سيدي، وقد سحبتها بالقوّة من بين يدي الرجل الذي فرّت معه. وقد فعلت أنا هذا لا إكراماً لحبها، بل لأجل ردّ اعتبارك فقط. بعد ان عاملتْك هذه المعاملة الجاحدة. وأنا ازدري بها الآن لأنها بفعلتها هذه اقتلعت هواها من أعماق قلبي.

اوورونت : تبّا لك من خسيس،

اراست : ماذا تقول ؟ (يخاطب جولي) بعد أن أظهرت لكِ كل صداقتي. أنا لا ألومك على امتثالكِ لأوامر والدكِ. فهو عاقل ومنصف في ما فعله، بل ألوم نفسي فقد إزدرى بي كما فعل بغيري. فاذا كان قد نقض الوعد الذي قطعه لي، فلا بدّ من ان تكون هناك أسباب دفعته الى ذلك. إذ أوهمه المغرضون أن الشخص الآخر منافسي رجل غني يملك اربعة أو خمسة آلاف ليرة ذهبية اكثر منّي، وأن ذلك يستحقّ التراجع عن كلامه. لكنْ إنسَيْ برهةً كل الحبّ الذي بدر منّي نحوكِ، كي تتشوّقي ويلتهب قلبك هياماً نحو العريس الجديد وتتبعيه بقليل من الخجل، بدون أن تستشيري والدك، بعد الجرم الذي نُسب اليه، وهذا امر كل الناس تشجبه، وفؤادي أنا لا يسعه أن يلومك عليه، ولا أن يغفر لك سوء تصرّفك.

جولي : نعم، لقد وقع قلبي بهواه، وشئتُ أن أُلْحق به بما أن أبي اختاره لي كزوج. ومهما قلت لي، هو رجل شهم، وكل التهم التي توجَّه اليه باطلة لا أساس لها من الصحّة.

اورونت : أصمتي، أنتِ جاهلة جسورة، وأنا أكثر دراية منك بمصلحتك بصفتي والدك.

جولي : هذه كلها قصص واتهامات أُلْصقت به، وهذا هو الذي أوجد هذه الحجج لكي يكرّهك به وينفرّك منه كي ترفضيه.

اراست : انا كنت فعلت مثله.

جولي : أنتَ، نعم.

اورونت : قلت لك ان تسكتي. أنتِ فعلاً غبية حمقاء قليلة الخبرة.

اراست : لا، لا. لا تظنّي أني أنوي أن أُبطل هذا الزواج. وأنّ شوقي اليك حملني على الجرْي وراءك. لقد أفهمتك أنّ هذا ليس إلّا للاعتبار الوحيد الذي أكنّه لوالدك، ولم أنشأ أن يتعرّض رجل شهم مثله الى العار والمذلّة والأقاويل التي ستحوم حول العمل الجريء الذي بدر منك.

اورونت : انا ممنون جداً، يا سيدي أراست، على هذا التقدير والرأي السديد.

اراست : الوداع، يا سيدي. كنت أرغب من كل قلبي أن تقوم بيننا صلة القرابة بالزواج. وقد عملت كل ما بوسعي للحصول على هذه السعادة. لكني تعيس، إذْ لم تجدّ أنت فيّ الكفاءة والاستحقاق لمنحي هذه النعمة. وهذا لا يمنعني من أن احفظ بصدقٍ مع ذلك عواطف الود والاحترام لشخصك الكريم. لم يسعفني الحظ لأكون صهرك فعلى الاقل أرجوك أن تعتبرني من الآن وصاعداً صديقك وخادمك الامين.

اورونت : قفْ عند هذا الحدّ، يا سيدي أراست. فإن كلامك قد تغلغل الى أعماق فؤادي. ولذلك سأمنحك يد ابنتي فتصبح شريكة حياتك.

جولي : انا لا أريد زوجاً إلّا السيد دي بورسياك.

اورونت : وانا أصرّ في هذه اللحظة على أن ترضَيْ بالسيد أراست زوجاً لك. هيا هاتي يدك.

جولي : كلاّ. انا لا أريده.

اورونت : انا أريده وستقترني به مرغمةً.
اراست : لا، لا، يا سيدي. لا تجبْرها على هذا الزواج بالإكراه. أرجوك.
اورونت : يتحتم عليها أن تطيعني أنا والدها. وسأعرف كيف أُرغمها على الخضوع لأوامري.
اراست : ألا ترى انها تحب ذلك الرجل؟ وهل تريد ان أمتلك جسماً يسيطر على قلبه رجل آخر.
اورونت : هذا كفر لم يسبق له مثيل، نقله اليها ذاك الخبيث المحتال. وسترى كيف ستغيّر رأيها وتبدّل عواطفها عمّا قريب وتحوّلها اليك أنت. هيّا ناولْيني يدك، يا ابنتي، بربّكِ عجّلي.
جولي : انا، لا ....
اورونت : ما هذا التصرف الغريب. هيا، قلت لك أن تناوليني يدك بسرعة.
اراست : لا تظنّي أني حباً بكِ أناوله يدي. بل انا افعل ذلك اكراماً لوالدك الذي احترمه كثيراً، ويخيَّل اليّ إنه بمقام أبي.
اورونت : اشكرك على هذه العاطفة النبيلة. لذا أنا أزيد مبلغ عشرة آلاف ليرة ذهبية على بائنة ابنتي. هيا استدعي الكاتب العدل ليُجهّز عقد الزواج.
اراست : بانتظار وصوله، يمكننا أن نبتهج بأفراح هذه المناسبة، وأن نُدخِل الاقنعة التي كانت جاهزة لعرس السيد دي بورسياك، والتي استقدمها معه من شتى أنحاء المدينة.

المشهد الثامن والاخير

عدة مقنَّعين.

بجميع الوسائل، وحيث البعض يشغلون عدّة شرفات، والبعض الآخر في الساحة يشدو بالعديد من الاعنيات، وبمختلف الرقصات والألعاب والتسليات البريئة.

مصرية : اخرجوا، اخرجوا من هذه الأمكنة
واطرحوا الاحزان والهموم والأقنعة.
ثم تعالوا، تعالوا نضحك ونلعب
ونتسلّى وننعم بالعطف والحب

جوقة الموسيقيين : لا تفكّروا إلّا بالملاهي
واطردوا عنكم كل الدواهي.

المصرية : لن أُفوّت أوقات السرور
لأن عطفك يملأني بالحبور
وشذى حبك أحلى من العطور
اسلكوا طريق الهوى والهيام
لأنه السبيل الوحيد الى الوئام.

مصري : دعونا نحب حتى يدركنا الأجل
فالعقل يدعونا ويمهّد السبل
واذا لم نرغب في اطاييب الحياة
نقضي العمر في خيبة الآمال
هيّا منذ اليوم الى الهوى والجمال
ذلك أفضل لراحة كل الأجيال

(كلاهما يتخاطبان) :

المصري : الخيرات
المصرية : المجد
المصري : العظمة
المصرية : الأطياف التي نشتاق اليها
المصري : كل ذلك ليس له قيمة حقيقية
اذا لم يسكن الحب في قلوبنا.

المصرية : بدون المحبة لا معنى للحياة
ولا نكهة لشهامتنا وإن كنّا أُباة

كلاهما (معاً) : هيّا بنا الى الرقص والغناء
هذا أفضل طريق الى الهناء.

الجوقة الصغيرة : (تنشد بعد ذلك هذه الأبيات الأخيرة)
هيّا ننشد كلنا معاً
ونرقص ونغنّي الأربعا.

موسيقي
(منفرد) : عندما نجتمع لنضحكْ كلنا
عقلنا على ما أظنّ ينصحنا
بأن لا نرى في العشق جنونا.

الجميع (معاً) : لا نطلبّ إلا البهجة والمرح
فأهمّ ما في الوجود هو التمتّع بالفرح.

(تمت)

القرويُّ المتمدّن

أشخاص المسرحية

السيد جوردان : قروي.

السيدة جوردان : زوجته.

لوسيل : ابنة السيد جوردان.

نيكول : خادمة.

كلييُونْت : عاشق لوسيل.

كوفْيال : خادم كلييُونْت.

دورانْت : كونت عاشق دوريمان.

دوريمان : مركيزة.

استاذ موسيقى

تلميذ استاذ الموسيقى

استاذ الرقص

استاذ السلاح

معلّم خيّاط

أجير الخيّاط

خادمان

عدة موسيقيّين وموسيقيّات وعازفين وراقصين وطُهاة وأُجراء خيّاط وسواهم من الاشخاص والمساعدين.

تجري الأحداث في باريس.

الفصل الأول

رفْع الستار يتمّ بضجة كبيرة على أثر اجتماع العازفين وآلاتهم الموسيقية، في وسط المسرح يُشاهد تلميذ استاذ الموسيقى الذي يضبط آلته على لحن معروف شائع.

المشهد الاول

ستاذ الموسيقى، واستاذ الرقص، وثلاثة موسيقيّين، وعازف كمان، وأربعة راقصين.

استاذ الموسيقي (**يخاطب الموسيقيّين**) : تعالوا ادخلوا الى هذه القاعة واستريحوا قليلاً هنا بانتظار مجيء رب البيت.

استاذ الرقص (**يخاطب الراقصين**) : وانتم ايضاً تقدّموا من هذه الناحية.

استاذ الموسيقى (**لتلميذه**) : هل أتممت المطلوب منك ؟.

التلميذ : نعم.

استاذ الموسيقى : حسناً فعلت.

استاذ الرقص : هل هذا لحن جديد ؟.

استاذ الموسيقى : أجل، هذا نغم أغنية أَلّفتها ولحنتها هنا، وانا انتظر صاحبنا ريثما ينهض من النوم.

استاذ الرقص : هل لي ان أُلْقي عليها نظرة ؟.

استاذ الموسيقى : ستستمع اليها بعد قليل من الوقت، مع حوارها، حال

وصول رب البيت الذي ننتظره ولن يتأخر عن القدوم.

استاذ الرقص : مشاغلك ومشاغلي أضحت على جانب من الاهمية.

استاذ الموسيقى : هذا صحيح. لقد وجدنا هنا رجلاً كنّا نتمنّى كلانا ان نعثر عليه، كي يدرّ علينا عملنا مالاً لا بأس به بتعاطينا والسيد جوردان الذي يأمل ان يرتقي الى مصافّ النبلاء، واللياقة التي تراود افكاره. وكم نرجو بواسطة رقصك وفنيّ الموسيقى، ان يحذو حذوه كل الناس.

استاذ الرقص : ليس تماماً. لأني أرجو ان يندمج اكثر، في ما نلقّنه اياه.

استاذ الموسيقى : لا يُنكر إنه يكاد ان يكون جاهلاً. لكنه يدفع لنا ما يستحقّ الذكر. وهذا ما يحتاج اليه فنّنا في الوقت الحاضر اكثر من أي أمر سواه.

استاذ الرقص : انا لا أخفي عنك اني مرتاحٍ الى ما أجنيه هنا من العزّ والمجد. لان التصفيق يسرّني كثيراً. واعتبر إهانةً بحقي ان لا يتذوق الحمقى ولا يقدّرون مواهبي حق قدرها. بينما يسعدني ان اشاهد اناساً يدركون سموّ فنّنا ويتذوّقون نعومته ويستقبلون بالترحاب اعمالاً تدغدغ عواطفهم، وننال استحسانهم، وانت تبذل اقصى مهارتك وبراعتك. اجل، ان افضل مكافأة على جهودك هي رؤيتك علامات التقدير وسماعك كلمات المديح والتصفيق الحادّ. وهذا أوْلى أجرٍ نناله على اتعابنا. حقّاً ليس أحلى من عبارات الإطراء والثناء.

استاذ الموسيقى : انا موافق كل الموافقة على ما تقول، لأني انا ايضاً أتذوق عبارات المديح. في الحقيقة، لا شيء يوازي تصفيق الإستحسان، كما تقول. لكن هذا البخور وحده لا يؤمّن لنا العيش الكريم. والمديح فقط لا يمنح البحبوحة. إذ لا بدّ من المال الرنّان الذي نعتبره أوفى وسيلة للتعبير عن تقدير أعمالنا الفنيّة بالدفع لنا بسخاء. في الواقع، صاحبنا رجل قليل المعلومات يتكلم يميناً ويساراً في كل المواضيع جزافاً، ولا يصفّق إلا عندما لا يكون من داعٍ لذلك. غير ان كرمه يلبي حاجتنا الى المال، وهو لا يعرف الشكر إلاّ بما يجود به علينا من نقود وافرة كما ترى. ربنا يُجزي عنا خيراً من هدانا وأوفدنا الى هذا السيد الكريم.

استاذ الرقص : هذا صحيح. لكني ألاحظ انك تلحّ كثيراً على الناحية المالية في ما نؤدّيه من عمل، ونحن أهل الفنّ يجدر بنا ان لا نذكر الفوائد التي نجنيها من نشاطنا الفني غير المادّي.

استاذ الموسيقى : مع ذلك أنت لا ترفض ما تناله من الدراهم التي يمنحك إيّاها هذا الرجل الكثير العطاء.

استاذ الرقص : طبعاً، لكني لا أذكر ذلك كأنه كل ما أصبو اليه من وراء عملي الرشيق. علينا ان نُظهر حسن ذوقنا في أداء براعتنا ولا نصرّح بما أعلنته الآن من أقوال في هذا الموضوع.

استاذ الموسيقى : انا طبعاً، من الذين تنطبق افكاره على ما ذكرته امامي. وكلانا يسعى الى غاية واحدة. وهذا ما يُيّسر لنا الوسيلة ايضاً لتوسيع شهرتنا بين الناس. حقّاً هو يدفع اكثر من الآخرين الذين يُفصحون عمّا كان عليه هو أن لا يتردّد في كيله لنا من الشكر والمديح.

استاذ الرقص : ها هو قادم.

المشهد الثاني

السيد جوردان (مرتدياً ثوب البيت وقبعة النوم على رأسه)، **وخادمان واستاذ الموسيقى، واستاذ الرقص، وعازفو كمان، وراقصون.**

السيد جوردان : اهلاً بكم، يا اصحاب. ماذا تريدون ان تعرضوا عليّ من شعوذاتكم ؟.

استاذ الرقص : ماذا تقول ؟ شعوذاتنا ؟.

السيد جوردان : كيف تدعو ذلك يا هذا ؟ وهل هذه هي مقدمة او محاورة يرافقها الغناء والرقص ؟.

استاذ الرقص : ها ها.

استاذ الموسيقى : نحن على أتم الاستعداد.

السيد جوردان : لقد تركتكم تنتظرونني قليلاً. فإنّي كنت أرتدي ملابس

الذوات. لأن خيّاطي أرسل لي جوارب حرير لم اكن أحلم بلبسها قط.
استاذ الموسيقى : نحن هنا في خدمتك، يا سيدي.
السيد جوردان : ارجوكما كليكما ان لا تذهبا قبل أن يجلب لي الخدم ردائي الجديد لأريكما اياه.
استاذ الرقص : كما تشاء.
السيد جوردان : وارجوكما ان تُلبساني من أخمص قدميّ الى قمّة رأسي.
استاذ الموسيقى : نحن هنا لا نتردد في عمل كل ما يرضيك.
السيد جوردان : هذا الرداء نسيجه مستورد من الهند، وهو غالي الثمن.
استاذ الرقص : حقاً، انه جميل جداً.
السيد جوردان : لقد اكّد لي خيّاطي ان كبار الناس يرتدون هكذا في الصباح.
استاذ الموسيقى : هذا حقاً يليق بك.
السيد جوردان : ايها الخادمان... أين خادماي ؟.
الخادم الاول : بماذا تأمرني، يا سيدي ؟.
السيد جوردان : لا شيء. أريد ان اراكما. هل تسمعاني جيداً ؟ (للاستاذين) ما رأيكما في لبسي هذا ؟.
استاذ الرقص : انه رائع.
السيد جوردان (**يكشف طرف ثوبه عن سرواله الضيّق، وهو من المخمل الاحمر، وعن سترته وهي من المخمل الأزرق**) : هذه الثياب مخصّصة للرياضة البدنية التي أقوم بها كل صباح.
استاذ الموسيقى : هذا بديع.
السيد جوردان : ايها الخادم.
الخادم الاول (**وهو يخلع ثوبه**) : اليك بهذا الثوب. (للاستاذين) هل تجداني طريفاً بهذه الملابس ؟.
استاذ الرقص : انها رائعة، وليس احلى منها في الوجود.
السيد جوردان : والآن وصلنا الى ما انتما آتيان من أجله.
استاذ الموسيقى : أريد أولاً أن اسمعك لحناً (يشير الى تلميذه) ألّفه الآن

لينشده حسب طلبك. هذا احد تلاميذي الموجودين، وهو يستحقّ كل اعجاب.

السيد جوردان : نعم. لكن الافضل ان لا تكون قد كلّفت بذلك تلميذاً. هل وجدت نفسك أرفع من ان تقوم انت نفسك بهذا العمل ؟.

استاذ الموسيقى : عليك ان لا تستهين بكلمة تلميذ. فكم من تلميذ فاق معلمه. وتلميذي هذا أمهر من أي استاذ كبير الشأن، ولحنه لا اروع ولا احلى منه. ارجوك ان تصغي اليه.

السيد جوردان (**لخادمية**) : اعطياني ثوبي لأرتديه كي أسمع بصورة افضل... انتظر من فضلك. اعتقد اني اكون اكثر هيبة اذا بقيت بدونه. لا،لا. أعطياني اياه لأرتديه، فيكون ذلك افضل بكثير.

احد الموسيقيين (**ينشد**) :

أنا أذوب شوقاً ليلاً ونهاراً،
منذ أن سحرتني عيناك النجلاوان
إن ظللت يا زهرة، تعامليني هكذا جهاراً
فالجفاء سيقضّ مضجعي والهجران.

السيد جوردان : تبدو لي هذه الاغنية حزينة، وهي تكاد تدفعني الى النوم. فأسألك ان تنشّطها لتطرد عني النعاس.

استاذ الموسيقى : لا بد للّحن ان ينطبق على كلام الاغنية.

السيد جوردان : لقد تعلّمت منذ مدة نغماً حلواً. إسمع. ها هو... لكني لا أتذكّر كيف يجب أن أبدأ به.

استاذ الرقص : انا ايضاً لا أتذكره مطلقاً.

السيد جوردان : فيه كلمة خِرفان.

استاذ الرقص : خرفان ؟.

السيد جوردان : نعم، نعم. (السيد جوردان ينشد) :

كنت اعتقد يا فلان
انك لطيف كالخرفان
لكنك ظهرت كالأفعى

لضرري دوماً تسعى.
وانت كالوحش الضاري.
تبادر الى انتزاع إزاري.
أوليس هذا في غاية الجمال ؟.

استاذ الموسيقى : لا أعذب منه في العالم أجمع.

استاذ الرقص : ليس أرخم من صوتك في كل الكون.

السيد جوردان : وأنا لم أتعلّم الموسيقى بعد.

استاذ الموسيقى : هل تريد حقاً ان تدرس الموسيقى، كما تريد ان تتعلّم الرقص ايضاً ؟ هذان الفنّان متلازمان لا يفترقان.

استاذ الرقص : وهما يفتحان الأذهان على ما نهاية له من الامور البديعة.

السيد جوردان : هل يتعلم الأكابر أصول الموسيقى ايضاً ؟.

استاذ الموسيقى : اجل، يا سيدي.

السيد جوردان : اريد اذاً ان أتقنها. ولكني لا ادري كم من الوقت استطيع ان اخصّص لها كي اتعلّمها. لاني استدعيت استاذ السلاح ايضاً. وطلبت من استاذ الفلسفة ان يباشر تدريسي منذ هذا الصباح.

استاذ الموسيقى : الفلسفة هي علم عريق. لكن الموسيقى يا سيدي، الموسيقى...

استاذ الرقص : الموسيقى والرقص... الرقص والموسيقى زميلان لا يفترقان.

استاذ الموسيقى : ليس في العالم ما هو أكثر فائدة من الموسيقى، يا سيدي.

استاذ الرقص : بل ليس في الدنيا ما هو ضروري للانسان اكثر من فنّ الرقص.

استاذ الموسيقى : بدون الموسيقى لا يمكن لدولة في العالم ان تزدهر.

استاذ الرقص : وبدون الرقص لا يستطيع الرجل ان يقدم على اي عمل.

استاذ الموسيقى : كل الفوضى وجميع الحروب التي تهدم العالم لا تحدث إلّا لأن الناس لا يتعلمون الموسيقى.

استاذ الرقص : كل المصائب والشدائد لا تحلّ بالناس، وجميع الكوارث الفظيعة التي تملأ صفحات التاريخ، وكل الاخطاء السياسية وخيانة كبار الحكام لا تقع إلّا لأن الناس لا يعرفون الرقص.

السيد جوردان : كيف يتمّ ذلك ؟.

استاذ الموسيقى : أولاً تندلع الحروب بسبب سوء التفاهم وفقدان الانسجام بين الناس.

السيد جوردان : هذا صحيح.

استاذ الموسيقى : لو أتقن الناس جميعاً أصول الموسيقى لما أمكنهم ان يختلفوا فيما بينهم، وان لا يخيّم جوّ السلام عليهم.

استاذ الرقص : عندما يرتكب الانسان جرماً شائناً يضايق سلوكه على السواء أسرته وحكومته وقيادة الجيش. ألا يُقال دائماً.. « إن فلاناً اقدم على خطوة خاطئة في القضية الفلانية » ؟.

السيد جوردان : هذا صحيح ايضاً. وكلاكما على حق.

استاذ الرقص : نحن نريد ان نبيّن لكل فوائد الرقص والموسيقى...

السيد جوردان : الآن فهمت ما تقصدان.

استاذ الموسيقى : فهل تريد ان تتعلّم فنّ كل واحد منّا ؟.

السيد جوردان : بكل تأكيد، وفي أقرب وقت ممكن.

استاذ الموسيقى : كما قلت لك مراراً، أريد ان أجري امامك تجربة قد أقنعتْ كل أصحابي بفوائد الموسيقى...

السيد جوردان : حسناً تفعل.

استاذ الموسيقى (للموسيقيّين) : هيا تعالوا الى هنا. (للسيد جوردان) تصوّر ان هؤلاء يرتدون ملابس الرعاة.

السيد جوردان : ولماذا يأتي دائماً ذكر الرعاة ؟ وانا لا أرى غيرهم حولي ؟.

استاذ الرقص : عندما يريد الناس ان يتخاطبوا بالموسيقى، عليهم ان يتشبهوا بالرعاة. لأن الرعاة هم اول من مارس فن الغناء وسط الطبيعة. وليس غريباً ان يكون حوار الامراء او حوار الفلاحين قد دار إلّا حول التغنّي بعواطفهم.

السيد جوردان : هيا اذاً، أسمعوني. حوار غنائي بين موسيقية واثنين من الموسيقيّين :

الموسيقية : القلب في مملكة الحب
يتألم من الوجد والحبّ،

ويقال ان الهوى مشوب.
بألم الصدّ يذوب.
لكن مهما قال العزّال.
ليس احلى من الوصال.
ليس اجمل من العواطف الرقيقة.
التي تحيي بارقة الامل في الفؤاد.
فالوله يعذّبه الصدّ والبعاد.
ولا تورث الاشواق المحرومة إلا السهاد.
أمّا السعادة في الهوى فلا تدوم دقيقة.
مع ذلك لا تخفي الهيام من حياتي.
فتحرمني ألذّ وأعزّ ذكرياتي.

الموسيقي الثاني : كم شقيت من طغيان الهوى،.
وكم تمنيّت ان ترقّ لحالي،.
وان تصدّق الوجد المتجلّي في اقوالي.
فتعطف عليّ ولا تحرمني أنْس وجودها.
وإلا حملني على الكفر صدودها.

الموسيقي الاول : ما أعذب تبادل الهو،.
الموسيقية : كلّه تناغم رفيع المستوى.
الخادم الاول : وما أبشع غدر الجنس اللطيف.
الموسيقي الاول : جوْره على الحبيب خفيف.
الموسيقية : وانت، كم يُعجبني عطفك عليّ.
الموسيقي الاول : نحن متساووون اذاً في الكرّ والفرّ
وفي أحلام الشباب وعذاب الهجر.
الموسيقية : أنّى لراعية أمينة أن تغدر
بفؤاد حبيبها الجريح ولا تعذر.
الموسيقي الاول : أين يتسنى لفراقها أن يُلبّي.
الموسيقية : لقاء كسب عطفك أهديك مهجة قلبي.

الموسيقي الثاني : هل لي ان اصدّق، يا راعية،
ان حبك مخلص ونيّتك صافية ؟.
الموسيقية : تعالَ نقارن بين وجدك وحناني
لنرى أيهما في الشوق يعاني.
الموسيقي الثاني : من يفقد ثباته لا يبلغ امنياته.
جميعهم معاً : لكن بمثل هذه الاشواق
التي تملأ كل الآفاق
يحلو صفاء الحب الأمين
ويسعد القلب الحزين.
الموسيقي الاول : ما هذا الحوار العجيب ؟.
استاذ الموسيقى : هذه هي الحقيقة المجرّدة.
الموسيقي الاول : ارى ذلك غريباً عني. وكم اتمنّى ان يكون ذلك لسان حالي انا ايضاً.
استاذ الرقص : إليك فني نموذجاً لأروع الحركات التي ترفع النفس الى اجواء شتّى المرافع الزاهية.
الموسيقي الاول : هل هناك من رعاة ايضاً ؟.
استاذ الرقص : ارجوك ان تنظر الى ما يعجبك حتماً (للراقصين) هيًّا قوموا بما يبهج الخاطر.
(يدخل راقصو الباليه).
(اربعة راقصين يقومون بحركات مختلفة، وجميع انواع الخطوات التي يطلبها منهم استاذ الرقص.
وتشكل هذه الرقصة أول دخول، وهو عبارة عن فاصل استراحة).

الفصل الثاني

المشهد الاول

السيد جوردان، واستاذ الموسيقى، واستاذ الرقص، والخدم.

الموسيقي الاول : أوليس دليل حماقة، تحرّك هؤلاء الاشخاص معاً في كل الاتجاهات ؟.
استاذ الموسيقى : عندما نبدأ بالرقص على انغام الموسيقى سيكون لذلك وقع اروع، وسترى ما يعجبك من الرشاقة في رقصة الباليه التي أعددناها لتنال رضاك.
الموسيقي الاول : ارجو ان لا تتأخروا في تقديم ذلك، وان يبقى جميع المشتركين في الوصلة، للغداء الى مائدتي.
استاذ الرقص : نحن على اتم الاستعداد.
استاذ الموسيقى : على كل حال هذا لا يكفي. لا بد لشخص كريم مثلك من ان تتكرر هذه الحفلات في بيته كل يوم أربعاء وخميس.
الموسيقي الاول : هل هكذا يفعل ابناء الذوات ؟.
استاذ الرقص : نعم، يا سيدي.
الموسيقي الاول : انا ايضاً سأفعل مثلهم. ما اجمل هذه الحفلات.
استاذ الموسيقى : بدون شكّ، يلزمك ثلاث طبقات صوتية : مرتفعة، ومتوسّطة ومنخفضة. ترافقها مجموعة آلات : عود وكمان وطبلة ودفّ وبيانو، تعزف جميعها بانسجام تامّ.

الموسيقي الاول : لا بد من ان يُضاف اليها بوق. لأن صوته العالي يعجبني كثيراً.

استاذ الموسيقى : دعنا نرتب الأمور كما يلزم.

الموسيقي الاول : ولا تنسوا ان ترسلوا لي موسيقيّين ليعزفوا أنغامهم اثناء تناولي طعامي.

استاذ الموسيقى : سنقوم بعمل كل ما ترغب، يا سيدي.

الموسيقي ألاول : اريد أن تكون رقصة الباليه رائعة للغاية.

استاذ الموسيقى : سيسرّك كل ما سنقدّمه لك من هذا القبيل.

الموسيقي الاول : انا احب الرقص كثيراً. فهيّا باشروا يا اساتذة.

استاذ الرقص : لا بدّ لك من قبعة رسمية، يا سيدي. (يأخذ السيد جوردان قبعة خادمه ويضعها على رأسه فوق قبعة النوم. ويمسك استاذ الرقص بيديه وينقّله على لحن، ويدمدم) : لالالا. لالالا. لالالا، لالالا. لالالا. لالالا، لالالا. الآن، الرِجْل اليمنى. لالالا. لا تهز كتفيك. لالالالا. لالالالا. أدرْ طرف قدمك الى الخارج. لالالالا. دع جسمك يَنتصب مستقيماً.

الموسيقي الاول : ماذا فعلت ؟.

استاذ الموسيقى : هذا ممتاز، رائع.

الموسيقي الاول : على فكرة. علموني كيف أنحني احتراماً عند التقائي بشخصية من الذوات. لأني سأحتاج الى ذلك قريباً.

استاذ الرقص : إنحناءة لتحية الذوات.

الموسيقي الاول : نعم، شخصية من الاكابر تُدعى دوريمان.

استاذ الرقص : هات يدك.

الموسيقي الاول : أرني كيف، وأنا أكرر ذلك.

استاذ الرقص : اذا شئت ان تحيّيها باحترام زائد، عليك أولاً ان ترجع قليلاً الى الوراء، ثم ان تنحني الى الأمام ثلاث مرّات، وفي الآخر تنحني حتى مستوى ركبتيها.

الموسيقي الاول : ارني كيف (وبعد أن يقوم استاذ الرقص بثلاث انحناءات) طيّب.

الخادم : يا سيدي، ها هوذا استاذ السلاح قدّ حضر.
الموسيقي الاول : قلْ له ان يدخل الى هنا ليُلقي عليّ الدرس الاول. (لأستاذَيْ الرقص والموسيقى) أحبّ ان تنظرا اليّ وانا اقوم بالتمارين.

المشهد الثاني

استاذ السلاح، واستاذ الموسيقى، واستاذ الرقص، والسيد جوردان، وخادم (يُمسك بسيفيْن رفيعَيْن).

استاذ السلاح (**بعد ان يأخذ السيفيْن من يد الخادم، ويقدم واحداً للسيد جوردان**) : هيّا يا سيدي. قدّمْ التحية. جسمك المستقيم يميل قليلاً نحو جنبك الأيسر. والفخذان منفرجان، وقدماك على خط واحد. قبضتك بعكس إتجاه خصرك. ورأس سيفك امام كتفك. ذراعك ممدودة تماماً، ويدك اليسرى بعلو عينيك. كتفك اليسرى نحو اليسار. رأسك مرفوع. تقدَّم ونظرك شاخص إلى الامام، وسيفك ممدود نحو خصمك. واحد، اثنان. تهيأ. أعِدْ الكرّة. تقدّم. جسمك مشدود. واحد، اثنان. ألْمسني. عاودِ الكرة برِجْل ثابتة. واحد، اثنان. قفزة الى الوراء. وعندما تضرب بالسيف يا سيدي عليك ان تمدّ رأسه اولاً فتُرجع جسمك الى الخلْف. واحد، اثنان. هيّا، المسني ثانية. تقدّم. إنطلق من هنا. واحد، اثنان. استرح. كرّر. واحد، اثنان. قفزة الى الوراء. تهيأ يا سيدي، تهيأ مرة ثانية. (يحاول استاذ السلاح ان يلمسه بالسيف مرّتين او ثلاثة، وهو يقول له) : تهيأ.

استاذ الموسيقى : ماذا قلت ؟.

استاذ السلاح : قلت لك : سرّ امتشاق السيف يكمن في نقطتين : ان تسدّد الضربات بدون ان تتلقّى أيّاً منها. وكما أفهمتك، ذلك اليوم، على سبيل التجربة، لا يمكنك بتاتاً ان تتلقّى ضربة واحدة اذا عرفت كيف تتجنّب ضربات خصمك بعدم تمكينه من مسّ جسمك، وهذا لا يتطلّب

إلاّ الانتباه، وتنقيل جسمك تارةً الى الامام وطوراً الى الوراء.
السيد جوردان : اذاً بهذه الطريقة، وإن لم يكن الانسان شجاعاً يستطيع ان يقتل خصمة بدون ان يتعرّض لخطر الموت.
استاذ السلاح : بدون شك. أولم تشاهد كيف أجريت التجربة.
السيد جوردان : نعم، نعم.
استاذ السلاح : وهذا هو سرّ اعتبارنا واحترامنا نحن اساتذة السلاح. كم يفوق علم السلاح سائر علوم الأرض غير المفيدة، كالرقص والموسيقى...
استاذ الرقص : مهلك، يا سيدي استاذ السلاح، عليك ان لا تتكلّم عن الرقص الاّ بكل احترام.
استاذ الموسيقى : عليك ايضاً، من فضلك ان تتكلّم عن الموسيقى بكل وقار واعتبار.
استاذ السلاح : أرى انكما من أبسط الناس فكراً لكي تقارنا هكذا عملكما بمهارتي ورشاقتي.
استاذ الرقص : لا بدّ لك من ان تفي كل انسان حقّه.
استاذ الموسيقى : ما اظرف هذا الحيوان، وهو لابس صدرته الغريبة.
استاذ السلاح : يا استاذ الرقص، يا استاذ النحس، سأجعلك ترقص كما يعجبني. وأنت أيها الموسيقي البليد الجامد، سأدعك تغنّي كما يحلو لي.
استاذ الرقص : سأعلمك مهنتك، يا ضارب الحديد.
السيد جوردان (**لاستاذ الرقص**) : هل جننت حتى تشاجر هذا البطل، وهو الذي يعرف جيداً كيف يتنقّل الى اليمين والى اليسار، ويستطيع ان يقتل اي مخلوق بلمح البصر.
استاذ الرقص : انا لا أبالي بخفّة حركاته ومهاجمته العنيفة.
السيد جوردان (**لاستاذ الرقص**) : أقول لك تمهّل وتعقّل.
استاذ السلاح : (**لاستاذ الرقص**) ماذا تقول ايها الاحمق السخيف ؟.
السيد جوردان : لا بد لك من التروّي. إنتبه لحديثك، يا أستاذ الرقص.
استاذ السلاح : اذا هاجمتك...
السيد جوردان (**لاستاذ السلاح**) : تمهّل من فضلك.

استاذ الرقص : انا لا اخاف أن أرفع يدي عليك...
السيد جوردان (**لاستاذ الرقص**) : انت أيضاً، تمهّل.
استاذ السلاح : سأحطّم عظامك بضربة واحدة.
السيد جوردان (**لاستاذ السلاح**) : أرجوك...
استاذ الرقص : سأؤدّبك على طريقتي...
السيد جوردان (**لاستاذ الرقص**) : أرجوك، أرجوك...
استاذ الموسيقى : دعني أعلّمه كيف يتكلم بأدب.
السيد جوردان (**لاستاذ الموسيقى**) : يا الهي. يجب أن تكفّا عن...

المشهد الثالث

استاذ الفلسفة، واستاذ الموسيقى، واستاذ الرقص، واستاذ السلاح، والسيد جوردان، وخادم.

السيد جوردان : تفضّل يا استاذ الفلسفة. لقد وصلت في حينك انت ومعك فلسفتك الجليلة. تعالَ من فضلك وهدّئ هؤلاء المتخاصمين الذين يكادون ان يشتبكوا بالأيدي.
استاذ الفلسفة : ما الامر ؟ ماذا جرى، يا سادة ؟.
السيد جوردان : هل كان عليكم، يا سادة ان تغضبوا او تغتاظوا هكذا ؟ ألم تقرأوا ما كتبه الفيلسوف سينيك عن الغضب وأضراره. انه أحطّ مزاج يجعل الانسان كالبهيمة. أولا ترون معي ان رجاحة العقل والرصانة تحتّم على البشر ان يتجنّبوا كل الرذائل والمشاكل ؟.
استاذ الرقص : كيف تريدنا، يا سيدي، ان نسكت عندما يكيل لنا الشتائم ويحتقر الرقص الذي أمارس تعليمه، والموسيقى التي يمارس زميلي تدريسها.
استاذ الفلسفة : الرجل الحكيم يترفّع فوق كل الحقارات والشتائم التي تُوجَّه إليه. وافضل طريقة في هذا المضمار يلجأ اليها الرجل العاقل، هي ملازمة الصبر والاعتدال.

استاذ السلاح : لقد تجاسرا على تشبيه مهنتهما بمهنتي الشريفة.

استاذ الفلسفة : وهل هذا الامر من شأنه ان يزعجك ؟ النزاع بين الناس ليس بالحلّ المشكور. لأن الصفة التي تميّز الشخص عن سواه هي الرزانة والفضيلة.

استاذ الرقص : لقد بيّنت له ان الرقص علم لا سبيل الى ايفائه حقّه من السموّ.

استاذ الموسيقى : وانا برهنت له عن التمجيد الذي خصّت به الموسيقى كافّة الاجيال في جميع العصور.

استاذ السلاح : وانا أؤكد لكليهما انّ علم السلاح هو أشرف وسيلة يحتاج اليها المرء ليدافع عن نفسه، ويردّ عنه كل اعتداء بغيرة المحافظة على سلامته.

استاذ الفلسفة : أين إذاً امكانية الفلسفة ؟ اراكم أنتم الثلاثة غائصين في جهلكم، لتتكلموا بمثل هذا الغباء، وتخلعوا على ما تمارسونه من وسيلة لكسب الرزق، مزايا العلم وهي لا تستحقّ ان تُدْعَى فناً، بل في الواقع ليست سوى مهنة مصارع، ومغنٍ، ومهرّج.

استاذ السلاح : إذهب الى الجحيم، ايها الفيلسوف الحقير.

استاذ الموسيقى : تبّاً لك من متفلسف مغرور.

استاذ الرقص : انت تستحقّ اللعنة، ايها المدّعي المتحزلق.

استاذ الفلسفة : ماذا تقولون يا جهلة، يا حمقى ؟.

(يبادر الفيلسوف الى الهجوم عليهم، فينهال الثلاثة عليه بالضرب).

السيد جوردان : يا سيدي الفيلسوف، يا سيدي الفيلسوف.

استاذ الفلسفة : سَفَلَة، جَهَلَة، قَتَلَة.

السيد جوردان : سيدي الفيلسوف، سيدي الفيلسوف.

استاذ السلاح : يا له من نذل خسيس.

السيد جوردان : يا سادة.

استاذ الفلسفة : ما أوقحكم، وما احطّ أخلاقكم.

السيد جوردان : يا سيدي الفيلسوف...

استاذ الموسيقى : حملتك الابالسة أيها النذل.

السيد جوردان : يا سادة، كفى...

استاذ الفلسفة : أرذال، خَوَنَة، مستهترون.

السيد جوردان : سيدي الفيلسوف، سادتي. سيدي الفيلسوف، سادتي. سيدي الفيلسوف... (يخرجون وهم يتضاربون) تضاربوا بقدر ما يحلو لكم فأنا لا أعلم ما افْعل بكم. ولا أريد أن أوسّخ ثوبي لأُبعد بعضكم عن البعض الآخر. أكون مجنوناً إن حاولت ان أتدخّل فيما بينكم، لئلا تكون من نصيبي ضربة مؤلمة أو قاضية.

المشهد الرابع

استاذ الفلسفة، والسيد جوردان، وخادمان

استاذ الفلسفة (**وهو يرتب قبعته على رأسه**): لِنَعُدْ الى درسنا.

السيد جوردان : انا مستاء جداً يا سيدي، ممّا حصل، ومن اللكمات التي اصابتك.

استاذ الفلسفة : هذا لا يهمّ. الفيلسوف الحكيم يعرف كيف يواجه الأمور ويعالجها. سأنظم قصيدة ذمّ تليق بوقاحتهم، فيها أمزّق كل شيء يغطي انحطاطهم. لِنَدَع هذا الى وقت آخر. والآن ماذا تريد ان تتعلّم ؟.

السيد جوردان : كل ما استطيع ان اكتسبه من علوم. لأني بغاية الشوق لأن أصبح عالماً، وانا عاتب على ابي وامي اللذين لم يهيّئا لي الظروف كي أُتقن جميع العلوم، وانا صغير السن.

استاذ الفلسفة : هذه عاطفة نبيلة. « نَم سين دُكْترينا، فيتا إيسْتْ كازي مورْتيس إيماكو ».

السيد جوردان : أجل، لكن تصرّفْ كما لو كنت انا لا أفْهمها، واشرح لي معنى عبارتك الظريفة.

استاذ الفلسفة : معنى كلامي : ان الحياة من دون علم هي صورة طبق الاصل عن الموت.

السيد جوردان : حقاً في هذه اللغة اللاتينية كل التعابير ممتازة.
استاذ الفلسفة : أوَليس لديك بعض المبادئ أو بعض أصول العلم ؟.
السيد جوردان : اجل انا أعرف القراءة والكتابة.
استاذ الفلسفة : من أين يسرّك ان نبدأ ؟ هل تريد أن أُدرّسك علم المنطق.
السيد جوردان : وما هو هذا المنطق ؟.
استاذ الفلسفة : المنطق يُعلّم ثلاث عمليّات يجب على الفهيم ان يعرفها.
السيد جوردان : وما هي عمليات الفهم الثلاثة.
استاذ الفلسفة : الاولى والثانية والثالثة. الاولى هي إدراك الطباع المشتركة، والثانية الحكم على وسائل شتّى المخلوقات، والثالثة هي استنتاج المغزى بواسطة الصُوَر. « بربارا سيلاريتي داريي فاريو باراليپْتون. الخ ».
السيد جوردان : هذه كلمات غامضة محيّرة. حقاً أنا لا أفهم أبسط أمور يحويها هذا المنطق العويص. انا افضّل ان اتعلم مسائل احلى من المنطق.
استاذ الفلسفة : هل تريد ان تتقن علم الاخلاق ؟.
السيد جوردان : علم الاخلاق ؟.
استاذ الفلسفة : اجل.
السيد جوردان : ماذا يقول علم الأخلاق هذا ؟.
استاذ الفلسفة : هذا العلم يشرح بسهولة للناس كيف يكونون معتدلين ومتشوّقين و....
السيد جوردان : لا،لا. دعنا من هذا. فأنا اشكو من وجع المرارة نظير كل الراغبين في العلم أمثالي. ولا مجال عندي لدرس الاخلاق. لأني اريد ان أغضب كما يحلو لي وان اسكر حين أشاء...
استاذ الفلسفة : هل تريد ان تتعلّم الفيزياء ؟.
السيد جوردان : وماذا يفيد علم الفيزياء ؟.
استاذ الفلسفة : الفيزياء تشرح مبادئ الامور الطبيعية، وخصائص الاجسام، وعناصر الطبيعة، والمعادن والاحجار والنباتات والحيوانات، وتفسّر لنا تقلّبات الطقس وقوس قُزَح والنيران الطائرة، والكواكب والبرق والرعد والمطر والثلج والبَرَد، والرياح والأعاصير...

السيد جوردان : لهذه المسائل ضجّة صاخبة تزعجني.
استاذ الفلسفة : ماذا تريد ان تتعلّم اذاً ؟.
السيد جوردان : علّمني الإملاء.
استاذ الفلسفة : بكل طيبة خاطر.
السيد جوردان : وبعدها تُعلّمني المناخات وتقلّباتها، لكي أعرف متى يطلع القمر، ومتى يصبح بَدْراً.
استاذ الفلسفة : كما تشاء. ولكي اتبع تفكيرك، وأعالج هذه القضية بواسطة الفلسفة، علينا ان نبدأ بها حسب ترتيب الأمور، بإدراك وافر ومعرفة طبيعة الحروف ومختلف الطرق التي تؤدّي الى لفظها كما يجب. وهنا لا بد لي من القول لك إن الحروف تُقسم الى نوعين : صوتيّة وصامتة. فالصامتة تقترن دائماً بالصوتية ليتسنى لفظها حسب المراد. وهكذا نستطيع ان نلفظ كل ما نريده من مقاطع الكلمات. والحروف الصوتية هي ثلاث : ا و ي.
السيد جوردان : فهمت ما تقصد.
استاذ الفلسفة : فالحرف ا وتقابله الفتحة يُلفظ بفتح الفم على أقصى مداه آ.
السيد جوردان : آ، آ.
استاذ الفلسفة : والحرف و وتقابله الضمّة يُلفظ بتدوير الشفتين على شكل حلقة. هكذا وو.
السيد جوردان : وو، آ وو.
استاذ الفلسفة : والحرف ي وتقابله الكسرة يُلفظ بضغط اللسان على أسفل الفم، وإرجاع الشفتين نحو الاذنين : يي. آ وو يي.
السيد جوردان : آ وو يي. آ وو يي. حقاً ليس أجمل من العلم.
استاذ الفلسفة : وهكذا تكون قد تعلّمت جميع الحروف الصوتية.
السيد جوردان : هذا جميل، جميل جداً، بل في منتهى الروعة.
استاذ الفلسفة : يكفي ما تعلّمته اليوم. وغداً ندرس الحروف الصامتة.
السيد جوردان : وهل هي حلوة كالتي تعلّمتها الآن ؟.
استاذ الفلسفة : طبعاً بدون شك. فالحرف الصامت مثلاً يُلفظ بوضع رأس اللسان وراء الاسنان العليا، هكذا دا دا.

السيد جوردان : دا، دا. حقاً هذا جميل.
استاذ الفلسفة : والحرف ف يُلفظ برصّ اللسان خلف الاسنان السفلى. فا، فا.
السيد جوردان : فا، فا. كم انا عاتب على أبي وأمّي بسبب تركي أجهل هذه الامور الرائعة.
استاذ الفلسفة : والحرف الصامت، يُلفْظ بجعل اللسان في أعلى سقف الحق ونفخ الهواء من الفم بقوّة، كأن اللسان يرتجف : را، را.
السيد جوردان : را، را. هذا حقيقة مدهش. ما أبرعك في هذا العلم، يا استاذ. آه، كم ضيّعت انا من أوقات عمري بدون فائدة.
استاذ الفلسفة : فيما بعد سأشرح لك بالتفصيل كل هذه الامور العجيبة.
السيد جوردان : ارجوك، ارجوك. لا بد لي من ان أُقرّ بأني أعشق شخصاً سامي الاخلاق، واتمنى ان اكتب له رسالة، أودّ ان اسقطها عند قدميه.
استاذ الفلسفة : حسناً تفعل.
السيد جوردان : وهذا يكون لطفاً مني، أليس كذلك ؟.
استاذ الفلسفة : بدون شك، وهل تريد ان تكتب له شعراً ؟.
السيد جوردان : لا، لا. أنا لا أحب الاشعار.
استاذ الفلسفة : إذاً تكتب له نثراً.
السيد جوردان : كلا، لا أريد شعراً ولا نثراً.
استاذ الفلسفة : الكتابة، يا سيدي، يجب ان تكون إمّا شعراً وإمّا نثراً.
السيد جوردان : ولماذا ؟.
استاذ الفلسفة : لا بدّ لكل التعابير من ان تكون شعراً أو نثراً، حسب أصول اللغة.
السيد جوردان : أوليس في اللغة إلّا الشعر والنثر ؟.
استاذ الفلسفة : ان ما ليس شعراً هو حتماً نثر، وما ليس نثر هو حتماً شعر.
السيد جوردان : وعندما نتحدّث، ما هو نوع كلامنا ؟.
استاذ الفلسفة : هو نثر، طبعاً.
السيد جوردان : ماذا تقول ؟ عندما أصيح : يا نيكول أعطني نعليّ وكذلك قبعة نومي اكون قد تكلّمت نثراً ؟.

استاذ الفلسفة : نعم، يا سيدي.

السيد جوردان : هذا امر عجيب غريب. منذ اربعين سنة، وانا اتكلم نثراً بدون علمي. فأنا مدين كثيراً لك بهذه المعلومات القيّمة. واشكرك جداً جداً عليها. أنا أريد ان اكتب لها على ورقة : أيتها المركيزة الجميلة ان عينيك الساحرتين تجعلاني اموت حباً بك... لكني أودّ ان تكون هذه العبارة مسبوكة بقالب انيق لطيف.

استاذ الفلسفة : يمكنك أن تكتب لها : ان نار عينيها قد حوّلت قلبك الى رماد. وانك تشقى ليلاً نهاراً بسبب الجراح التي أصابتك من جراء حبها....

السيد جوردان : لا، لا. انا لا اريد ذلك، بل أرغب في ما قلته لك : « ان عينيك الساحرتين تجعلاني أموت حباً بك ».

استاذ الفلسفة : لا بد من التوسّع قليلاً في الموضوع.

السيد جوردان : لا، لا. اريد كتابة هذه الكلمات فقط في رسالتي، لكن بصيغة عصرية مرتّبة بشكل لائق. فأرجوك ان تريني كيف يمكن التعبير عنها بصيغة افضل، ليكون تأثيرها اكثر فعالية.

استاذ الفلسفة : يمكنك ان تركّب هذه العبارة اولاً هكذا : ايتها المركيزة الجميلة عيناك الساحرتان تجعلاني أموت حباً بك. أو : عيناك الساحرتان أيتها المركيزة الجميلة، حباً بك تجعلني أموت. أو أيضاً : تجعلني أموت حباً بك، عيناك الساحرتان، أيتها المركيزة الجميلة. وأخيراً : حباً بك تجعلني عيناك الساحرتان أموت، أيتها المركيزة الجميلة.

السيد جوردان : ولكن أية طريقة من هذه التعابير هي الافضل ؟.

استاذ الفلسفة : التي قلتها انت. وهي « أيتها المركيزة الجميلة، عيناك الساحرتان تجعلاني أموت حباً بك ».

السيد جوردان : مع اني لم ادرك ذلك، اراني ركّبتها هكذا صحيحة من اول مرة. فأنا أشكرك من قلبي، وأرجوك ان تأتي اليّ غداً في الصباح الباكر.

استاذ الفلسفة : لن أتأخر بتاتاً. (يخرج).

السيد جوردان : (لخادمه): ألم تصل بعد ملابسي الجديدة.

الخادم : كلاّ يا سيدي.

السيد جوردان : هذا الخيّاط اللعين يَدَعُني انتظر طويلاً، وخاصة في يوم كهذا لديّ فيه اعمال كثيرة، لا بد من قضائها. انا مستاء جداً. ليت الحمّى تشوي بَدَن هذا الخياط اللئيم. ألاَ حملته جميع الابالسة الى الجحيم وافناه البرص وازهق روحه النجس. لو وقع الآن في يدي هذا الخياط الخائن الخسيس لمزّقته إرباً إرباً...

المشهد الخامس

المعلّم الخياط، وأجير الخيّاط (حاملاً ملابس السيد جوردان)، السيد جوردان وخادمه.

السيد جوردان : اخيراً أتيتم. كدت استشيط غضباً عليكم.

المعلم الخياط : لم أتمكن من المجيء قبل الآن، وقد كلّفت عشرين أجيراً لإتمام خياطة ملابسك.

السيد جوردان : ارسلت لي جوارب حرير ضيّقة فلقيت صعوبات لا تُحصى، لكي ألبسها، وها قد كرّت منها قطبتان.

المعلم الخياط : وهكذا تتّسع عليك، ولن تضايقك بعد الآن.

السيد جوردان : نعم، لكن، اذا في كل مرة كرّت بعض القطب تصبح المسألة مصيبة. أمّا الحذاء الذي أوصيتك عليه وأرسلته لي، فإنه يحزّ كثيراً في قدميّ ويضايقني ويؤلمني أثناء المشي.

المعلم الخياط : لا تقل ذلك يا سيدي. فهذا مستحيل.

السيد جوردان : كيف هذا مستحيل ؟.

المعلّم الخياط : لا سبيل لأن يجرحك الحذاء، كما تقول.

السيد جوردان : انا أقول لك انه جرح قدميّ.

المعلم الخياط : اظنك تتخيّل ذلك، يا سيدي.

السيد جوردان : انا أتخيّل ما يؤلمني ؟ لكني اشعر بأنه جرح قدميّ. ما أغرب كلامك.

المعلم الخياط : تفضل، هذه الملابس تشبه اروع ما يُرتدى في البلاط الملكي. وهي تليق بك تماماً. هذه تحفة لا مثيل لها، ابتكرت نموذجها خصّيصاً لسيادتك، بغير اللون الاسود. واني توفّقت في صنعها، واتحدّى اكبر خياط ان يأتيك بمثلها لا بأحسن منها.

السيد جوردان : ماذا وضعت هنا ؟ هل اضفت اليها الزهور التي اوصيتك ان تضعها، وقَلَبْتَها رأساً على عقب ؟.

المعلم الخياط : لم تُوضح لي انك ترغب ان اضع رؤوسها الى فوق.

السيد جوردان : وهل من ضرورة الى قول ذلك ؟.

المعلم الخياط : هذا صحيح. كل الناس الذوات يضعونها في هذا الاتجاه.

السيد جوردان : ماذا تقول ؟ هل الاشخاص المميّزون يضعون الزهور رؤوسها الى أسفل.

المعلم الخياط : نعم، يا سيدي.

السيد جوردان : هذا قول غريب عجيب.

المعلم الخياط : اذا شئت، قلبتها حسب رغبتك.

السيد جوردان : كلا، كلا.

المعلم الخياط: انا رهن اشارتك، يا سيدي.

السيد جوردان : قلت لك كلا. حسناً فعلت. هل تظنّ أن هذه الملابس تلائمني تماماً ؟.

المعلم الخياط : هي عزّ الطلب. وأتحدّى أمهر رسام ان يصور لك بريشته ما هو أنسب لقدّك من هذه الملابس الفاخرة. في مشغلي أجير ليس أبرع منه في الكون، لتخييط بذّة الفروسية. ولديّ اجير آخر هو بطل حقيقي في الخياطة لا يضاهيه أحد في كل زمان ومكان.

السيد جوردان : وهل الشَعْر المستعار وريشات الملابس هي على ما يرام ؟.

المعلم الخياط : إطمئن بالاً، يا سيدي، كل ما أتيتك به هو حسب رغبتك.

السيد جوردان (**وهو ينظر الى ملابسه التي جلبها له الخيّاط**) : ها، ها، يا

حضرة الخياط. هذا من نوع النسيج الذي فصّلت لي ملابسي منه في المرة السابقة. انا اعرف جيداً صنفه ولونه.

المعلم الخياط : أجل، كان النسيج فاخراً الى حدّ لم أتمكّن من الإمتناع عن ان أفصّل منه ملابس لي انا ايضاً.

السيد جوردان : نعم لا انكر. ولكن كان عليك ان لا تقتطع منه ما يكفي لتفصيل ملابس لك ايضاً.

المعلم الخياط : ألا تريد أن ترتدي هذه الملابس ؟.

السيد جوردان : نعم. أعطني إياها.

المعلم الخياط : مهلاً. هذا لا يتمّ كذلك. لقد اصطحبت اناساً ليساعدوك على ارتدائها بالتدريج، وعلى ايقاع نغمة عذبة، لان هذه الملابس لا يرتديها الذوات إلّا اثناء حفلة لائقة. هيّا أُدخلوا يا جماعة. وساعدوا هذا السيد على ارتداء الملابس كما تفعلون ازاء الشخصيات المرموقة.

(يدخل اربعة اجراء خياطة. اثنان منهما ينزعان عنه سترته، واثنان آخران ينزعان قميصه، ثم يساعدانه على ارتداء الملابس ويسألهم إن كانت تلائمه وتليق به. وكل ذلك يجري على ايقاع لحن معروف. —

احد الخياطين : يا مولاي، ناول هؤلاء الغلمان بعض النقود كإكراميّة.

السيد جوردان : كيف دعوتني ؟.

اجير الخياط : يا مولاي..

السيد جوردان : « ... يا مولاي... ؟ هذا يعني اني أصبحت فعلاً من الذوات. من الآن وصاعداً سأرتدي مثل هذه الملابس ليظل الكل يدعونني « يا مولاي » (وهو يعطي بعض النقود) هذا لك على ان تدعوني « يا مولاي ».

اجير الخياط : يا صاحب العزّة، نحن لك من الشاكرين.

السيد جوردان : تقول لي « يا صاحب العزّة » ها، ها. « يا صاحب العزة » اسمع يا صديقي، إن لقب « صاحب العزّة » يستحق مبلغاً إضافياً لان « صاحب العزّة » لقب لا يُمنَح لأيٍ كان. تفضّل خُذْ ما يجود به عليك « صاحب العزة ».

اجير الخياط : يا صاحب العزّة نريد كلنا ان نشرب نخبك « يا صاحب العظمة ».

السيد جوردان : تقول « صاحب العظمة » هاء، ها، ها. اسمع، لا تذهب. إن كنت أنا صاحب العَظَمَة (يقولها بصوت خافت على حدة) خذ هذا من قِبَل صاحب العَظمة.

اجير الخياط : يا صاحب العَظَمَة نحن نشكرك بكل تواضع على كرمك وسخائك.

السيد جوردان : لقد أحسن قولاً. وسأعطيه كل ما يستحقّه على هذا التفخيم.

(يُظهر أجراء الخياط الاربعة ابتهاجهم، وذلك بانتظامهم في حلقة رقص، تشكّل وصلة الاستراحة الثانية).

الفصل الثالث

المشهد الاول

السيد جوردان، وخادمان

السيد جوردان : اتبعاني لكي أخرج وأطوف بملابسي الجديدة في انحاء المدينة. ولا تنسيا ان تتبعاني عن قرب ليبصر الناس انكما حقّاً تخصّاني.

الخادمان : نعم، يا مولانا.

السيد جوردان : نادي نيكول، كي تأتي اليّ فأصدر اليها بعض التوصيات والأوامر. لا تتحركا. ها هي قد جاءت.

المشهد الثاني

نيكول، والسيد جوردان، والخادمان

السيد جوردان : يا نيكول.

نيكول : نعم، أنا هنا في خدمتك.

السيد جوردان : إسمعي.

نيكول : هي، هي، هي، هي، هي.

السيد جوردان : ماذ يضحكك ؟.

نيكول : هي، هي، هي، هي، هي.

السيد جوردان : ماذا تعني هذه الضحكات الغبية ؟.
نيكول : هي، هي، هي. ما هذه الملابس ؟ هي، هي، هي.
السيد جوردان : ما بها ؟.
نيكول : يا الهي. هي، هي، هي، هي، هي.
السيد جوردان : ما هذه الوقاحة ؟ هل تهزئين بي، يا خبيثة ؟.
نيكول : كلا يا سيدي. معاذ الله ان أهزأ بك. هي، هي، هي، هي، هي، هي.
السيد جوردان : سأعرف كيف أؤدّبك اذا واصلت هذا الضحك.
نيكول : يا سيدي، لا حيلة لي بالامتناع عن الضحك، هي، هي، هي، هي، هي.
السيد جوردان : اذا لم تكفّي عن الضحك...
نيكول : يا سيدي، ارجوك المعذرة. ان هيئتك غريبة بشكل لا يمكّنني من الامتناع عن الضحك. هي، هي، هي.
السيد جوردان : وقاحتك تجاوزت كل الحدود.
نيكول : هيئتك غريبة حقاً في هذه الملابس غير المألوفة. هي، هي،.
السيد جوردان : سأعاقبك يا ...
نيكول : ارجوك مرة اخرى، ان تعذرني. هي، هي، هي، هي.
السيد جوردان : اذا واصلت ضحكك، أُقسم يميناً بأني سأصفعك صفعة تدوّخك وتصعقك في مكانك.
نيكول : اعدك بأن لا أضحك بعد الآن، يا سيدي.
السيد جوردان : إحذري ان تُكرّري ما فعلت. عليك ان تنظّفي حالاً...
نيكول : هي، هي.
السيد جوردان : أن تنظّفي كما يجب...
نيكول : هي، هي.
السيد جوردان : قلت لك : أن تنظفي القاعة و ...
نيكول : هي، هي.
السيد جوردان : اراك عدت الى الضحك.
نيكول (**تسقط من شدة الضحك**) : هيا، يا سيدي، إضربني، ودعْني

أضحك من كل قلبي. اني افعل ذلك مرغمةً. هي، هي، هي، هي، هي، هي.
السيد جوردان : طفح الكيل، يا شرّيرة، ولم أعد أتحمّل تصرّفك الوقح.
نيكول : ارجوك يا سيدي ان تتركني اضحك قليلاً. هي، هي، هي، هي، هي، هي.
السيد جوردان : لم أبصر في حياتي خادمة لعينة مثلك تضحك بوقاحة امامي بدل ان تقف باحترام لتلقّي أوامري.
نيكول : ماذا تريد ان افعل يا سيدي ؟
السيد جوردان : ان تهتمّي، يا غبية، بتنظيف بيتي كي استقبل أصحابي الذين سيزورونني قريباً جداً.
نيكول (**تنهض عن الأرض**) : صدّقني، لم أعد أشتهي الضحك. من جهة اخرى جميع مدعوّيك ينشرون الفوضى في كل مكان، وهذا يكفي لكي يزعجني ويثير اشمئزازي.
السيد جوردان : أتريدين أن أغلق بابي في وجه كل الناس.
نيكول : يجب ان تغلقه على الاقل في وجه البعض.

المشهد الثالث

السيدة جوردان والسيد جوردان ونيكول وخادمان.

السيدة جوردان : ها، ها. هذه قصة جديدة. فما هي الغاية، يا زوجي، من اجتماع هذه الجوقة. هل تهزأ بالناس، وانت لابس هذه الثياب الغريبة الزيّ ؟ وهل تنوي ان تَدَع الجميع يسخرون منك ؟.
السيد جوردان : لن يهزأ بي، يا زوجتي، سوى الحمقى والحمقاوات.
السيدة جوردان : حقاً لم ابصر حتى هذه الساعة ما يضحك كل الناس اكثر من تصرّفاتك.
السيد جوردان : ومن هم هؤلاء الناس الذين تعنيهم، يا زوجتي ؟.

السيدة جوردان : كل الناس الملتفّين حولنا، هم أعقل منك، وأرى ان الحق معهم. انا مستاءة من الحياة التي تعيشها هكذا. لاني لم اعد أعرف في بيتنا ذلك المسكن الهادئ الذي ألفناه حتى اليوم. ما دمت حضرتك كل نهار تدعو جماعة جديدة الى الأكل على سفرتنا. وعند الصباح تقوم الضجة المزعجة، ونسمع آلات الطرب وغناء المنشدين، وهذا يضايق كل من يسكنون بجوارنا.

نيكول : سيدتي تقول ما هو عين الصوت. ومن جهتي انا لم اعد أجد للنظافة من أثر في هذا البيت. فأقدام الزائرين تملأ الارض أوحالاً، والخادمة المسكينة لا تكف عن فركِ الارض وتنظيفها. ولا يلبثون ان يعيدوا الكرّة باستمرار ويوسّخون البيت كل يوم وكل لحظة.

السيدة جوردان : الحق مع نيكول، وما تقوله يأتي في محله. اريد أن أفهم، ماذا يفعل عندنا استاذ الرقص، وأنت قد بلغت هذا العمر المتقدّم و.

نيكول : واستاذ السلاح ايضاً. وهو يزعجني بسيوفه وبدبْك اقدامه على الارض بعنف يهزّ أساسات الجدران، وألواح زجاج النوافذ في القاعة الكبيرة.

السيد جوردان : أُصْمُتا كلتاكما، يا خادمتي ويا زوجتي.

السيدة جوردان : غريب امرك، يا رجل. كيف خطر ببالك ان تتعلّم الرقص، وانت تكاد تهدأ على رجليك الهزيلتين.

نيكول : هل تنوي ان تقتل احداً ؟.

السيد جوردان : قلت لكِ أُسكتي. انت ومعلمتك جاهلتان غبّيتان، لا تدركان هذه الامور.

السيدة جوردان : عليك بالأحرى أن تفكّر بتزويج ابنتك، وقد بلغت السنّ، قبل ان يفوتها القطار وتظلّ عانساً.

السيد جوردان : سأفكرّ بتزويجها حالما يتقدّم لها عريس مناسب. وانا مصمّم على تعلّم امور قيّمة ومفيدة.

نيكول : لقد سمعت، يا سيدتي، انه استدعى اليوم استاذ فلسفة ليزيد الطين بلّة.

السيد جوردان : لماذ لا ؟ انا اريد ان أوسّع آفاق ذهني، وأن أفكّر لكي اشاطر الشخصيات الهامّة في أحاديثهم.

السيدة جوردان : اظنك لن تتأخر في يوم قريب عن الذهاب الى المدرسة ايضاً لكي يضربك المعلّم بالسوط، وانت في هذا العمر.

السيد جوردان : لماذا لا، لماذا لا ؟ اني أتمنى أن أُضرَب فعلاً بالسوط بشرط ان اتعلّم كل ما يجول في خاطري ان أعرفه، وما يتعلّمه التلاميذ في المدارس.

نيكول : نعم، نعم. وهذا يعلّمك ايضاً حسن التصرّف في محيطك.

السيد جوردان : بدون ادنى شك.

السيدة جوردان : وهل هذا كله ضروري لإدارة بيتك ؟.

السيد جوردان : طبعاً، بكل تأكيد. فأنتما كلاكما تتكلّمان كالبهائم. (للسيدة جوردان) مثلاً : هل تعلمان بماذا تتكلّمان الآن ؟.

السيدة جوردان : نعم، انا اعرف ما أقول. وأصرّ على ان الواجب يحتّم عليك ان تعيش بطريقة أعقل من هذه.

السيد جوردان : انا لا أتكلم عن طريقة حياتي، بل أريد ان أفهم ماذا تقصدين بحديثك هذا يا ثرثارة.؟.

السيدة جوردان : كلامي رصين، وفي محله. بينما تصرّفك غبيّ لا معنى له.

السيد جوردان : انا لا أقصد ما تدّعينه، بل أسألك ماذا تسمّين الكلام الذي تتلفّظين به الآن ؟.

السيدة جوردان : هو كلام مثل غيره يضيع في الهواء حين اوجهه اليك.

السيد جوردان : أسألك كيف يُسمّى.

السيدة جوردان : كيف يُسمّى ؟.

السيد جوردان : نعم، نعم، كيف يُسمّى ؟.

السيدة جوردان : يسمّى كما تريد أن تسمّيه.

السيد جوردان : هذا نثر، يا جاهلة.

السيدة جوردان : نثر ؟.

السيد جوردان : نعم نعم هذا نثر. لأن كل ما هو نثر ليس شعراً، وكل ما هو شعر ليس نثراً. هل فهمت الآن فضل العلم (لنيكول) وانت، هل تعرفين ماذا يجب أن تفعلي لتلفظي وو ؟.

نيكول : ماذا يجب ان افعل ؟.

السيد جوردان : نعم، ماذا يجب ان تفعلي ؟.

نيكول : ماذا افعل ؟.

السيد جوردان : قولي وو.

نيكول : وو.

السيد جوردان : ماذا فعلتِ ؟.

نيكول : قلت وو.

السيد جوردان : لكن ماذا فعلت عندما لفظتِ وو ؟.

نيكول : فعلت، ما قلت.

السيد جوردان : ما أغرب فهمك المغلق الذي يدلّ على الحماقة والجمود. انتِ تمدّين شفتيك الى خارج فمك بشكل حلقة وتلفظين وو. هل فهمت الآن كيف تلفظينها ؟.

نيكول : هذا أمر بديع.

السيدة جوردان : يستحقّ كل إعجاب. اليس كذلك ؟.

السيد جوردان : هناك أمور أخرى مدهشة. بعد ان تلفظي وو عليك ان تلفظي دا، دا. وفا، فا.

السيدة جوردان : وما فائدة كل هذه التوافه ؟.

نيكول : نعم، وما القصد من هذه الالفاظ التي لا معنى لها ؟.

السيد جوردان : أكاد أجن، وانا ألْمس انكما امرأتان غارقتان في أوحال الجهل والغباء.

السيدة جوردان : لا بد من ان تصرف عنك هؤلاء الدجّالين البطاري.

احد الخياطين : وبنوع خاصّ هذا السمج الغليظ استاذ السلاح الذي يملأ جوّ كل البيت غباراً وصراخاً.

السيد جوردان : انت لا يهمّك إلا استاذ السلاح. سأريك حالاً مدى وقاحتك وسخافتك. (يجلب سيفين ويُعطي نيكول أحدهما). امسكي. وقومي بهذه التجربة. جسمك مستقيم. وعندما يهاجمك خصمك عليك ان تفعلي هكذا. وحين تهاجمين أنت، عليك ان تفعلي هكذا. وبهذه الطريقة تدافعين

عن نفسك، ولا تدعين عدوّك يقتلك. أوَليس هذا جميل جداً، ومفيد للغاية ؟ لا سيما حين تكون حياتك في خطر اثناء مشاجرتك شخصاً ما. هيا ادفعيني قليلاً كي تري ما يحدث.

نيكول : ها انا ألبي طلبك (تدفع نيكول سيدها عدة مرّات).

السيد جوردان : مهلاً مهلاً. خَطَفَك ابليس، يا لعينة.

نيكول : ألم تقل لي ان ادفعك ؟.

السيد جوردان : نعم.. ولكن يجب عليك ان تتصرّفي حسب الأصول بتمهّل ولياقة، وتتركي لي مجالاً لكي أتحرّك.

السيدة جوردان : انت مجنون، يا زوجي، لما يبدر منك من تفاهات وسخافات. منذ أن حشوت رأسك مسألة الارتقاء الى مصافّ النبلاء.

السيد جوردان : حين أصبح من النبلاء اكون قد حقّقت احدى امنياتي. وأكون قد ترفّعت عن وضعك كقروية غارقة بالسذاجة والجهل.

السيدة جوردان : هذا حقّاً رأيي الصريح فيك أنت. لا أنكر ان معاشرة النبلاء مجلبة فخر ورقيّ. ولكني لا أفهم لماذا تعاشر هذا الكونت السمج الذي يكاد لا يفارقك.

السيد جوردان : لا تتسرعي. فكّري في ما تقولين. هل تعلمين، يا زوجتي كيف تصنفيه، وهو من أبرز الشخصيات ؟ انه نبيل عظيم في بلاط الملك، أتحدّث اليه كما أخاطبك انا. أوَليس هذا شرف كبير ؟ ان صلتي الشخصية به ومناداته اياي يا صديقي العزيز، لهو ارتقاء لا مثيل له في سلّم المجتمع لاني اكون قد ساويته بالمقام والاعتبار. بينما انا أكاد استحي بمعاشرة سواه من عامّة الشعب.

السيدة جوردان : نعم. لا انكر انه يجاملك ويسايرك، لانه محتاج الى ما تقرضه اياه من الأموال التي لا يتردّد في طلبها منك باستمرار.

السيد جوردان : أوليس شرفاً بحدّ ذاته، أن أقرض انساناً في مثل مرتبته الاجتماعية. وهو بدوره يدعوني صديقه الحميم.

السيدة جوردان : قل لي بربّك ماذا تفيدك معاشرة هذا المولى النبيل ؟.

السيد جوردان : في أمور كثيرة، تدهش المرء اذا إطّلع عليها.

السيدة جوردان : مثلاً ؟.
السيد جوردان : لا أعرف كيف اقنعك. يكفي اني أقرضه المال الذي سيردّه لي قريباً.
السيدة جوردان : وهل تصدّق انه سيسدّده لك ؟.
السيد جوردان : طبعاً، لا شك في ذلك. لانه كرّره علي مراراً.
السيدة جوردان : نعم نعم، انا واثقة بانه لن يردّ لك فلساً واحداً.
السيد جوردان : لقد أقسم بشرفه النبيل.
السيدة جوردان : هذا كلام غير معقول.
السيد جوردان : كم أنت عنيدة يا زوجتي. أؤكد لك انه سَيَفي بوعده وانا واثق بصدق كلامه.
السيدة جوردان : وانا متأكدة من العكس؛ يا زوجي؛ ومن انه يكيل لك الوعود العرقوبية، ولن يدفع لك فلساً.
السيد جوردان : أسكتي. ها هوذا قادم.
السيدة جوردان : لا ينقصنا إلّا هذا. أظنه يأتي ليقترض منك مبلغاً جديداً يضيفه الى ما سبق واستلفه منك من المال. اني أحذّرك منه لأنه لا يوحي لي بأية ثقة.
السيد جوردان : قلت لكِ أُسكتي الآن.

المشهد الرابع

دورانت، والسيد جوردان، والسيدة جوردان ونيكول.

دورانت : يا صديقي العزيز، السيد جوردان، كيف حالك اليوم ؟.
السيد جوردان : الحمدلله، انا بخير، ومستعدّ لتأدية كل خدمة تحتاج اليها.
دورانت : والسيدة جوردان الحاضرة ها هنا، كيف حالها ؟.
السيدة جوردان : السيدة جوردان أحوالها على قدر ظروفها.

دورانت : أرى السيد جوردان مرتاحاً ومسروراً للغاية.
السيد جوردان : بأنظارك.
دورانت : اعتقد انك في أبهج أيّامك، وأنت ترتدي هذه الملابس التي لا تليق إلّا بأرقى الشخصيات. أؤكد لك اننا في البلاط الملكي لا نشاهد من هو أفضل منك ذوقاً وأناقة.
السيد جوردان : هذا لطيف منك.
السيدة جوردان (**على حدة**) : إنه يمتدحه حتماً ليبتزّه.
دورانت : دُرْ على نفسك. ما شاء الله. حقاً، اناقتك لا تضاهى.
السيدة جوردان (**على حدة**) : ما أغرّ زوجي الأحمق في كل أوضاعه.
دورانت : لا أدري كيف أقول لك إني انتظرت بفارغ الصبر لحظة مجيئي اليك لأشاهدك. هل تعلم انك الرجل الذي يحوز على كل تقديري وإعجابي. وكنت أتحدّث عنك في حجرة الملك هذا الصباح.
السيد جوردان : هذا شرف عظيم توليني إياه، يا سيدي النبيل (للسيدة جوردان) في غرفة الملك.
دورانت : هيا، ضعْ قبعتك على رأسك.
السيد جوردان : انا لا أجهل مقدار الإحترام الواجب عليّ نحو شخصك.
دورانت : يا الهي. لا مجال لإظهار بوادر الإحترام فيما بيننا، يا عزيزي.
السيد جوردان : يا سيدي...
دورانت : ضعْ قبعتك على رأسك. فأنت من أعزّ اصدقائي.
السيد جوردان (**يضع قبعته على رأسه**) : الأفضل ان يبدر مني بعض التقصير على أن لا أتصرف بلياقة تجاهك.
دورانت : انا مدين لك بالكثير، كما تعلم.
السيدة جوردان (**على حدة**) : وانا أعرف ذلك جيداً.
دورانت : لقد اقرضتني مالك بسخاء في مناسبات عديدة، وغمرتني بمعروفك وكرمك.
السيد جوردان : لا تهزأ بي، يا سيدي الكونْت.
دورانت : لكن أعرف كيف أرد المال لمن يُقرضني إياه، وأقدّر الجميل الذي يجود به عليّ الصديق الحميم.

السيد جوردان : انا لا أشك بذلك مطلقاً.

دورانت : اودّ ان أخرج بصحبتك لقضاء بعض الحاجات، وسنعود لتقويم حساباتنا معاً.

السيد جوردان (**بصوت خافت للسيدة جوردان**) : هل لمست سوء ظنك، يا امرأة ؟.

دورانت : انا رجل لا همّ لي إلّا أن أسدّد ما عليّ من ديون.

السيد جوردان (**بصوت خافت للسيدة جوردان**) : هذا ما كرّرته لك.

دورانت : بحياتك، قل لي بكم من المال أنا مدين لك يا صديقي.

السيد جوردان (**بصوت خافت للسيدة جوردان**) : لا داعي الى شكوكك السخيفة، كما ترين الآن وتسمعين.

دورانت : هل تتذكر جميع المبالغ التي أقرضتني اياها ؟.

السيد جوردان : نعم، على ما اعتقد. لأني سجلّتها في مفكّرة صغيرة ها هي. فقد اقرضتك مرة مبلغ مئتي ليرة ذهبية.

دورانت : هذا صحيح.

السيد جوردان : ومرة اخرى، أقرضتك مئة وعشرين ليرة ذهبية.

دورانت : وهذا ايضاً صحيح.

السيد جوردان : ومرة ثالثة مئة واربعين ليرة ذهبية.

دورانت : معك حق.

السيد جوردان : هذه النفدات الثلاث مجموعها يساوي اربعمئة وستين ليرة ذهبية، تعادل خمسة آلاف وستين ليرة ورقاً.

دورانت : حسابك كله صحيح. نعم خمسة آلاف وستين ليرة ورقاً.

السيد جوردان : ودفعت عنك ألف وثمانمئة واثنتين وثلاثين ليرة ورقاً لمن ابتعت انت منه ريشات لتزيين ملابسك.

دورانت : هذا صحيح ايضاً.

السيد جوردان : ودفعت ايضاً عنك الفين وثمانمئة ليرة ورقاً لخيّاطك.

دورانت : بالضبط.

السيد جوردان : ثم اربعة آلاف وثلاثمئة وتسعاً وسبعين ليرة ورقاً للبائع الذي تشتري منه عادة لوازمك.

دورانت : هذا صحيح. حساباتك دقيقة.

السيد جوردان : وكذلك ألف وسبعمئة وثمانية واربعين ليرة ورقاً الى سرّاجك.

دورانت : حقاً، إن كل حساباتك في غاية الدقة. فكم يصبح المبلغ الاجمالي ؟.

السيد جوردان : المجموع هو خمسة عشر ألفاً وثمانمئة ليرة ورقاً.

دورانت : هذا صحيح. أضف اليها مئتي ليرة ذهبية. فيغدو المبلغ الإجمالي النهائي ثمانية عشر ألف فرنك سأدفعها لك بأقرب وقت.

السيدة جوردان (بصوت خافت للسيد جوردان) : الم اتوقّع ذلك ؟.

السيد جوردان (بصوت خافت للسيدة جوردان) : أُسكتي.

دورانت : هل يزعجك ان تعطيني ما طلبته منكَ كمبلغ إضافي ؟.

السيد جوردان : لا، لا، مطلقاً.

السيدة جوردان (بصوت خافت للسيد جوردان) : هذا الرجل جعل منك بقرة حلوباً.

السيد جوردان (بصوت خافت للسيدة جوردان) : قلت لك اصمتي.

دورانت : اذا كان هذا يضايقك ذهبت واخذت المبلغ من غيرك.

السيد جوردان : كلا، كلا. يا سيدي النبيل.

السيدة جوردان (بصوت خافت للسيد جوردان) : لن يستاء اذا دفعك الى الافلاس.

السيد جوردان (بصوت خافت للسيدة جوردان) : اكرّر عليك القول : اسكتي.

دورانت : ما عليك الاّ ان تصرّح لي بكل بساطة اذا كان الامر يزعجك.

السيد جوردان : لا، لا بتاتاً، يا سيدي الكونت.

السيدة جوردان (بصوت خافت للسيد جوردان) : يا له من دجّال محتال.

السيد جوردان (بصوت خافت للسيدة جوردان) : أقول لك : اصمتي، اصمتي.

السيدة جوردان (**بصوت خافت للسيد جوردان**) : انا واثقة بأنه سيستنْفِد منك مالك حتى آخر فلس.
دورانت : لديّ كثير من الاصدقاء الذين يقرضونني المال بكل سرور. ولكن بما انك أعزّ صاحب عندي، اعتقد اني أسيء الى مودّتنا اذا طلبت هذا المال من احدٍ سواك.
السيد جوردان : ان تقترض مني المال، يا سيدي الكونت، لهو شرف عظيم. وها أنا ذاهب لأجلب لك المبلغ الذي تريده.
السيدة جوردان (**بصوت خافت للسيد جوردان**) : هل تريد أن تقرضه المال مجدّداً ؟.
السيد جوردان (**بصوت خافت للسيدة جوردان**) : ما العمل ؟ هل تريدين ان ارفض طلب مثل هذا الانسان الرفيع النسب الذي تحدّث هذا الصباح عني في غرفة الملك ؟.
السيدة جوردان (**بصوت خافت للسيد جوردان**) : لا أرى فيك إلّا رجلاً ساذجاً مخدوعاً.

المشهد الخامس

دورانت، والسيدة جوردان، ونيكول.

دورانت : انت تبدين لي كئيبة، فما بك يا سيدتي جوردان ؟.
السيدة جوردان : أشعر بثقل هائل في رأسي. واخشى ان يكون متورّماً.
دورانت : اين الآنسة ابنتك التي لا أرى لها وجها في هذه الايام ؟.
السيدة جوردان : الآنسة ابنتي بخير حيث هي الآن.
دورانت : كيف حالها ؟.
السيدة جوردان : هي بألف خير.
دورانت : أليس من سبيل الى مجيئك معها لكي تشاهدا معاً رقص الباليه والهزلية التي تُمثَّل امام الملك.

السيدة جوردان : لا مانع لدينا، لاننا حقاً بغاية الشوق الى الضحك في هذه الظروف.

دورانت : اعتقد يا سيدتي انك جمعت حولك الكثير من المحبين ايام صباك، نظراً الى ما كنت عليه من الحسن والبهاء.

السيدة جوردان : هل تظن ان السيدة جوردان أصبحت الآن هرمة وعجوزاً شمطاء ؟.

دورانت : كلا، يا سيدتي جوردان، انا لا اقصد ذلك. وأرجوك ان تسامحيني. لم أكن اقصد إلّا أن اذكر ما كنت عليه من الجمال والأناقة في ايام شبابك. واكرّر اعتذاري عن سوء التفاهم الذي حصل. وأرجوك ان تعلمي أني دوماً أرى فيك روح الزهو والمرح.

المشهد السادس

السيد جوردان، والسيدة جوردان، ودورانت، ونيكول.

السيد جوردان : هذه مئتا ليرة ذهبية عدّاً ونقداً.

دورانت : أؤكد لك يا سيد جوردان اني تحت أمرك، وانا أتوق الى تأدية كل خدمة تحتاج اليها في البلاط الملكي.

السيد جوردان : أشكر أفضالك.

دورانت : اذا شاءت السيدة جوردان ان تذهب لتحضر ملاهي القصر الملكي سأحجز لها أفضل الأمكنة في القاعة الكبيرة.

السيد جوردان : السيدة جوردان تشكرك جزيل الشكر.

دورانت (**للسيدة جوردان**) : ان زوجتي المركيزة التي كتبتُ لها رسالة قصيرة ستأتي قريباً لتشاهد رقص الباليه، وتشترك بحفلة العشاء. وطلبت منها ان تقبل الهدية التي تودّين ان تقدّميها لها.

السيد جوردان : لننسحب من هنا الى مكان أبعد كي نتحدّث قليلاً برواق.

دورانت : لم أبصرك منذ اسبوع، ولم ازوّدك بأخبار الماسة التي وضعتها بين يديّ لكي أقدّمها لها بالنيابة عنك. لقد لقيت اكبر الصعوبات في سبيل إقناعها حتى تمكّنت اليوم اخيراً من اخذ موافقتها على قبولها من طرفك.

السيد جوردان : وكيف وجدتها ؟.

دورانت : ممتازة، لان جمال هذه الماسة جعلها تحفظ لك خير ذكرى نظراً الى كون هذا الحجر الكريم النادر يستحقّ كل إعجاب.

السيد جوردان : الحمد لله.

السيدة جوردان (**لنيكول**) : حين يكون معه هذا الخبيث لا يريد ان يفارقه.

دورانت : لقد بيّنت لها صفات هذه الهدية الثمينة، ومدى الحب الكبير الذي تكنّه لها.

السيد جوردان : هذه الالطاف، يا سيدي النبيل، تغمرني بالسرور، وانا مدين لشخصك الكريم بتلطّفك وتنازلك الى مصادقتي.

دورانت : لا تقل هذا. بين الاصدقاء المخلصين لا مجال للرسميّات. أولست مستعداً لمقابلتي بمثل المودّة التي احفظها أنا لك ؟.

السيد جوردان : بدون شك، ومن كل قلبي.

السيدة جوردان (**لنيكول**) : كم استثقل حضور هذا الشخص الى بيتي.

دورانت : انا لا أتردّد في بذل كل ما بوسعي لإرضاء صديق فاضل مثلك، يضع كل ثقته فيّ لكسب تقدير هذه المركيزة الحلوة لشخصك الوفي، وانت تعلم كم هي تعزّني، وكم أنا مستعدّ لخدمتك، ومساعدتك على نيل الحظوة في عينيها.

السيد جوردان : هذا صحيح. انا اسير معروفك وعطفك عليّ.

السيدة جوردان : (لنيكول) : ألا يريد أخيراً ان يذهب من هنا ؟.

نيكول : هما سعيدان بوجود أحدهما بصحبة رفيقه.

دورانت : لقد سلكت الطريق الصحيح للوصول الى فؤادها. فالنساء بوجه الاجمال يحبّذن المصاريف التي تبذل في سبيل ارضائهن. ونزهاتك المتكرّرة، وزهورك المرسلة باستمرار، وهذه الألعاب النارية التي تشاهد انوارها معكوسة على صفحة الماء، والماسة التي اوصلتها من قِبَلك، والهدايا التي تعدّها

لإرسالها اليها قريباً، كل ذلك يهمس في مسمعها آيات حبك الصادق كما لو كنت انت بنفسك تبثها لواعج هيامك.

السيد جوردان : لن امتنع عن بذل أية مصاريف اذا كنتُ بذلك أصل الى فتح ابواب قلبها. فالحصول على رضى امرأة بهذه الصفات الرائعة يشعّ في عينيها بريق السحر الحلال، يكون شرفاً كبيراً لي ازاء الثمن الزهيد الذي أجود به راضياً في هذا المجال.

السيدة جوردان : (**لنيكول**) : بما يتحدثان طويلاً هكذا، يا ترى ؟ اذهبي وانصتي قليلاً لعلك تفهمين ما يدور بينهما من كلام غير مسموع.

دورانت : ستتمتّع قريباً بمشاهدتها وستكحل عينيك ببهاء طلعتها.

السيد جوردان : ولكي أكون في مأمن من اي سوء ظن سعيت الى ارسال زوجتي للغداء عند اختها حيث تقضي طوال بعد الظهر.

دورانت : حسناً فعلت، وبحكمة تصرفت. وإلّا كانت زوجتك ضايقتنا اثناء زيارتنا. إطمئن بالاً، فقد أصدرتُ أوامري للطاهي كي يُعدّ كل ما يلزم لحضور حفلة الباليه في منزلي. وكل هذا الإنجاز من وحي ابتكاري. فارجو ان يكون تنفيذه ملائماً تماماً لغايتنا المنشودة.

السيد جوردان (**يلاحظ ان نيكول تسترق السمع بقربهما ويصفعها**) : ما هذه الوقاحة ؟ (لدورانت) هيا بنا نخرج من هنا، اذا شئت.

المشهد السابع

السيدة جوردان ونيكول

نيكول : أؤكد لك ان فضولي قد كلّفني غالياً. وأظنّ ان في الامر ما لا يرتاح اليه البال. وفهمت انهما ينويان الذهاب الى مكان لا يريدان ان يصطحباكِ اليه.

السيدة جوردان : ليس اليوم فقط تراودني الظنون بسوء سلوك زوجي. فهو يخدعني منذ زمن طويل، ولا أشك في أن علاقة تستهويه ويسرّني كثيراً ان اكشفها وأعرف من هي مزاحمتي اللعينة. ويجدر بي ان افكّر ايضاً بابنتي. فأنت مطّلعة على الحب الذي يكنّه لها كليُونت. هذا الشاب يعجبني وسأسعى جاهدة لتحقيق زف ابنتي لوسيل اليه قريباً، اذا استطعت.

نيكول : في الحقيقة يسرّني جداً ان أعرف انكِ تسعَيْن لتحقيق هذا المشروع الذي اهنئك عليه. فإذا حظي معلمي كليونت بتحقيق امنيتك، فان خادمه كوفيال سيعود اليّ انا ايضاً، وأتمنى ان يتمّ اقتراني به في ظل زفاف ابنتك العزيزة.

السيدة جوردان : اذهبي وأبلغي كليونت ان يأتي اليّ فأحرّضه على التقدم بطلب ابنتي من والدها.

نيكول : انا مسرعة اليه، يا سيدتي، ولن انفّذ امراً أعزّ من هذا على قلبي. (على حدة) انا ذاهبة وكلّي أمل بأن أُدخل الفرح على قلب المحبين كي يلحقني منه نصيب.

المشهد الثامن

كليونت وكوفيال ونيكول

نيكول : (**لكليونت**) : اراك هنا، وأنا أبحث عنك. جئتك بمهمة تسعدك. فأنا آتية من....

كليونت : إنسحبي من هنا، يا خبيثة، واذهبي عني، ولا تتسلّي بما تسمعيني اياه من كلامك المزعج.

نيكول : أهكذا تستقبل....

كليونت : قلت لك إنسحبي من هنا، ولا تحاولي ان تتسلّي على حسابي. فأنا لن اصدّق حرفاً واحداً من حديثك المؤذي.

نيكول : ماذا دهاك، يا عزيزي ؟ يا صديقي المسكين كوفيال، أرجوك ان تفسّر لي ماذا تقصد بهذه المداعبة ؟.

كوفيال : أأنا صديقك المسكين كوفيال أيتها الخسيسة المحتالة ؟ هيّا اغربي من امامي. يا منحطة، واتركيني بأمان.

نيكول : أهكذا تتخلى عني أنا نيكول ؟.

كوفيال : هيا قلت لك، اذهبي من هنا ولا تعودي الى محادثتي بعد الآن.

كليبونت : (على حدة) : ماذا دهاهما كليهما ؟ لأعُدْ الى سيدتي وأخبرها بما جرى.

المشهد التاسع

كليبونت وكوفيال

كليبونت : ما هذا ؟ هل يجوز ان يُعامَل عاشق هكذا ؟ عاشق مثلي أمين ومحب ومخلص.

كوفيال : هذا حقاً فظيع لا يُطاق. لماذا نُعامَل كلانا على هذا النحو من العقوق ؟.

كليبونت : هل يُعقل ان أخصّ شخصاً بكل مودّتي وحنوي، وأن احبه بكل قواي وكل قلبي، وأن أحصر به كل أشواقي وأفراحي، وان لا أحلم ولا أفكّر إلا به، وأن لا أحيا إلّا لأجله، وتكون هذه مكافأتي منه على وفائي وأمانتي ؟ ها قد مضى يومان بدون ان اراها وانا اظنهما دهراً طويلاً. فألتقي بها صُدفةٍ ويبتهج فؤادي بمرآها ويفيض صدري بمنتهى الشوق اليها. وها هي الخائنة تُشيح بانظارها عني وتمرّ كالعاصفة بقربي ولا تلقي عليّ نظرة واحدة.

كوفيال : هذا لسان حالي انا ايضاً.

كليبونت : لا، لا، ليس في الدنيا يا كوفيال، شبيهة للوسيل في الجحود والخيانة.

كوفيال : ولا شبيهة للحيّة الرقطاء نيكول ايضاً.
كليبونت : بعد كل ما بذلته في سبيلها من تضحيات، وما تحمّلته من عذاب وخيبة، ها هي تحرمني من أُنْس عطفها.
كوفيال : وانا ايضاً بعد كل ما أحطتها به من رعاية وخدمات في مساعدتها باعمال مطبخها، ها هي قد أهملتني وابتعدت عني وهجرتني.
كليبونت : لقد ذرفت الدموع السخيفة وتوسلت اليها.
كوفيال : وانا نقلت لها دلاءً عديدة من البئر خارج الدار الى المطبخ.
كليبونت : وكل ما اظهرته انا لها من مَودّة وإخلاص، وتفضيلي اياها على نفسي.
كوفيال : وما تحمّلته انا من حرارة شديدة، وأنا أبْرُم بدلاً عنها القضيب الحامي الذي تشوي اللحوم عليه.
كليبونت : تتجنبني الآن وتتغافل عني.
كوفيال : وتدير لي ظهرها بكل وقاحة وقلّة إكتراث.
كليبونت : هذه نذالة تستحقّ عليها أقصى العقاب.
كوفيال : بل خيانة تقتضي التكفير عنها بمناولتها الف صفعة وصفعة.
كليبونت : بربّك لا تشكي لي همومك اكثر مما فعلت.
كوفيال : وانت لا تبكي امامي على ما نابك من هجر وإذلال.
كليبونت : ارجوك أن لا تأتي على ذكرها امامي بعد الآن.
كوفيال : وانا، نجّني، يا الهي، من مكائدها.
كليبونت : لا تحاول ان تخفّف من جرمها في نظري.
كوفيال : لا تخفْ من هذا القبيل.
كليبونت : تصوّر أن كل حججك لتعذرها لا تفيد ولا تمحو ذنبها.
كوفيال : ومن يفكّر في ذلك ؟.
كليبونت : انا مصمّم على نسيانها، ولن أتراجع عن كرهها واحتقارها.
كوفيال : وانا أيضاً وأيضاً.
كليبونت : اظن ان هذا الكونت الذي يذهب لزيارتها ربما يبهرها. واعتقد انها تميل الى ما تدّعي أنه انفتاح ذهنٍ وذكاء. لكن شرفي المهان في

الميدان يأبى إلّا الإنتقام من جفائها، اذا لم تبدّل موقفها الحالي تجاهي، وترجع الى حبّي راجيةً راضية، لكي لا تتركني ابداً بعد هذا الصدّ والبعاد.

كوفيال : هذا هو عين الصواب، وموقفي لا يختلف عن وضعك انت، ومشاعري ليست بعيدة عن عواطفك.

كليبونت : هات يدك، يا صاح. علينا ان نتضامن ونتعاون على إزالة كل العقبات والعراقيل من درب حبنا نحن الاثنين. وإذا ظلّ الحال على ما هو الآن، فما لك إلّا ان تلصق بها كل النعوت المهينة والمُذلَّة لكي اكره شخصها البغيض ولا أعود الى ذكر اسمها على لسَاني، لان احتقاري اياها لن يعادلة حينذاك اي سخط.

كوفيال : هي في الحقيقة، بما تبديه حالياً من جفاء، ليست سوى فتاة سخيفة مغرورة تقدّر نفسها بما يفوق مزايا البشر، وهي في الواقع ليست سوى مخلوقة بلهاء حقيرة لا تستحقّ ان يفكّر بها شاب نظيرك، وليست اهلاً لأن تهواها أو أن تُلقي عليها نظرة عطفٍ ولاسيما عينيها الصغيرتين كعيني الفأرة المبلولة.

كليبونت : صحيح ان عينيها صغيرتان لكنهما تطفحان سحراً حلالاً ووهجاً جذاباً كسهمين يخترقان فؤادي انا عاشقها المتيّم وتجرحني في صميم قلبي.

كوفيال : ثم، فمها كبير.

كليبونت : نعم، ولكن شفتيها تقطران عسلاً، وليس من فم آخر يشبهه. لانه يثير في اعماقي أشهى الأماني، وحالما أبصرها، تستأثر بكل عواطفي وتجتذبني اليها لأنها أعذب حبيبة في الكون.

كوفيال : اما قوامها فليس بالاهيف الرشيق.

كليبونت : هذا ايضاً صحيح. ولكن خصرها النحيل يستهويني.

كوفيال : كلماتها وحركاتها بطيئة.

كليبونت : لا انكر ذلك، مع انها كيفما تلفّتت تسحرني وتأسر قلبي.

كوفيال : ومن جهة ذكائها...

كليبونت : لا تكلّمني عنها، يا كوفيال. فتثير اشجاني، لانها أحلى صبية على وجه الارض.

كوفيال : وحديثها...
كلييونت : لا تذكّرني بحديثها، فإنه يستولي على كل مشاعري.
كوفيال : وهي دائماً رصينة صارمة...
كلييونت : وهذا ما يشدّني اليها بازدياد، ويُؤَجّج لهيب اشواقي نحوها دون سائر نساء الارض.
كوفيال : اما اهواؤها وغنجها ودلالها...
كلييونت : حدّث ولا حرج. فإن أهواءها لا تُحصى وغنجها ودلالها لم يسبقها اليهما احد. اذ يليقان حقّاً بحسناء مثلها ليس في الكون أعزّ منها على قلبي.
كوفيال : وبما ان الامر هكذا أنا أيضاً لا يسعني ان امتنع عن حبّها مدى العمر.
كلييونت : إني افضل ان أموت على أن أكرهها بقدر ما أهواها.
كوفيال : وما حيلتك ؟ اذا كنت ترى فيها كل هذه الفضائل والحسنات ؟.
كلييونت : لذلك سيكون انتقامي منها أقسى، لكي أثبت لها مقدرة حبي على الإمعان في تحوّله الى كرهها، مهما كانت جميلة المعالم، ومهما وجدتُ في خصالها ضالتي المنشودة. ها هي قادمة الينا.

المشهد العاشر

كلييونت ولوسيل وكوفيال ونيكول

نيكول (**للوسيل**) : لقد زرع في صدري الشكوك.
لوسيل : لا يمكن ان يكون الامر إلا كما قلت لك.
كلييونت (**لكوفيال**) : انا لا أريد أن أكلّمها.
كوفيال : وانا كذلك أفعل مثلك.
لوسيل : من تقصد يا كلييونت ؟ ماذا حلّ بك ؟.
نيكول : ماذا دهاك يا كوفيال ؟.

لوسيل : ماذا يضايقك ؟.
نيكول : ما هذا المزاج الغريب ؟.
لوسيل : هل انعقد لسانك، يا كوفيال ؟.
كليبونت : هذا عمل قبيح يدلّ على الدناءة.
كوفيال : بل هذه خيانة في منتهى الخساسة.
لوسيل : ارى ان مقابلتك منذ لحظة قد أوقعتك في الحيرة والاضطراب.
كليبونت (لكوفيال) : ها ها، يظهر ان الامر أخذ يتعقّد.
نيكول : لقاء هذا الصباح قد طاش له صوابك.
كوفيال (لكليبونت) : لا بد من ان يكون احد قد إطلع على مشكلتك. فأية كارثة حلّت بك ؟.

كليبونت : نعم، أنتِ بتصرّفك قد أظهرت حماقةً لا تُغْتَفَر. يمكنك ان تسحقي قلبي بقلّة أمانتك، لذا سأقطع علاقتي بك فلن يتسنى لك بعد الآن ان تقهريني وتطرديني من جنتك. لا شك بان حبك سيُدمي فؤادي وجفاءك سيجرح كرامتي. فأتألّم بعض الوقت. ولكن سرعان ما تندمل جراحي لان قلبي يأبى ان يظل صريع هواك، ولن يضعف ليعود اليك متذللاً.
كوفيال (لنيكول) : انت مثلي تماماً.
لوسيل : لقد قامت ضجة مدوّية بسبب أمر تافه لا يستدعي الاهتمام، يا كليبونت. وهذا بالذات ما دعاني الى تجنّبك هذا الصباح.
كليبونت (يريد ان يذهب ليتحاشى لقاء لوسيل) : لا، لا أريد أن أصغي الى ما تقول.
نيكول (لكوفيال) : سأشرح لك ما حملنا على المضيّ باكراً.
كوفيال (يريد ان يذهب ليتحاشى لقاء نيكول) : وانا لا أريد ان اسمع.
لوسيل (تتبع كليبونت) : إعلم إني هذا الصباح...
كليبونت (يمشي بدون ان ينظر الى لوسيل) : قلت لكِ كلاّ...
نيكول (تتبع كوفيال) : إعلم اني...
كوفيال (يمشي بدون ان ينظر الى نيكول) : لا، لا. يا خائنة...
لوسيل : اسمع...

كليبونت : لا داعي أبداً.

نيكول : دعني أخبر...

كوفيال : انا كالصخر الأصمّ.

لوسيل : يا كليبونت...

كليبونت : كلا.

نيكول : يا كوفيال...

كوفيال : كلاّ...

لوسيل : هيا قِفْ...

كليبونت : من المستحيل.

نيكول : اسمعني...

كوفيال : هذا سخيف.

لوسيل : لحظة فقط.

كليبونت : ابداً.

نيكول : صبرك قليلاً عليّ.

كوفيال : كلا ثم كلا.

لوسيل : كلمتان فقط.

كليبونت : لا، لا. لقد انتهى كل ما بيننا.

نيكول : كلمة واحدة.

كوفيال : لن اتعاطى معك بعد الآن.

لوسيل (**تقف**) : بما انك لا تريد ان تصغي اليّ، تشبَّثْ بفكرتك وافعل ما يحلو لك.

نيكول (**تقف هي ايضاً**) : وانت بما انك تتصرّف على هذه الصورة، افعل ما تشاء.

كليبونت (**يلتفت الى لوسيل**) : ليدرك كل منّا مدى موقفه تجاه الآخر.

لوسيل (**تذهب لتتجنب لقاء كليبونت**) : لا أريد أن أضيف حرفاً على ما أعلنته لك الآن.

كوفيال (**يلتفت الى نيكول**) : هيّا احكي لنا قصتك.

نيكول (**تذهب لتتجنب لقاء كوفيال**) : لا أريد أن أحكي لك.
كليبونت (**يتبع لوسيل**) : قولي لي...
لوسيل (**تواصل سيرها بدون ان تنظر الى كليبونت**) : لا، لا. انا لا أريد أن أتكلّم.
كوفيال (**يتبع نيكول**) : أرجوك ان تتكلمي.
نيكول (**تمشي هي ايضاً بدون ان تنظر الى كوفيال**) : كلا انا أيضاً لا أريد ان أتكلّم.
كليبونت : أرجوك...
لوسيل : قلت لك اني لا اريد...
كوفيال : من فضلك.
نيكول : لا سبيل الى ذلك.
كليبونت : التمس منك...
لوسيل : دعني وشأني.
كوفيال : استحلفك بأعزّ ما لديك.
نيكول : ابتعد عن دربي.
كليبونت : يا لوسيل...
لوسيل : لا، لا.
كوفيال : يا نيكول.
نيكول : كلا ثم كلا.
كليبونت : يا الهي ما هذا الإصرار.
لوسيل : انا لا اريد.
كوفيال : كلميني.
نيكول : كلا ثم كلا.
كليبونت : بدّدي شكوكي.
لوسيل : لا، لن افعل ما تشاء انت.
كوفيال : اشفي غليلي، وردّي عليّ.
نيكول : كلا، هذا لا يعنيني.

كليبونت : بما انك غير مهتمة بانتشالي من مشكلتي ولا تنوين تبرير معاملتك غير اللائقة تجاه ما يضنيني من شغفي بك وحبي لك، يا ناكرة الجميل، انت الآن ترينني للمرة الاخيرة، وسأمضي قُدُماً في كل ما من شأنه ان يدعك تموتين حزناً وقهراً وحسرة عليّ.

كوفيال (**لنيكول**) : وانا سأتبع خطاه.

لوسيل (**لكليبونت الذي يهمّ بالخروج**) : يا كليبونت.

نيكول (**لكوفيال الذي يهمّ بالخروج ايضاً**) : يا كوفيال.

كليبونت (**يقف**) : نعم.

كوفيال (**يقف ايضاً**) : من فضلك.

لوسيل : الى اين انت ذاهب ؟.

كليبونت : الى حيث قلت لك.

كوفيال : نحن ذاهبان معاً لنموت.

لوسيل : هل حقاً تريد ان تموت، يا كليبونت ؟.

كليبونت : نعم، يا قاسية القلب، لأنك تريدين أن نفعل ذلك.

لوسيل : وهل أريد انا ان تموتا، لا سمح الله ؟.

كليبونت : نعم، نعم. انت تدفعينا الى ذلك.

لوسيل : ومن قال لك ؟.

كليبونت (**يقترب من لوسيل**) : أوَلَسْت انت التي لا تريدين ان تبدّدي ظنوني ؟.

لوسيل : وهل هذا ذنبي ؟ آه لو شئت ان تصغي اليّ. لقد قلت لك هذا الصباح ان المغامرة التي جرت سببها حضور عمتي المسنّة التي تصرّ بكل ما أوتيت من دهاء وعناد، على ان مجرّد اقتراب الرجل من الفتاة هو مدعاة عار شنيع عليها، لا يُغتفر. وهي التي لا تنفكّ عن وعظنا في هذا الصدد، مصوّرة لنا ان كافة الشبان شياطين يتحتّم علينا ان نهرب منهم لننجو من شرهم.

نيكول (**لكوفيال**) : هذا هو سرّ المشكلة.

كليبونت : ألا تخدعينني اكثر مما فعلتِ حتى الآن يا لوسيل ؟.

كوفيال (لنيكول) : هذه هي كل الحقيقة المجرّدة.
نيكول (لكوفيال) : اجل، صدّقني، هذا ما جرى بحذافيره.
كوفيال (لكليبونت) : هل تريد أن تصدّقها ؟.
كليبونت : آه، يا لوسيل. ما أبرعك في التلفيق. بكلمة واحدة من فمك المعسول عرفت كيف تهدّئي خواطري وتطمئني قلبي المتيّم بهواك. ما اسهل على المحب ان يقتنع بحجج الحبيب مهما كانت واهية.
كوفيال : نعم، نعم. ما ابرع اقوال شيطان الحب عندما يعطف ويلين.

المشهد الحادي عشر

السيدة جوردان وكليبونت، ولوسيل وكوفيال ونيكول.

السيدة جوردان : انا مسرورة جداً بمشاهدتك يا كليبونت. ها قد حضرت في حينك. زوجي قادم، فلا تتأخر عن ان تطلب منه لوسيل لتكون عروسك.
كليبونت : يا سيدتي ليتك تعلمين كم هذا الكلام عذب، وعزيز على قلبي. ان رضاك هو احلى امنياتي. وهل هناك من طلبٍ أغلى على فؤادي، أودّ أن ألبيه فوراً.

المشهد الثاني عشر

السيد جوردان والسيدة جوردان وكليبونت ولوسيل وكوفيال ونيكول.

كليبونت : يا سيدي، لم أشأ ان أوسّط احداً لينوب عني ويطلب منك ما افكّر انا فيه منذ زمن طويل. هذه القضية غالية عليّ الى درجة اني تولّجت شخصيا بمفاتحتك بها. وبدون لفّ ودوران اصارحك بان لي الشرف الرفيع ان ابدي لك رغبتي الصادقة في ان اكون صهرك زوج ابنتك لوسيل.

فهذه منّة جليلة ارجوك ان تجود بها عليّ ولا تحرمني اياها.

السيد جوردان : قبل ان استجيب طلبك، يا سيدي، أرجوك ان تقول لي إن كنت من الذوات.

كليبونت : يا سيدي، في هذا الموضوع لا يسعني أن أردّ على سؤالك بالايجاب. والجميع متّفقون على هذا بدون استثناء. فان اسمي لا يوحي إلّا بالثقة التامة، وشعوري في هذا المجال لا يخفى على أحد. انا أجد ان الانحراف لا يليق بالرجل الشريف، لان تنصّلنا مما انعمت السماء علينا وحلّتنا به من الصفات هو محض جبانة وخساسة. ولا سيما اذا اردنا ان ندّعي ما ليس فينا من حسنات. فاني سليل اهل منّ الله عليهم بمناصب مشرّفة، وقد خدمت انا في مهنة حمل السلاح ست سنوات. ولديّ من الاموال ما يكفيني للاحتفاظ بمقام لائق بين خيرة الناس. ومع ذلك لا أودّ ان انتحل اسماً ومقاماً يظنني الغير اني أدّعي الانتساب اليهما. وبكل صراحة اعترف لك باني لست نبيل الحسب والنسب.

السيد جوردان : ضع يدك في يدي، يا سيدي، واعتبر ان ابنتي ليست من نصيبك.

كليبونت : ماذا تقول ؟.

السيد جوردان : انت لست نبيل الاصل والفصل، ولن تحصل اذاً على ابنتي.

السيدة جوردان : ماذا تعني بالاصل والفصل النبيل ؟ هل نحن من سلالة الملوك ؟.

السيد جوردان : اسكتي يا زوجتي. هذا ليس من خصائصك.

السيدة جوردان : اولسنا كلانا أولاد قرويين صالحين جئنا وسكنّا المدينة ؟.

السيد جوردان : انا لا احب زلّة اللسان هذه التي تندرج بباب النميمة.

السيدة جوردان : اولم يكن والدك بائعاً نظير ابي ؟.

السيد جوردان : تباً لك من امرأة ثرثارة. اذا كان والدك بائعاً فهذا شأنه. اما أبي انا فان دعاة السوء يتهمونه بهذه المهنة. وما عليّ إلّا ان اقول لك اني أُصرّ على ان يكون صهري سليل النبلاء.

السيدة جوردان : ابنتك بحاجة الى زوج مماثل لها. والأجدر بها ان تُزَفّ

الى رجل شريف وغنيّ من ان تكون زوجة رجل نبيل مُعْدَم ومشوّه الخلقة والسمعة.

نيكول : هذا صحيح. ان ابن النبيل في قريتنا هو احطّ من أي صعلوك وقعت عيني عليه.

السيد جوردان (**لنيكول**) : أصمتي أنت يا وقحة. فانك دائماً تتدخّلين بما لا يعنيك من الحديث. انا لديّ اموال وافرة تُغْني ابنتي عن الاحتياج الى اي شرف، وأريد أن أجعل منها مركيزة.

السيدة جوردان : مركيزة ؟.

السيد جوردان : نعم مركيزة. ألا يعجبك هذا اللقب ؟.

السيدة جوردان : وقانا الله شرّ هذا الحَسَب.

السيد جوردان : لقد اتخذت قراري النهائي في هذا الموضوع، ولن أتراجع عنه.

السيدة جوردان : هذا امر لا يسعني أن أوافق عليه. لان الاقتران بمن هو ارفع نسباً يعرّض دائماً الى اكثر المفاجآت إزعاجاً. انا لن أرضى لابنتي بزوج يلومها على أحوال ذويها، وتنجب أولاداً يستحون بأن يدعوني جدتهم. وإن اقتضى لها ان تزدري بغيرها وهي بصحبة سيدة مجتمع رفيعة المستوى، وان تتغافل عن تحية جيراني في الحيّ، فيقال عنها ان السيدة المركيزة لا تتنازل الى وضاعتهم لتحيّيهم، بسبب ما حظيت به من أمجاد هم ادنى منها مقاماً، هي ابنة السيدة جوردان التي كانت سعيدة باللعب معهم أثناء حداثتها. ها هي الآن تتعالى عليهم رغم ما كانت فيه من متوسط الحال مثلهم. وكان جدّاها يبيعان الأنسجة في أحد الاسواق. فجمعا بعض المال لأولادهما، كي ينفقوه الآن في محيط مترفّع. ما أصدق المثل القائل : وقانا الله من الحافي اذا انتعل حذاءً في رجليه. انا لا ارغب سماع مثل هذه الثرثرة، وأريد رجلاً، بكلمة، لا يتجبّر على ابنتي، ولا أتردّد في مخاطبته هكذا : تفضل يا صهري، واجلس الى جانبي لنتغدّى سوية.

السيد جوردان : هذه مشاعر شخص حقير يتشبّث بالبقاء الى الابد في قعر مجتمع الصغائر. لا تطيلي الشرح في هذا الموضوع. اكرّر لك : اني

مصمّم على جعل ابنتي انا مركيزة رغماً عن كل من لا يريد. واذا ضايقتني وأغضبتني سأجعلها « دوقة ».

المشهد الثالث عشر

السيدة جوردان، وكلييونت، ولوسيل، ونيكول، وكوفيال.

السيدة جوردان : يا كليونت ثابر على شجاعتك واصمُد. (**للوسيل**) اتبعيني يا ابنتي، وتعالي أفهمي أباك بكل جرأة وتصميم انك إن لم تحصلي على من ترغبين فيه كزوج ستُعرضين عن كل قران سواه.

المشهد الرابع عشر

كليونت، وكوفيال.

كوفيال : أهنّئك على ما حققته حتى الآن من نتيجة مرضية بفضل عواطفك الصادقة.

كليونت : إطمئن بالاً، لدي من المبادئ الصلبة ما لا تهزّه اعنف الرياح غير الملائمة.

كوفيال : لا بد لك من التصرف هكذا حيال شخص عديم المنطق. الا ترى ان طموحه ضرب من الهوس ؟ وهل من سبيل الى مجاراته في اوهامه السخيفة.

كليونت : الحق معك. غير أني لم أكن أتصوّر ان الحصول على ابنة السيد جوردان كزوجة يفرض على العريس ان يكون من النبلا.

كوفيال (**يضحك**) : ها، ها، ها.

كليونت : لماذا تضحك ؟.

كوفيال : خطرت ببالي فكرة تلبي رغبة صاحبنا، وتساعدك على الوصول الى ما تصبو اليه.

كليبونت : ما هي ؟.

كوفيال : الفكرة مرضية للغاية.

كليبونت : قل لي ما هي ؟.

كوفيال : لقد أقام البعض منذ مدة حفلة تنكّرية تناسب وضعنا الحالي. ويخيّل اليّ اني قادر على تكرارها هنا في لعبتنا، وإن كانت سخيفة بعض الشيء. وهي مماثلة لمهزلته بالذات. فمعه يمكننا ان نغامر ونفرض الحلول التي تخدم مصلحتنا. وسيقوم هو بدوره في مهزلتنا على اكمل وجه بدون ان ينتبه الى ما تجرّه عليه من سخرية. فلديّ ما يلزمنا من الممثلين، وعندي ايضاً ما نحتاج اليه من الملابس فدعني أهتمّ بإخراجها.

كليبونت : لكن إشرح لي...

كوفيال : سأطلعك على تفاصيل اللعبة من ألفها الى يائها. لكن علينا اولاً ان ننسحب، لأنه قادم الى هنا.

المشهد الخامس عشر

السيد جوردان وحده

السيد جوردان : هل من شيطان يوسوس لي ذلك ؟ الجميع يلومونني على رغبتي في الارتقاء الى مصافّ النبلاء. وانا ارى في نفسي الكفاءة لما هو أبهى وأرفع من ان اصبح مولى خطيراً محاطاً بالتشريعات واللياقات، وأنا فعلاً على قيد انملة من أن أكون قد وُلدتُ كونتاً او مركيزاً.

المشهد السادس عشر

السيد جوردان والخادم

الخادم : يا سيدي، ها هوذا سيدي الكونت، وبرفقته سيدة يمسك بيدها.
السيد جوردان (وهو يخرج): يا هذا، لديّ بعض الاوامر أصدرها الى الخدم. فقل لهم اني عائد حالاً بدون تأخير.

المشهد الثامن عشر

دوريمان ودورانت

دوريمان : اتساءل، يا دورانت، كيف رضيت أنا بأن آتي بصحبتك الى هذا المنزل حيث لا أعرف أحداً.
دورانت : اين المكان الذي تريدين، يا سيدتي، ان أمضي بك اليه لأجعلك تتذوّقين أطيب المآكل وأشهاها، بما انك لكي تتحاشى عيون الرقباء، لم تقبلي بمجيئي الى منزلك ولا بقدومكِ الى مسكني.
دوريمان : وانت تردّد عليّ كل يوم آيات هواك التي تشهد بما تكنّه لي من العواطف والاشواق. مهما فعلت انا للتمتّع عن مسايرتك أراني قد تعبت من مقاومة رغباتي حيال كل ما تبذله في سبيل رضاي. فالزيارات المتكرّرة قد توالت بإصرار وعناد، والنزهات الممتعة والهدايا الرائعة كلها حملتني على ترك الامور تسير في مجراها الطبيعي. لقد عارضتها في البدء لكنك لم تتراجع، ورويداً رويداً تغلّبت على تردّدي. فبتّ لا أقوى على رفض أيٍّ من عروضي الشخصية، حتى انتهى بي الامر الى انتظار ساعة الزواج التي لم أعد اقوى على تأخيرها اكثر مما فعلت.
دورانت : على كل حال، يا سيدتي، هذا كله لصالحك. فأنت ارملة، ولا أحد يقف في دربك حجر عثرة، أي ان قرارك بيدك. وانا سيّد نفسي،

وأهواكِ أكثر من حياتي. فلماذا تحرمين نفسك وتحرمينني لذة هذه السعادة الفائقة ؟.

دوريمان : يا الهي. ما هذا الكلام الطريف، يا دورانت. على كلٍ منّا ان يتحلّى بالصفات اللازمة ليتذوّق هذا الهناء العارم الذي يغمرنا معاً. ان أعقل شخصين في الدنيا يصعب عليهما ان يحقّقا زفافاً أنسب وأبهج مما نُقدم عليه بالرضى الكامل.

دورانت : هل تريدين ان تسخري مني، يا سيدتي، وأنت تعدّدين لي بعض المصاعب. فالاختبار الذي اجتزناه لا يترك لك أيّ شكّ باننا سنبلغ أحلى أمانينا.

دوريمان : انا لا أفكّر إلا بذلك. لان المصاريف التي اراك تتكبّدها في سبيلي تقلق فكري لسببين : الاول انها تربطني بمشروعك اكثر مما أرجوه، والثاني اني واثقة، بدون ان أزعجك، بانك تبذلها بدون ان اشعر من جهتي بايّ حرج، وانا لا أقبل بذلك بتاتاً.

دورانت : هذه تفاهات، يا سيدتي، يجب عليك أن لا...

دوريمان : انا ادرك تماماً ما أقول. ومن بين هذه التكاليف، تلك الماسة الرائعة الفريدة التي اجبرتني على قبولها مرغمة، نظراً الى غلاء ثمنها.

دورانت : ارجوك، يا سيدتي، ان لا تذكري إلّا حبيّ العميق لشخصك الجذّاب. لان ما عدّدته لا قيمة له بالنسبة الى شدّة هيامي بك. فأرجوك... ها هو ربّ البيت قادم.

المشهد التاسع عشر

السيد جوردان، ودوريمان، ودورانت

السيد جوردان (**بعد ان أدّى تحية الاحترام بتقدّمه خطوتين، يجد نفسه قريباً جداً من دوريمان**) : أرجوك ان تعودي قليلاً الى الوراء من باب اللياقة، يا سيدتي...

دوريمان : كيف ؟.

السيد جوردان : تراجعي خطوة، من فضلك.

دوريمان : لماذا ؟.

السيد جوردان : بل ارجعي قليلاً ثلاث خطوات.

دورانت : يا سيدتي، السيد جوردان يصرّ على اكرامك، لانه يقدّر كثيراً خطوتك العزيزة بقبولك أن تزوريه في منزله.

السيد جوردان : يا سيدتي، هذا شرف كبير توليني إياه اذْ وجدتني جديراً بقبول زيارتك الغالية السارة. انها حقاً شرف كبير تجودين به عليّ بحضورك إلى منزلي. وإن كنت أهلاً لقبول شرف زيارة سيدة رفيعة النسب والحسب مثلك، فهذه كما أقول لك، منّة من السماء جعلتني استحقّ وجودك هنا...

دورانت : هذا يكفي، يا سيد جوردان. فالسيدة المحترمة لا تحبّ الامعان في المديح، وهي تعلم كم انت تحفظ لها من المودة والاعتبار. (بصوت خافت لدوريمان)، انه قروي سخيف، كما ترين في كل هذه التصرفات.

دوريمان (**بصوت خافت**) : لا أحتاج الى أيّ عناء لألاحظ منه ذلك.

دورانت (**بصوت عالٍ**) : هذا هو أعزّ اصدقائي، يا سيدتي.

السيد جوردان : هذا شرف رفيع تجودين به عليّ.

دورانت : رجل لا ينقصه ذرّة من اللياقة.

دوريمان : وانا اقدّره حق قدره.

السيد جوردان : لم افعل يا سيدي ما يجعلني استحقّ هذه المجاملة.

دورانت (**بصوت خافت للسيدة جوردان**) : إياك ان تكلّمها عن الماسة التي ارسلتها اليها بواسطتي.

السيد جوردان (**بصوت خافت لدورانت**) : ألا أستطيع ان أسألها : كيف وجدتها ؟.

دورانت (**بصوت خافت للسيد جوردان**) : ماذ تقول ؟ إيّاك ان تسألها عنها لان كلامك لن يكون في محلّه. ولكي تتصرّف كرجل لائق عليك أن لا تذكر امامها انك قدّمت لها هذه الهدية (بصوت عالٍ) السيد جوردان يا سيدتي يقول انه سعيد جداً بحضورك الى منزله.

دوريمان : هذا يشرّفني.
السيد جوردان (**بصوت خافت لدورانت**) : كم انا مدين لك بشرف تحدثك عني هكذا، يا سيدي.
دورانت (**بصوت خافت للسيد جوردان**) : لقد لاقيت الأهوال حتى تمكنت من اقناعها بالمجيء الى هنا.
السيد جوردان (**بصوت خافت لدورانت**) : لست أدري كيف اردّ لك جميلك.
دورانت : يقول السيد جوردان انه يجدك أجمل سيدة على وجه الارض.
دوريمان : انه يغمرني بلطفه.
السيد جوردان : انت تغمرينني برقتك...
دورانت : دعونا نفكّر الآن بالطعام.

المشهد العشرين

السيد جوردان، ودوريمان، ودورانت، وخادم.

الخادم (**للسيد جوردان**) : كل شيء جاهز، يا سيدي.
دورانت : هيا نجلس الى المائدة، وليأت الموسيقيّون.
(ستة طُهاة أعدّوا الوليمة يرقصون معاً. ويقدّمون الوصلة الثالثة. بعد ذلك يأتون بمائدة عليها شتى المآكل).

الفصل الرابع

المشهد الاول

دورانت، ودوريمان، والسيد جوردان، وموسيقيان، وموسيقية، وخادم.

دوريمان : هذه وليمة فاخرة، يا دورانت.

السيد جوردان : هل تسخرين مني، يا سيدتي، كم وددت أن تكون الاصناف أروع لتليق بك. (يجلس الجميع الى المائدة).

دورانت : يحق للسيد جوردان ان يتكلّم هكذا، يا سيدتي. وهو يكرمني بأن جعل كل شيء يناسب شرف زائريه. وانا أوافقه على ان هذه الوليمة ليست بمستوى مقامك. وبما انها جاءت بناءً على طلبي تجدين فيها مآكل لذيذة فريدة المذاق، وهذا دليل صادق على مقدرته بإرضاء جميع الاذواق. هذا الخبز طريف وليّن على الاسنان، ولحم الخروف هذا طري ومحشو لوزاً، وهذه الاحجال المدخّنة، وهذا الحساء المطبوخ بدجاجة حبشيّة، وهذه الطيور المحمّرة، وهذه النخبة من الخضروات والفواكه اللذيذة. ولا سيما هذا النبيذ الممتاز. حقاً، رتّب السيد جوردان، كما قال، كل شيء ليجعل المائدة تليق بضيفته الكريمة.

دوريمان : وانا لكي ابرهن على حسن ذوقه تراني آكل بشهية لا مزيد عليها.

السيد جوردان : ما انعم يديك، يا سيدتي.

دوريمان : اليدان لا تذكران الى جانب ماسة هذا الخاتم الرائعة.

السيد جوردان : وقاني الله، يا سيدتي، من الكلام عنها، إذ لا أكون حينذاك

رجلاً لائقاً، والماسة هي اقلّ ما يسع الرجل تقديمه لسيدة مثلك.
دوريمان : هذا لطف منك.
السيد جوردان : وانت لا حدود لكرمك وسموّ اخلاقك، يا سيدتي.
دورانت (**بعد ان أومأ للسيد جوردان**) : هيا، اسكبوا قليلاً من الخمرة للسيد جوردان ولهؤلاء السادة الذين سيسمعوننا أحلى أغانيهم.
دوريمان : فعلاً كل شيء كامل على هذه المائدة : الطعام والشراب، والموسيقى، وأنا مسرورة للغاية بها جميعاً.
السيد جوردان : يا سيدتي، هذا ليس إلّا...
دورانت : ارجوك يا سيد جوردان ان تصغي الى هؤلاء الفنّانين، لان ما يتحفوننا به من أنغام يستحق ان نستمع اليه بكل اشتياق.
(يتناول الموسيقيون والموسيقية أقداحاً، وينشدون معاً أغنيتين).
دوريمان : لا أظن أن أحداً يمكنه ان يغني بأصوات أرخم من هذه حقاً هذا جميل جدّاً.
السيد جوردان : أُقدّم لكِ، يا سيدتي، ما هو اروع منها.
دوريمان : نعم، ارى ان السيد جوردان رجل اكثر لياقة ممّا كنت اظنّ.
دورانت : وهل يمكن ان يكون السيد جوردان اقلّ مما يبدو عليه من الفطنة.
السيد جوردان : أتمنى ان تعتقد سيدتي اني عند حسن ظنها.
دوريمان : طبعاً انا الا اشك بذوقك السليم.
دورانت (**لدوريمان**) : انت لا تعرفينه بعد على سجيّته.
السيد جوردان : ستعرفني حتماً متى لمستْ ما اكنّه لها من التقدير والاعتبار.
دوريمان : هذا لا شك فيه.
دورانت : السيد جوردان رجلٌ جوابه دائماً على رأس لسانه. ولكن، ألا ترين، يا سيدتي، انه يأكل جميع القطع التي تلمسها اناملك الناعمة.
دوريمان : حقاً، يعجبني السيد جوردان في كل تصرفاته الظريفة.
السيد جوردان : لو استملت قلبكِ اليّ أكون...

المشهد الثاني

السيد جوردان والسيدة جوردان، ودوريمان، ودورانت والموسيقيين والموسيقية وخادم.

السيدة جوردان : هنا أجد الزمرة مسلّية، وارى ان هؤلاء لا ينتظرونني. اذاً لهذا السبب سعى السيد زوجي لإرسالي بكل اهتمام الى تناول الغداء الى مائدة شقيقتي. هناك حضرت حفلة مسرحية، وهنا أشاهد وليمة شيّقة. ها انا الآن ابصر بأمّ عيني كيف تنفق اموالك وتدعو السيدات الزاهيات اثناء غيابي الى وليمتك وتسمع مدعوّيك الأكارم موسيقى وتعرض عليهم مهزلة بينما ارسلتني انتَ الى مكان آخر.

دورانت : ماذا تقصدين بقولك هذا، يا سيدتي ؟ وماذا حملك على التصوّر ان زوجك الرصين يبدّد امواله ليرضي نزوته وذوق هذه السيدة الانيقة وشهيّتها. أرجوك ان تعلمي اني انا صاحب الدعوة، وانه اعارني منزله بناءً على طلبي لإقامتها فيه ليس الاّ.

فعليك اذاً ان تصوني لسانك وتنتبهي الى دفء حديثك قبل ان تكيلي له التهم الباطلة جذافاً.

السيد جوردان : نعم، نعم، يا طويلة اللسان. سيادة الكونت هو صاحب الدعوة. وهذه السيدة اللطيفة ضيفته هي من كبار الذوات. ولقد اولاني شرفاً عظيماً باختياره منزلي لإقامة وليمته الفاخرة هذه. وانا اعتبر تفضيله هذا معروفاً لا يقدّر بثمن.

السيدة جوردان : هذه ما هي إلاّ خزعبلات. فأنا أدرى بما يجري ها هنا.

دورانت : ارجوك يا سيدتي جوردان ان تضعي نظارات على عينيك لتبصري الامور على حقيقتها.

السيدة جوردان : انا لا أحتاج الى نظارات، يا سيدي. فالمسألة في غاية الوضوح منذ زمن طويل، انا اشعر بهذه الخفايا لاني لست بلهاء. ان ما يجري هنا لفي غاية الخساسة من قبل زوجي الأحمق الغبي. وانتِ يا سيدتي، هذا لا يشرفك حين تتسربين كاللص لتدخلي بيتي وبيت زوجي اثناء غيابي

وتسرقيه مني. انا على يقين بانه من عشّاقك.
دوريمان : ماذا تعنين بهذا الكلام البذيء ؟ هيا يا دورانت نذهب هل يعجبك ان أتعرّض لقارس إتهامات هذه السيدة الحمقاء.
دورانت : (**يتبع دوريمان وهي تخرج**) : الى اين انت مسرعة، يا سيدتي ؟.
السيد جوردان : سيدتي، سيدي الكونت، أرجوك أن تعتذر لها عني وتعيدها الى هنا.

المشهد الثالث

السيد جوردان : يا لك من وقحة. انكشف لؤمك وسوء ظنّك. اتيت في هذه اللحظة لتهينني وتصدمي قابليتي امام هذه المآكل الشهية.
(تُرفع المائدة).
السيدة جوردان (**وهي تخرج**) : **انا لا يهمّني ما تتبجّح به. أريد أن أدافع عن حقوقي، وساستعين بكل نساء العالم لأعيدك الى حدودك.**
السيد جوردان : الأجدر بك ان تتجنبي ثورة غضبي.

المشهد الرابع

السيد جوردان وحده

السيد جوردان : لقد وصلت اللعينة حين لم أكن انتظرها. كان مزاجي رائقاً وكنت على وشك ان أعلن أقوالاً حلوة، ولم اكن يوماً سعيداً مثل هذا النهار. فماذا دفعها الى هذه المباغتة ؟.

المشهد الخامس

كوفيال (متنكراً)، والسيد جوردان، وخادم.

كوفيال : يا سيدي، لست ادري إن كنت تعرفني.
السيد جوردان : لا، يا سيدي.
كوفيال (يمدّ يده الى ارتفاع قدمٍ عن الارض) : انا أعرفك منذ كان طولك بمقدار هذا الارتفاع.
السيد جوردان : تعرفني انا ؟.
كوفيال : نعم، نعم. وكنت أروع طفل في الكون. وكانت النساء يتهافتْنَ عليك نُمعانقتك وتقبيلك.
السيد جوردان : لتقبّلني انا ؟.
كوفيال : أجل. انا كنت صديق والدك المرحوم.
السيد جوردان : صديق المرحوم والدي ؟.
كوفيال : وكان المرحوم ألْطف النبلاء.
السيد جوردان : ماذا تقول ؟.
كوفيال : أقول وأؤكدّ أنه كان من أشرف النبلاء.
السيد جوردان : والدي انا ؟..
كوفيال : نعم، نعم.
السيد جوردان : انت عرفته ؟.
كوفيال : بكل تأكيد.
السيد جوردان : وعرفته كأحد النبلاء ؟.
كوفيال : بدون أدنى شكّ.
السيد جوردان : لم أعد أدري ماذا يجري ها هنا.
كوفيال : ماذا قلت ؟.
السيد جوردان : هناك أشخاص حمقي يصرّون على الإدعاء أنه كان تاجراً.
كوفيال : هو تاجر ؟ هذه نميمة لا تُغْتَفَر، لأنه لم يكن تاجراً مطلقاً. كل ما كان يفعله هو عمل الخير ومساعدة الغير. وكان خبيراً بالمنسوجات،

وكان يختار افضلها في كل بقعة من هذا الجوار، ويكدّسه في منزله ويقدّمها لأصحابه من الذوات لقاء دفعهم ثمنها.

السيد جوردان : سروري لا يوصف بمعرفتك، يا سيدي، لأنك تؤدّي هذه الشهادة الصادقة بان أبي كان من النبلاء.

كوفيال : انا مستعد لتكرار كلامي امام كل الناس.

السيد جوردان : سروري لا يوصف بمعرفتك، يا سيدي، لأنك تؤدّي هذه الشهادة الصادقة بان أبي كان من النبلاء.

كوفيال : انا مستعد لتكرار كلامي امام كل الناس.

السيد جوردان : هذا معروف كبير تسديه اليّ. والآن ماذا أتى بك اليّ ؟.

كوفيال : منذ عرفت المرحوم والدك، كما قلت لك، تجوّلت كثيراً في ارجاء العالم.

السيد جوردان : في جميع أنحاء العالم ؟.

كوفيال : اجل، يا سيدي.

السيد جوردان : اظن انك قطعت هكذا مسافات شاسعة.

كوفيال : بكل تأكيد. ولم اعد من رحلاتي البعيدة إلّا منذ اربعة ايام. وبما أني اهتمّ بكل ما يخصّك، جئت لأزفّ اليك احلى بشرى في الدنيا.

السيد جوردان : وما هي ؟.

كوفيال : انت تعلم ان ابن الآغا الكبير هو الآن هنا.

السيد جوردان : انا، لا علْم لي بذلك.

كوفيال : كيف لا تدري بالامر ؟ وقد أتى في موكب خطير وشاهده معظم الاهالي، واستقبلته الشخصيات البارزة استقبالاً رسمياً حافلاً نظراً الى علوّ مقامه الرفيع الشأن.

السيد جوردان : وحياتك، انا لم أعلم بقدومه.

كوفيال : المسألة الأهمّ بالنسبة اليك هي انه يهوى ابنتك.

السيد جوردان : من ؟ ابن الآغا الكبير ؟.

كوفيال : نعم، نعم. وهو مصمّم على ان يصبح صهرك.

السيد جوردان : صهري انا ؟ ابن الآغا الكبير ؟.

كوفيال : ابن الآغا الكبير يصرّ على ان يمسي صهرك. عندما ذهبتُ الى مقابلته، وانا أتكلّم جيداً لغته، تحدّث اليّ طويلاً. وبعد تبادل اللياقات والمجاملات وبعض الاراء، صرّح لي حرفيّاً : « أكيام كروك أوشى ألاَ مسطاف كيدا لوم اماناهيم فارا هيني أوسير كربولات ؟ » وهذا يعني : ألم يبصر أحد صبية حسناء هي ابنة السيد جوردان النبيل الاصيل ؟.

السيد جوردان : ابن الآغا الكبير صرّح بهذا عني انا ؟.

كوفيال : نعم. وحين اخبرته باني اعرفك معرفة خاصّة، واني رأيت ابنتك، بادر الى الاعلان لي قائلاً : « مارا بابا ساهيم » وهذا معناه : كم انا متدله بحبّها.

السيد جوردان : بحق اغلى ما لديّ في الدنيا، حسناً فعلت بأن أعلمتني بمجيئه وأنا لم أكن لأصدّق ان عبارة « مارا بابا ساهيم » تعني : كم انا متدلّه بحبّها. ما اروع هذه اللغة الراقية التي يتكلّمها ابن الآغا الكبير.

كوفيال : نعم هي أروع مما يمكن الانسان ان يتصوّر. وهل تدري ما معنى : كاكارا كاموش ؟.

السيد جوردان : أنّى لي ان اعرف ما معنى كاكارا كاموش ؟.

كوفيال : معناها : حبيبتي الغالية.

السيد جوردان : كاكارا كاموش معناها حقاً : حبيبتي الغالية ؟.

كوفيال : نعم، نعم.

السيد جوردان : هذا امر في الحقيقة رائع جداً جداً. « كاكارا كاموش » حبيبتي الغالية. وهل يعرف أحد غيري هذا التعبير الجميل ؟ يسرّني كثيراً ان أعرفه انا.

كوفيال : اخيراً لكي أتمّم رسالتي، أعلمك بأنه يرغب في المجيء اليك ليطلب منك ابنتك عروساً له، ويرجو منك ان تتكرّم عليه بقبوله كصهرك زوج ابنتك. وفي حال الايجاب طبعاً كما يأمل، سيمنحك لقب ماما موشي، وهذا شرف عظيم نادراً ما يُمنح في بلاده لمستحقيه.

السيد جوردان : ماما موشي.

كوفيال : نعم، ماما موشي، ومعناه في لغته الراقية : باشا، من النبلاء الاصلاء

القدماء، باشا. أخيراً تصبح انت باشا بلغته، وهذا اللقب ليس أنبل منه بين عظماء البشر.

السيد جوردان : ابن الآغا الكبير يُنعم عليّ انا بلقب هكذا رفيع الشأن ؟ ارجوك ان ترافقني الى مقرّه لأقدم له تشكراتي.

كوفيال : ماذا تقول ؟ هو الذي يريد أن يأتي لزيارتك هنا.

السيد جوردان : هو يريد ان يجيء الى هنا.

كوفيال : نعم، نعم. وسيصطحب معه كل ما يلزم يوم حفلة تقليدك هذه الرتبة العالية.

السيد جوردان : فضله اذاً كبير جداً عليّ.

كوفيال : لان حبه العميق لا يقبل أي تأجيل.

السيد جوردان : لكن ما يزعجني منذ الآن هو ان ابنتي عنيدة جداً. وأخشى ان لا ترضى به زوجاً، لأنها مولعة بحب شاب يُدعى كليبونت، وقد أقسمتْ ان لا تقترن برجل سواه.

كوفيال : ستغيّر رأيها عندما تشاهد ابن الآغا الكبير. ثم لا يغرب عن بالك ان هناك نقطة هامة للغاية ألا وهي ان ابن الآغا الكبير يشبه هذا المدعو كليبونت. لاني ابصرته منذ هنيهة حين دلّوني عليه. واعتقد ان حبها للشاب المذكور لن يلبث ان يتحوّل الى شخص هذا النبيل الأصيل الذي يشبه حبيبها. ها اني أراه يتقدّم نحونا.

المشهد السادس

كليبونت (متنكراً بزيّ ابن الآغا الكبير ومعه ثلاثة مرافقين يحملون له معطفه) **والسيد جوردان وكوفيال** (متنكراً أيضاً).

كليبونت : « أمبو ساهيم أوكي بوراف جوردانا سلاما ليكي ».

كوفيال (للسيد جوردان) **: هذا يعني : يا سيد جوردان أتمنى أن يكون**

قلبك طوال ايام السنة كوردة متفتّحة. وهذا كلام اعتاد على تبادله أهالي تلك البلاد.

السيد جوردان : أنا خادم مطيع في حاشية مولانا ابن الآغا الكبير.

كوفيال : « كاراكار كمبوتو أو ستين موراف ».

كليبونت : « اوستين يوك كانا ماليكي باسوم باز الاموران ».

كوفيال : يقول : الله يعطيك قوّة الأسود وحكمة الحيّات.

السيد جوردان : سموّ ابن الآغا الكبير يشرفني كثيراً بهذه التمنيات وانا اشكره عليها، واتمنى له مزيد السعادة والازدهار.

كوفيال : « أوسا بينامين سادوك بابالي أورا كاف أورام ».

كليبونت : « بيل مان ».

كوفيال (**يقول**) : لا بد لك من أن ترافقه لإعداد حفلة تقليدك اللقب ثم ليرى ابنتك ويتمّم عقد الزواج.

السيد جوردان : كل هذا الحديث الطويل مختصر بكلمتين فقط.

كوفيال : نعم، هكذا هي لغة الآغا الكبير، تعبّر عن أمور عديدة بكلمات وجيزة. هيّا بنا نذهب الى حيث يريد.

المشهد السابع

كوفيال وحده

كوفيال : ها، ها، ها. بذمّتي هذه مسألة غريبة. ما اسخفه من مخدوع. عندما يحفظ كلام دوره غيباً، يمكنه ان يبتلع الخدعة بصورة أفضل وأسهل.

المشهد الثامن

دورانت وكوفيال

كوفيال : ارجوك، يا سيدي، ان تساعدني على انجاز مهمتي في هذه القضية الهامة المستعجلة.

دورانت : ها، ها. من يسعه ان يعرفك في هذه الملابس التنكرية التي اتقنتها كل الإتقان.

كوفيال : هذا صحيح. ها، ها، ها.

دورانت : لماذا تضحك ؟.

كوفيال : أنا أضحك لان هذا الرجل الغبي يستحقّ ان نسخر منه اكثر مما نفعل الآن.

دورانت : لماذا ؟.

كوفيال : لان بلاهته تجعله لا يرى ابعد من أرنبة انفه، يا سيدي. وهذه الحفلة التي نلجأ اليها وسيلة لنحمل السيد جوردان على الرضى بزفّ ابنته الى معلمي.

دورانت : لم افهم بعد حبكة الحيلة. لكني اتوقّع مفعولها العجيب كأنها سحر ساحر. لانك انت دبّرتها بمهارتك المعهودة.

كوفيال : انا لا أجهل انك تعرف جيداً غباء صاحبنا الذي يهمه بالدرجة الاولى ان يرتفع الى مصافّ النبلاء.

دورانت : لكن، مع ذلك، أخبرني ما هي حبكة، الحيلة الخادعة ؟.

كوفيال : علينا ان ننسحب الآن الى مكان أبعد كي لا يسمعنا القادمون الى هنا فيمكنك ان تدرك فحوى القصة من مجرّد أن أطلعك على بعض تفاصيلها.

(تجري حفلة ترفيع القروي الى مصافّ النبلاء، ويدور الرقص على انغام الموسيقى، وهذا ما يشكّل الاستراحة الرابعة).

حفلة ابن الآغا الكبير

القاضي وابن الآغا الكبير والدراويش (ينشدون ويرقصون) والسيد جوردان (يرتدي زيّ الآغا وهو محلوق الرأس بدون عمامة ولا سيف).

اول دخول برقص السماح

يدخل ستة من حاشية ابن الآغا الكبير اثنين اثنين، على انغام الآلات الموسيقية وهم يحملون عالياً ثلاث سجادات بعد أن يكونوا قد رقصوا قليلاً. ويرقص رجال الحاشية، وهم يمرّون تحت السجادات، ويذهبون ليقفوا صفوفاً الى جانبي المسرح.

يبسط افراد الحاشية هذه السجادات أرضاً، ويركعون عليها. ويظل القاضي والدراويش واقفين في الوسط. وبينما يستمطر القاضي بركات السماء وهو ينحني عدة مرّات، بدون ان ينبس ببنت شفة، يساعد رجال الحاشية المنحنون الى الارض سيّدهم، ويرتلون، وهم رافعون ايديهم نحو السماء حتى نهاية الدعاء. ثم ينهضون وهم يواصلون ترنيمهم، ويهتفون : ما شاء الله، ما شاء الله. ويأتي درويشان بالسيد جوردان.

القاضي :.

ساتي سابير	وهذا يعني: اذا أنت علمت
تي ريْبوندير	ستستجيب
سانون سابير	واذا ما علمت
تازير تازير	لن تستجيب
مي إستار كادي	انت قاضي
تي كي إستارتي	انت نشيط
نون إنتا نْدير	لن تسمع
تازير تازير	ولن تستجيب

يدخل الدرويشان ومعهما السيد جوردان.

القاضي : ديس آغاكي إستاركيْستا   قلْ ايها الآغا من هذا ؟
أنا باتيسْتا أنا باتيسْتا   انا باتيستا انا باتيستا
الحاشية : يوك.   لا
القاضي : زوينْك ليسْتا.
الحاشية : يوك.   لا
القاضي : كوفيستا.
الحاشية : يوك.   لا
القاضي : هويسْتا، أوريسْتا، فْرونيسْتا.
هويست مور فرونيست.
الحاشية : يوك، يوك، يوك.   لا، لا، لا
القاضي : يوك، يوك، يوك إستار باكانالا، لا، لا يمكن ان يكون وثني
الحاشية : يوك   لا
القاضي : لوترينا   تحْتَجّ
الحاشية : لا   لا
القاضي : بوريتانا   نقي
الحاشية : لا   لا
القاضي : برامينا مومينا زورينا   برامين مومين زورين
الحاشية : يوك، يوك، يوك   لا لا لا
القاضي : ما براهْمانا   براهماني
الحاشية : أي فالا اي فالا   هيّا بنا، هيّا بنا
القاضي : كومو شامار. كومو شامارا   ما اسمه ؟ ما اسمه
الحاشية : جيوردانا، جيوردانا   جوردان، جوردان
القاضي : جيوردانا، جيوردانا، جيوردانا   جوردان، جوردان، جوردان
الحاشية : جيوردانا جيوردانا جيوردانا   جوردان، جوردان، جوردان
القاضي : اماهيميتا بير جيوردانا   أعطه عمامة واعطه سيفاً
مي بريْكار سيرا اي ماتينا   للدعاء صبحاً ومساءً
فالير فار اون بالادينا   مع سفينة ومراكب

دارتورْبانا إي دار سْكارسْينا والاستعداد لكل طارئ
كوكاسيرا إي باريستينا ونكون نحن المنتصرين
الدراويش : إستار بون آغا جيوردينا هكذا صار آغا، صاحبنا جوردان
اي فالا اي فالا هيّا بنا، هيّا بنا
القاضي : (ينشد ويرقص) هلا بابا لاشو بالا، بالا لادا

ثاني دخول برقص السماح

القاضي يضع على رأسه لاجل الحفلة عمامة كبيرة جداً مزينة بأربعة أو خمسة صفوف من الشموع المشتعلة يرافقه درويشان يحملان مجلداً ضخماً وقبعاتهما عاليتان مخروطتا الشكل عليهما شموع مشتعلة. الدرويشان الآخران يأتيان بالقروي الخائف من غموض الحفلة ويطلبان منه ان يركع على ركبتيه، ويداه مستندتان الى الارض بطريقة تجعل من ظهره مسنداً لمجلّد الضخم. يرسل القاضي دعاءات جديدة وهو يرقص حاجبيه ويفتح فمه بدون ان ينبس ببنت شفة ثم ينظر الى هنا وهناك، تارةً يخفض صوته بحنوّ وطوراً يرفع صوته بصخب، ويصرخ بحماس يرعد الفرائص. ثم يضع يديه على خاصرتيه كأنه يتكلم، ويضرب يده من حين الى آخر على المجلّد الضخم ويقلب صفحاته بعجلة. بعد ذلك يرفع القاضي يديه نحو العلاء ويهتف : هو، هو، هو

السيد جوردان (**بعد ان يرفع المجلّد الضخم عن ظهره**) أُفّ
القاضي : (للسيد جوردان) : تي نون استار فورْبا لن تكون خبيثاً
الحاشية : نو، نو، نو لا، لا، لا
القاضي : نون إستار مور فانْتا لن ترتكب اية حماقة
الحاشية : نو، نو، نو. لا، لا، لا
القاضي : دونار تورْبانا، دونار توربانا تُعطَى عمامة، تُعطَى عمامة
الحاشية : تي نون إستار فورْبا لن تكون خبيثاً
نو، نو، نو لا، لا، لا

نون إستار فورتانا — لن ترتكب اية حماقة
نو، نو، نو. — لا، لا، لا
دونار تورْبانا، دونار تورْبانا — تُعطي عمامة، تعطى عمامة

ثالث دخول برقص السماح

الحاشية : (ترقص وتنشد وتضع عمامة على رأس السيد جوردان، على انغام الآلات الموسيقية)
القاضي : (يعطي السيد جوردان سيفاً)
تي إستار نوبيلي — انت اصبحت نبيلاً
بيليار شيا بولا — خذ السيف، وهذه ليست اسطورة
الحاشية : (يحمل رجالها السيف بيدهم ويردّدون هذه الكلمات السابقة)

رابع دخول برقص السماح

الحاشية : (ترقص وتنشد على ايقاع الموسيقى ويلمس القاضي السيد جوردان برأس السيف)
القاضي : دارا دارا — ناولوه، ناولوه
بستونارا بستونارا بستونارا — بالقضيب، بالقضيب، بالقضيب

خامس دخول برقص السماح

الحاشية : (ترقص وتنشد وتلمس كتفي السيد جوردان بالسيف على ايقاع الموسيقى)
القاضي : نير تنير هونشْتا — لا تستحي
كوِشْتا إسْتار أولْتيما أفْرونْتا — هذه هي آخر مواجهة

يبدأ القاضي بدعائه الثالث. ويسند الدراويش ذراعيه باحترام. ثم تنشد الحاشية وترقص وتقفز حول القاضي.

(أخيراً ينسحب الجميع مصطحبين السيد جوردان).

الفصل الخامس

المشهد الاول

السيدة جوردان والسيد جوردان

السيدة جوردان : يا الهي ارحمني. ما هذه المهزلة ؟ ما هذه الحركات المهووسة ؟ هل هذه حفلة جنّ، ام حفلة تدجيل وتخفّي خلف الاقنعة ؟ تكلّم، قل لي ما هذا، وانت في هذا الوضع الزريّ ؟

السيد جوردان : ما اوقحك، يا امرأة، وما اشنع جهلك، وانت تحتقرين هكذا مقامي الرفيع برتبة ماما موشي.

السيدة جوردان : ماذا تقول ؟

السيد جوردان : نعم، عليك الآن ان تضاعفي احترامي لأني أصبحت في مصافّ نبلاء الماما موشي

السيدة جوردان : ماذا تعني كلمة ماما موشي ؟

السيد جوردان : ماما موشي تعني بلغتنا نحن : باشا.

السيدة جوردان : باشا ؟ وهل انت في عمر يسمح لك بهذه الخزعبلات الصبيانية.

السيد جوردان : يا لك من جاهلة. انا اقول باشا، يا جاهلة، باشا. وهذه رتبة سامية تستوجب مثل هذه الحفلة الفريدة التي شاهدتها الآن.

السيدة جوردان : اية حفلة تعني ؟.

السيد جوردان : حفلة اما هيميتا بير جوردانا.
السيدة جوردان : وما معنى هذه السماجات ؟.
السيد جوردان : جوردانا يعني انا جوردان زوجك.
السيدة جوردان : ماذا اصاب زوجي جوردان ؟.
السيد جوردان : فولار فار أون بالادينا دي جوردانا.
السيدة جوردان : ماذ تقول ؟ ماذا تقول ؟.
السيد جوردان : دار توربانا كون كاليرا.
السيدة جوردان : وما معنى هذه الثرثرات غير المفهومة ؟.
السيد جوردان : بير ديفانْزير باريسْتينا.
السيدة جوردان : قل لي بربّك ما هذا الهراء ؟.
السيد جوردان : دار دار بستونارا.
السيدة جوردان : ما هذه الثرثرة الغامضة التي تدلّ على هوس مؤسف ؟.
السيد جوردان : نون تينير هونْتا كويسْتا إسْتار اولْتيما أفْرونْتا.
السيدة جوردان : بربّك، قل لي ما هذه البلاهة الحقيرة ؟.
السيد جوردان (**يرقص وينشد**) : هو لا با، با لا شو، يا لا با، با لا دا. (ثم يسقط على الارض).
السيدة جوردان : واأسفاه عليك يا رجل. يا الهي، لقد فقد زوجي عقله.
السيد جوردان (**ينهض ويهمّ بالخروج**) : مهلاً، يا حمقاء، يا وقحة، يا جاهلة. احترمي زوجك السيد ماما موشي.
السيدة جوردان (**وحدها**) : اين أضاع عقله هذا المجنون. يجب علي ان اسرع وامنعه من الخروج في هذه الهيئة المخجلة. (وهي ترى دوريمان ودورانت) ها، ها. هذان هما البقية الباقية من زبانية الشيطان الرجيم. وأنا لا أجد حولي إلّا معالم الشرّ تحيط بي من كل جانب.

المشهد الثاني

دورانت ودوريمان

دورانت : اجل، يا سيدتي، رأيت احلى ما يتسنى للمرء ان يشاهده من المهازل. ولا يمكن ان يوجد في الدنيا رجل اكثر منه هوساً وبلاهة، ثم، يا سيدتي، لا بد من ان نسعى لنُصْرة حبّ كليبونت بمساندة هذه المهزلة التي ابتكرها بمساعدة كوفيال. انه حقاً رجل ظريف يستحقّ كل المناصرة والاهتمام بكل ما يهدف اليه ويسعده.

دوريمان : انا لست غريبة عن امانيه وأسعى دوماً لتحقيق حلمه.

دورانت : ما عدا ذلك، لدينا هنا يا سيدتي رقصة سماح علينا ان لا ندعها تفوتنا مشاهدتها. وسنرى ان كانت فكرتي قد كتب لها النجاح.

دوريمان : لمست هنا استعدادات رائعة وأموراً لا يسعني، يا دورانت، ان اتحمّلها. أجل، أريد أخيراً أن أوقفك عند حدّك. لاني لا أطيق ان تواصل مهزلتك، وان تتورّط بمصاريف تتكبدّها في سبيل ارضائي. لذا قرّرت ان تتمّ حفلة زفافنا قريباً جداً. لقد كشفت سرّ تصرفاتك على هذه الصورة، ولا بدّ لها من ان تفضي الى زواجنا في اقرب حين.

دورانت : آه، يا سيدتي، هل يسعني ان أصدّق انك اتّخذتِ هذا القرار النهائي العزيز على قلبي ؟.

دوريمان : انا لا غاية لي إلاّ ان أمنعك من تبذير اموالك اكثر مما فعلته حتى الآن في سبيل إدخال السرور الى قلبي. لأني اذا ما عجّلت في عقد القران سأراك حتماً عن قريب خاوي الجيب.

دورانت : كم انا مدين لك، لقاء اهتمامك بالمحافظة على رزقي الذي اضعه بين يديك، كما أودعت قلبي في كنف حبّك لتتصرفي بهما كما يحلو لك.

دوريمان : سأستولي على الاثنين معاً بحرص شديد. لكن أنظر الى صاحبك القادم بوجهه الصبوح المشرق.

المشهد الثالث

السيد جوردان، ودورانت، ودوريمان

دورانت : جئنا انا والسيدة لنقدّم احتراماتنا لك بمناسبة حصولك على هذه الرتبة الرفيعة، ونفرح أيضاً معك بزواج ابنتك وابن الآغا الكبير.

السيد جوردان (**بعد أن ينحني احتراماً على طريقة ابن الآغا الكبير**) : أتمنى لك يا سيدي قوّة الحيّات وحكمة الأسُود.

دوريمان : انا سعيدة بأن اكون بين اوائل من يأتون لتهنئتك بهذا المقام العالي الشأن الذي ارتقيت اليه.

السيد جوردان : وانا اتمنى لك يا سيدتي ان تكوني طوال ايام السنة كالوردة المتفتّحة. واشكرك جزيل الشكر على اشتراكك في تهنئتي بالشرف العظيم الذي نلته انا، ويسرني كثيراً أن أراك قد عدتِ إلى هنا لأقدّم لك اعتذاري المتواضع، على ما بادرْتك به زوجتي من قلة الاحترام والاكرام.

دوريمان : هذا لا يهمّ. أنا أعذرها على ما بدر منها من استهتار. لأن قلبك السموح يستحق التغاضي عن الأمور غير السارّة، وانا ابدي رغبتي في المحافظة على صداقتك كرجل فاضل رفيع المقام.

السيد جوردان : المحافظة على قلبي دليل حسن الذوق والتقدير.

دورانت : كما ترين، يا سيدتي، ليس السيد جوردان من المغرورين العميان، لأنه يعرف، وهو في قمة مجده، كيف يُجلّ ويُكرم الاصدقاء.

دوريمان : وهذا ايضاً دليل قاطع على رفعة اخلاقه وسعة كرمه.

دورانت : اين صاحب السموّ ابن الآغا الكبير. اننا نريد بصفتنا من اصدقائك ان نقدّم له فروض الاحترام والتهاني.

السيد جوردان : ها هوذا آتٍ. وقد أرسلت في طلب ابنتي لعقد قرانه عليها.

المشهد الرابع

كلييونت (متنكراً بلباس ابن الآغا) وكوفيال والسيد جوردان الخ

دورانت (لكلييونت) : جئنا لنقدّم لسموّك فروض الاحترام بصفتنا من اصدقاء حَميك، ونؤكّد لك ولاءنا ونعرض عليك خدماتنا.

السيد جوردان : بأي لسان تريدون ان تفهموه ما تودّون ان تبلغوه إياه ؟ لكي يردّ عليكم، سيكلّمكم بلغته الأجنبية التي يتحدث فيها بطلاقة. لكن أين ذهب واختفى هذا الوجيه الكبير ؟ (لكلييونت) : إستروف، إستريف إستراف. حضرته سنيور كبير، سنيور كبير جداً. وزوجته سنيورا كبيرة، سنيورا كبيرة جداً. (واذ يلاحظ ان لا احد يصغي اليه) آيْ. (لكلييونت وهو يشير الى دوارنت) ها هو، يا سيدي، هو ماما موشي بلدي، وهي ماما موشية بلديّة. ولا يمكنني ان أتكلّم بوضوح اكثر. ها هو الترجمان.

المشهد الخامس

السيد جوردان، ودوريمان، ودورانت، وكلييونت (بزي ابن الآغا الكبير) وكوفيال (متنكراً)

السيد جوردان : اين انتم ذاهبون ؟ لا يمكنني ان افوه بكلمة اثناء غيابك (يشير الى كلييونت) قل له من فضلك ان السيد والسيدة هما شخصان ممتازان أتيا ليقدّما له إحترامهما بصفتهما من اصحابي، ويؤكدا له أنهما في خدمته. (لدوريمان ودورانت) ستستمعان الى جوابه.

كوفيال : ألا بالا كروسيام أكْسي بورام ألا بامين.

كلييونت : كاتاليكي توبال أورين سوتير أما لوشان.

السيد جوردان (لدوريمان ودورانت) : هل فهمتما ؟.

كوفيال : يقول لكما : ان خير الارض من خير السماء، وأن المطر مصدر

الازدهار يسقي الحدائق التي تخصّ اسرتك ويكسوها بالاخضرار والازهار.
السيد جوردان : كما قلت لكم، هو يتكلّم لغة أجنبية لا نفهمها.
دورانت : هذا أمر مدهش يستحق الإعجاب.

المشهد السادس

لوسيل والسيد جوردان ودورانت ودوريمان وكليبيونت وكوفيال

السيد جوردان : تعالي يا ابنتي. إقتربي ومدّي يدك للسيد الذي يشرّفنا طلبه مني ان تقترني به.
لوسيل : ماذا تقول، يا ابي ؟ وما هذا التصرّف الغريب ؟ هل نحن مدعاة سخرية لنقوم بمثل هذه المهزلة الوضيعة.
السيد جوردان : لا، لا. هذه ليست مهزلة ولا سخرية، بل مسألة جدية للغاية وشرف عظيم لا مثيل له، اتمنّاه وأرجو تحقيقه (يشير الى كليبيونت) هذا هو الزوج الصالح النبيل الذي اخترته لك.
لوسيل : لي انا، يا أبي ؟.
السيد جوردان : نعم، نعم. هيّا أمسكي بيده ؟ واشكري السماء التي جادت عليك بهذه السعادة النادرة.
لوسيل : انا لا اريد ان اتزوّج.
السيد جوردان : ما هذا الكلام ؟ هيا، قلت لك، مدي يدك.
لوسيل : لا يا ابي، كما قلت لك، ليس من قوّة على وجه الارض تجبرني على الاقتران برجل غير كليبيونت. واني مستعدّة لكل الاحتمالات، إلا... (فجأة تعرف حقيقة شخص كليبيونت المتنكّر). صحيح، انت ابي وعليّ ان اطيعك، واستجيب كل رغباتك التي أعتبرها اوامر، انا مستعدة لتنفيذها بحذافيرها.
السيد جوردان : انا الآن اسعد الناس. اذ أراك قد عدت الى جادة الصواب

وعرفتِ كيف تمتثلين لمشيئة والدك، وتتمّمين واجبك. ويسعدني ان ألقى منك تجاوباً في تلبيتك طلبي وطاعة رغبتي.

المشهد السابع

السيدة جوردان والسيد جوردان وكليونت ولوسيل ودورانت ودوريمان وكوفيال

السيدة جوردان : ماذا أرى ؟ ما هذا الانقلاب ؟ يخيّل اليّ انك تريد الآن ان تزف ابنتك لممثل هزلي اعتبره انا مهرّجاً.

السيد جوردان : اطلب منك ان تصمتي، يا وقحة. فانت تأتين دائماً في الوقت غير المناسب لتهدمي ما ابنيه انا من المشاريع المفيدة. ولا أجد سبيلاً لأردّك الى الصواب والتعقل.

السيدة جوردان : بل أنت من لا أجد سبيلاً الى ردّك الى جادة الصواب والعقل. لانك تنتقل من هوس الى جنون مطبق. ماذا تريد الآن ؟ ولماذا تسعى الى جمْع هذين النقيضين ؟.

السيد جوردان : أريد أن ازفّ ابنتك الى ابن الآغا الكبير.

السيدة جوردان : الى ابن الآغا الكبير ؟.

السيد جوردان (**يشير الى كوفيال**) : نعم، قدّم يا هذا له الاحترام بالواسطة المعهودة.

السيدة جوردان : انا لا احتاج الى وسائط، بل أفضّل ان اخاطبه مباشرة، واقول له : انه لن يحصل على ابنتي ما دمت على قيد الحياة.

السيد جوردان : اخيراً، ألا تريدين ان تسكتي ؟.

دورانت : ماذا تقولين يا سيدتي ؟ هل تعارضين قبول شرف هذا الزواج السامي السعيد ؟ هل ترفضين ان يكون صهرك ابن الآغا الكبير ؟.

السيدة جوردان : يا الهي. لا تتدخل، يا سيدي، في ما لا يعنيك.

دوريمان : هذا شرف عظيم، ليس من المعقول ان ترفضيه وتحرمي منه ابنتك.
السيدة جوردان : يا سيدتي، ارجوك ان لا تهتمي بما هو غير مطلوب منك.
دورانت : الصداقة التي تربط بيننا وبينك تدفعنا الى الاهتمام بصالحك وعدم تفويتك هذه الفرصة النادرة لاسعاد ابنتك.
السيدة جوردان : انا في غنى عن صداقتكما.
دورانت : ها هيذا ابنتك توافق على تلبية طلب ابيها. فما قولك ؟.
السيدة جوردان : ابنتي توافق على الاقتران بابن الآغا الكبير ؟.
دورانت : بدون شك.
السيدة جوردان : وهل تستطيع ان تنسى حبيبها كلييونت ؟.
دورانت : ماذا لا تفعل المرأة لتصبح جدّة ؟.
السيدة جوردان : سأخنقها بيديّ إن هي أقدمت على هذا التصرف الجنوني.
السيد جوردان : هذه ثرثرة لا داعي لها. اكرّر عليك ان هذا الزواج سيتم حتماً.
السيدة جوردان : ما هذا الكلام السخيف ؟.
لوسيل : أمّاه.
السيدة جوردان : اراك قد أصبحت حمقاء لا تدركين صالحك.
السيد جوردان (**للسيدة جوردان**) : ماذا تفعلين، هل تشاجرينها لانها عملت بنصيحتي انا والدها.
السيدة جوردان : هي ابنتي، كما هي ابنتك.
كوفيال (**للسيدة جوردان**) : يا سيدتي، ارجوك.
السيدة جوردان : وما شأنك أنت في هذه القضية ؟.
كوفيال : اسمحي لي بأن أقول كلمة.
السيدة جوردان : لا لزوم لكلمتك.
كوفيال (**للسيّد جوردان**) : يا سيدي، اذا ارادتْ ان تستمع اليّ لأقول كلمة خاصة، اعدك بأن اجعلها ترضى وتقبل بما تريده انت.
السيدة جوردان : لن اقبل مطلقاً.
كوفيال : اصغي فقط الى ما اقول.

السيدة جوردان : كلا.

السيد جوردان (**للسيدة جوردان**) : اسمعي كلامه، يا امرأة.

السيدة جوردان : كلا، كلا، لن اسمع ابداً.

السيد جوردان : هو يريد أن يقول لك...

السيدة جوردان : كلا، لا أريد أن يقول لي حرفاً واحداً.

السيد جوردان : هذا عناد لا يطاق، يا زوجتي. وهل من ضرر ينوبك إن اصغيت الى كلمة يريد ان يقولها لك ؟.

كوفيال : ارجوك فقط ان تستمعي الى قولي. ثم افعلي ما يحلو لك.

السيدة جوردان : هيا، قل ما تريد ان تُسمعني اياه.

كوفيال (**على حدة للسيدة جوردان**) : منذ ساعة وانا أشير لك بيدي. ألا ترين ان كل هذه الرواية قد ابتكرناها لكي نسهّل لزوجك قبول مشروعنا، ونحن نحتال عليه بما لجأنا اليه من خدعة في حفلة تنكرية سريّة. في الواقع يا سيدتي، شخص ابن الآغا الكبير ليس سوى كليونت الذي توافقين على جعله صهرك زوج ابنتك لوسيل.

السيدة جوردان (**بصوت خافت لكوفيال**) : ها، ها. الآن فهمت.

كوفيال (**بصوت خافت للسيدة جوردان**) : وانا كوفيال واسطة تنفيذ هذه الحيلة التي تفتّق بها ذهن كليونت.

السيدة جوردان (**بصوت خافت لكوفيال**) : هكذا غلبتموني. وها انا استسلم لخدعتكم.

كوفيال (**بصوت خافت للسيدة جوردان**) : لا تبيّني على نفسك انك أدركت حيلتنا.

السيدة جوردان (**بصوتٍ عالٍ**) : لقد ازعنت للامر الواقع، وانا موافقة على هذا الزواج.

السيد جوردان : آه، اخيراً، عاد الجميع الى جادة الصواب (للسيدة جوردان) انت لم تريدي ان تستمعي اليه. وانا عالم جيداً انه شرح لك من هو ابن الآغا الكبير وما هو مقامه الرفيع الشأن، وأقنعك بفوائد قبوله كصهر يشرّف أسرتنا.

السيدة جوردان : اجل، لقد شرح لي الامر شرحاً وافياً، ورضيت بما كشفه لي من الحجج المقنعة. فما علينا الآن إلا استدعاء الكاتب العدل لينصّ عقد الزواج.

دورانت : هذا أفضل كلام سمعته حتى الآن. ويمكنك، يا سيدتي جوردان، ان تكوني مطمئنّة البال، وأن تطردي عنك كل الظنون والغيرة والشكوك التي اظهرتها نحو زوجك. وسأغتنم فرصة حضور الكاتب العدل لعقد قراني أنا أيضاً على هذه السيدة الكريمة.

السيد جوردان : اوافق انا أيضاً على هذا الزفاف.

السيدة جوردان (**بصوت خافت لدورانت**) : حسناً فعلت لتبديد أوهامها.

دورانت (**بصوت خافت للسيد جوردان**) : لا بد من تسليتها بهذه الحجة المصطنعة.

السيد جوردان (**بصوت خافت**) : طيّب، طيّب (بصوت عالٍ) ليذهب أي شخص ويستدعي الكاتب العدل.

دورانت : وبينما نحن ننتظر قدومه لينصّ العقدين معاً، تعالوا نتسلّى بمشاهدة رقص السماح البديع، ونُلهي صاحب السموّ ابن الآغا الكبير.

السيد جوردان : هذا رأي سديد. هيّا نجلس في أمكنتنا.

السيدة جوردان : اين نيكول ؟.

السيد جوردان : سأزفها، للواسطة، وتكون زوجتي هكذا راضية.

كوفيال : اشكرك، يا سيدي (على حدة) لو أمكنني ان ارى رجلاً اكثر منه هوساً لأعلنت ذلك على رؤوس الاشهاد.

(تُختتم المسرحية برقصة سماح معدّة بإتقان)

(**تمت**)

الكُونتِيسَ أسْكربينَاس

أشخاص المسرحية

الكونْتيس أَسكرْبَنْياس

الكونْت : إبنها.

الفيكونْت : عاشق جوليا.

جوليا : عاشقة الفيكونت.

السيد تيبوديه : مستشار، عاشق الكونتيس.

السيد هَرْبين : جابي الضرائب، عاشق الكونتيس الآخر.

السيد يوبينيه : أستاذ الكونْت الصغير.

أَنْدْريه : مرافقة الكونْتيس.

كريكية : خادم الكونْتيس.

الأحداث تجري في مدينة أنْكوليم (بفرنسا)

المسرحية ذات فصل واحد

المشهد الاول

جوليا، والفيكونْت

الفيكونت : ماذا جرى، يا سيدتي ؟ اراكِ هنا باكراً.

جوليا : نعم، عليك أن تحمرّ خجلاً، يا كليانْت. فليس من الشهامة أن يصل العاشق الى الموعد آخر الجميع.

الفيكونت : كنت وصلت منذ ساعة لولا وجود المزعجين في هذه الدنيا. فقد اوقفني اثناء الطريق أحد المتطفلين الثقلاء وطلب مني بإلحاح أخبار البلاط الملكي كي يتسنى له ان يعلمني بأنحس الانباء. وهذه واحدة من كوارث المدن الصغيرة التي يمثّلها هذا الشخص الغريب الاطوار الذي يهمه ان يجمع مثل هذه الاخبار وينشرها. فقد أراني ورقتَيْن مملوءتَيْن بالتوافه التي أكدّ لي أن مصدرها موثوق به. ثم قرأ لي بأبّهة حماقات الجريدة الهولندية، ثم غاص في تحليل تصرّفات الوزير. فخِلْت انه لن ينتهي من تلاوتها إلّا بعد ساعات، واذا سمعتِ أقواله تظنين انه واقف على جميع انجازات الوزارة اكثر من اي شخص سواه. وسياسة الدولة تهمّه اكثر من شؤونه الخاصّة. فيتدخّل في طولها وعرضها لتحليل المواقف العامّة. ثم يتطرّق الى المسائل الخفية التي تدور في المجتمع بين جيرانه وأصحابه، وينتقل الى القضايا الاوروبية بحماس واهتمام. وتصل ابحاثه الى مسائل

افريقيا وآسيا، وينتقد كل ما يجري في المجالس العليا من العامل يوحنا الى المسؤول الكبير.

جوليا : اراك تهتمّ به كأنه شخصية بارزة، وتروي حكاياته كأنه ركن من اركان الدولة.

الفيكونت : هو في الواقع، يا جوليا الحلوة، سبب تأخّري. مع اني لم أشأ ان أبدي أيّ عذر. وعلى سبيل المجاملة اصارحك بان هذا الموعد خلق موجباً لمعاقبتي كما يجري بين الزوج وربة المنزل. وهذا ما جعلني في الحقيقة ان لا اكون اول الواصلين الى هذا المكان. لأني لا أريد ان ينشب اي نزاع بين وبين المتطاولين. ومن جهة اخرى لم أشأ ايضاً ان اشترك في الجدل الذي يحرّض عليه من يعير أذناً صاغية هذه الكونتيس السخيفة التي تضايقني كلما وجدتها عندك. وبوجيز العبارة، أنا لا آتي الى هنا إلّا من أجلكِ أنتِ فقط. وأنا وطيد الامل بأن الْقاكِ حتماً في هذا المكان.

جوليا : انا أعرف انك لن تعدم وسيلة لتستر بالالوان الزاهية كل الأخطاء التي ترتكبها. مع ذلك لو جئت قبل نصف ساعة، لكنا استمتعنا اكثر بكل هذه الاويقات السعيدة. لأني عند مجيئي وجدت الكونتيس قد خرجت. ولا شك عندي انها ذهبت الى المدينة لتشاهد المسرحية التي ذكرت لي عنوانها.

الفيكونت : مهلاً، يا سيدتي، متى تريدين ان تضعي حدّاً لهذه المشاكسة، وتضطريني الى المجيء لكي أجدك هنا ؟.

جوليا : عندما يتمكّن أهلنا من الاتّفاق، وهذا أمر لا أجرؤ على تمنّيه، نستطيع ان نتقابل. أنت تعرف مثلي أنّ اسرتيْنا لا تسمحان لنا بأن نتلاقى في مكان آخر، وأن إخوتي وكذلك أبي لا يرضون مطلقاً ان يتعلّق احدنا بالآخر.

الفيكونت : لذا لا أرى سبباً لعدم تمتّعنا بمواعيدنا على انفراد في جلسة حميمة ابتهج بقضاء اوقاتها الممتعة ولو خلسةً بالقرب منك.

جوليا : ولإخفاء حبّنا بصورة افضل، لا اكتمك في الحقيقة اني أُسرّ بهذه الخلوات الحلوة وأرجو أن يكون اجتماعنا اليوم مسليا اكثر من سواه. فان

الكونتيس أَسْكَربنياس بما تبديه دوماً من عناد وإصرار، هي أقرب الى شخصيات المهازل التي نشاهدها غالباً على المسارح. والرحلة التي قامتْ بها الى باريس قد أعادتها الى مدينة إنْكوليم وهي اكثر انسجاماً مع نفسها. لان قربها من جوّ البلاط الملكي قد أضفى على سخافتها نكهة، ولا تزال حماقتها بازدياد مستمرّ.

الفيكونت : نعم، لكنك لا تعتبرين أن اللعبة التي تُلهيك تذيقني مرّ العذاب، واننا لا نستطيع إطالة اللعبة، عندما يكون قلبنا مشغولاً بقضية جدّيّة مثل التي تشغل فكري بهواكِ. لمن العصب، يا عزيزتي جوليا، ان نختلس هذه التسلية من حبنا هذه الليلة وقتاً مستساغاً يجدر بنا ان نستفيد منه لتوطيد علاقاتنا الغرامية. فقد نظمت بعض الاشعار ولا يسعني إلّا ان أتلوها عليك لتسمعي دقات قلبي المغرم بك من خلال كلمات تُعتبر أصدق تعبير عن مشاعري ولقد مضى وقت طويل علي، يا إيريس وأنا أتعذّب.

وهنا لاحظي اني استخدمت اسم ايريس بدل جوليا للتمويه.

لقط مضى وقت طويل عليّ يا ايريس، وأنا أتعذّب.
وإن خضعت لشرع هواك، فأني أَلُوم فكري المتعب.
لأنك تجبرينني على كتمان الآلام التي تنتابني.
وأنا أشكو علّة أعرف ان حبك فيها يقلقني.
هل لعيونك الجميلة الساحرة.
أستطيع ألّا أستسلم لأسباب قاهرة.
فإن صدّك يؤرقني، وبعدكِ يتلفني.
كأن الجفاء ينوي أن يذوبني.
ها هوذا هواكِ قد ملأ فؤادي.
كفاك ان تستهتري بعواطفي وتنادي.
ان لا حيلة لك في تسبيب سهادي.
حبك يذكي لهيب أشواقي.
وأنت لا تأبهين لفراقي.
رحماكِ متى يحين التلاقي ؟

جوليا : اراك تبالغ في اتهامي بأني أُسيء التصرف تجاهك. لكن ما توجّهه اليّ من اللوم والعتاب، لهو لغة أتقنها الشعراء الذي يطلبون المزيد ولا يرتوون، وهم ينسبون الى حبيباتهم أبشع الصفات الوحشية زوراً وبهتاناً. مع ذلك أرجوك ان تكتب لي هذه الابيات على ورقة وتعطيني اياها.

الفيكونت : يكفيك ان تسمعيها وأن نقف عند هذا الحدّ. لأني لا اريد أن تتمعّني فيها وتُمعني بالتالي في تعذيبي مجدّداً.

جوليا : عبثاً تريد ان تخفّف وطأة كلامك الجارح. فالجميع يعلمون مقدرتك وحدّة لسانك اللاذع. فلماذا تريد ان تلطّف لهجتك وانت لا تكفّ عن مهاجمتي ؟.

الفيكونت : الفيكونت : يا الهي ما هذا الحديث، يا سيدتي ؟ دعينا نتجاوز هذا الأخذ والردّ لئلا نصل الى ما لا يرضينا وما لا تُحمد عقباه. فأنا أتشبّث بحبك، وأنتِ لا تقلّين عني هياماً بي. وكلانا لا نودّ أن نصبح مضغةً في افواه اللائمين اذا بلغت اقوالنا مسامعهم.

جوليا : ما بك، يا فيكونت. مهما قلت فيّ، ومهما شكوت من تحفّظي حيالك، سأظلّ كما تعهدني صديقتك التي لا تقوى على الابتعاد عنك، ولا تطيق صبراً على الغياب عنك.

الفيكونت : أنا، يا سيدتي ؟ هل تسخرين منى ؟ انا لست شاعراً كما تظنين لكي... ها هي سيدتي الكونتيس أسْكربنياس. لأني أفضّل أن أخرج من ذاك الباب كي لا أَلْتقي بها. وانا ذاهب الى أصحابي لألهو بعض الوقت.

المشهد الثاني

الكونتيس، وجوليا، واندريه، وكريكيه

الكونتيس : يا الهي. كيف جئت وحدك ؟ ما بك تأتين وحيدة على غير عادتك ؟ يُخيَّلُ اليّ أن أحداً قال لي إن الفيكونت عندك.

جوليا : صحيح، لقد أتى الى هنا. لكنه عندما لم يجدكِ، ما لبث ان ذهب.
الكونتيس : اذاً، شاهدك.
جوليا : نعم.
الكونتيس : ولم يكلّفك بأن تقولي لي أية كلمة.
جوليا : كلا، يا سيدتي. من مجيئه فهمت انه يودّ ان تعلمي مدى السحر الذي تسلّطه عليه عيونك وقد وصفها بالساحرة.
الكونتيس : حقاً أريد أن اعاتبه على هذا التصرف. مهما كان حبه لي شديداً اريد ان اثبت له أني لست كسائر النساء المفتريات اللواتي لا يأنفن ان يظهرن فتنة جمالهن واستبدادهن لا سيّما أمام حاسداتها من بنات حوّاء.
جوليا : لا يجوز لك، يا سيدتي، ان تتعجّبي من هذا الاسلوب. فالحب الذي تخصّينه به ظاهر للعيان، والجميع يوجّهون اليك نظرات الإعجاب.
الكونتيس : أنا لا أستاء عندما أرى تأثير شخصيتي على من يحيطون بي. وأشكر الله الذي حباني هذه الصفات الفريدة. ولكن ما لا أطيقه هو أن لا يُراعي الرجال شعور باقي السيدات من حولي. ماذا تفعل هنا، يا كريكيه ؟ أوَليس من مكان غير هذا تمكث فيه وتظلّ قريباً لكي يناديك من يحتاج اليك ؟ غريب حقاً أن لا أجد في الأرياف خادماً يعرف واجباته. الى من اوجّه كلامي ؟ هيا اذهب من هنا، أيها الغبي، وانتِ أيتها الفتاة اقتربي مني. بماذا تأمرني سيدتي ؟.
الكونتيس : خذي قبعتي وضعيها بلطف في مكان لائق.
اندريه : نعم، يا سيدتي. كما تشائين.
الكونتيس : مهلاً، لقد تسرّعت بانتزاعها عن رأسي هكذا. كوني اكثر مرونة. خذي ايضاً هذا « الشال » ولا تدعي طرفه يلامس الأرض. وخذي هاتين القطعتيْن الى خزانة ثيابي. الى اين انت ماضية ؟ وماذا تريدين أن تفعلي بهما ؟.
اندريه : أن آخذهما الى الخزانة، حسب طلبك.
الكونتيس : تبّاً لك من غبيّة. قلت لك أنْ تأخذيهما الى خزانة ثيابي أنا.
اندريه : هل لك في البلاط خزانة خاصة، يا سيدتي ؟.
الكونتيس : نعم أيتها الحمقاء. الخزانة هي المكان الذي تُحفظ فيه الملابس.

اندريه : سأتذكّر ذلك، يا سيدتي. وكذلك مخزنك الذي تُسمينه خزانة.
الكونتيس : ما أصعب تثقيف مثل هذه الحيوانات العديمة الفهم.
جوليا : كم أنا مسرورة، يا سيدتي، بأن تتلطّفي وتفرضي النظام هنا.
الكونتيس : هذه الفتاة، هي ابنة مرضعٍ كانت في خدمتي، وهي لا تزال في طور التمرين.
جوليا : هي ليّنة العريكة، يا سيدتي، ومن السهل تعويدها على التصرفات اللائقة.
الكونتيس : هيّا، ايها الخدام، اجلبوا لنا مقاعد، هيّا. في الحقيقة، امر لا يطاق ان لا يجد الانسان خدماً يفهمون ويلبّون طلب المقاعد. أيتها الفتاة، ايها الخدم، أين انتم ؟. ما هذا الاهمال ؟ أُلاحظ ان لا حياة لمن أُنادي، وأخشى أن نذهب نحن لجلب مقاعدنا.
اندريه : ماذا تريدين، يا سيدتي ؟.
الكونتيس : هل يتحتّم عليّ أن أبحّ صوتي وأنا أناديك ؟.
اندريه : كنت اضع قبعتك و « شالك » في الخزانة يا سيدتي.
الكونتيس : نادي الخادم الغبي كريكيه.
اندريه : ايها البليد، تعال.
الكونتيس : أتركي هنا بليدك، يا بلهاء، ونادي خادماً غيره.
اندريه : يا كريكيه، لا، أنت أيها البليد تعال وكلّم السيدة. أظنّ أنه أصمّ يا كريكيه، يا كريكيه.
كريكيه : بماذا تأمرين ؟.
الكونتيس : أين كنت، ايها المحتال ؟.
كريكيه : في الشارع، يا سيدتي.
الكونتيس : ولماذا كنت في الشارع ؟.
كريكيه : سيادتكِ قلتِ لي أن أخرج.
الكونتيس : تبّاً لك من أبله. عليك أن تفهم أن الابتعاد لا يعني الذهاب الى الشارع، بل الى مكان قريب داخل المنزل لتسمع متى نناديك. يا اندريه يجب عليك ان تطلبي من سائق عربتي ان يضرب هذا الغبي لكي

يعرف كيف يتصرف في المرة القادمة. حقاً هذا الاحمق عديم الذوق.

اندريه : من هو سائق عربتك، يا سيدتي ؟ هل هو المعلم شارل مَن تسميه سائق عربتك ؟.

الكونتيس : اصمتي، ايتها الحمقاء. أنت لا تنطقين كلمة بدون ان تتفوّهي بسخافات مزعجة. اين المقاعد ؟ لماذا اشعلت شمعتين فقط في هذه القاعة الواسعة ؟ لقد أصبح الوقت متأخّراً. لماذا تنظرين اليّ بمثل هذه البلاهة ؟.

اندريه : سيدتي...

الكونتيس : ما بك ؟ قولي حالاً.

اندريه : إنّ...

الكونتيس : ماذا ؟.

اندريه : لم يعد لدينا من شموع.

الكونتيس : ماذا تقولين ؟ الم يعد لدينا من شموع ؟.

اندريه : كلا، يا سيدتي. إلّا اذا كنت تعنين هذه الشموع المصنوعة من الشحم.

الكونتيس : تبّاً لكِ من بلهاء. أين هي الشموع المصنوعة من الشمع العسلي التي بعثتِ كريكيه واشتراها منذ يومين ؟.

اندريه : انا لم ابصرها، يا سيدتي.

الكونتيس : اغربي عن وجهي، أيتها الحمقاء البلهاء. لا بد من إعادتك إلى أهلك. إجلبي لي قدح ماء. هيّا أسرعي. (تقوم بعدّة حركات كأنها تريد أن تجلس).

جوليا : سيدتي.

الكونتيس : ما بكِ، يا سيدتي.

جوليا : يا إلهي. هل سيدتي ؟...

الكونتيس : حقاً ماذا تريدين، يا سيدتي ؟.

جوليا : يا الهي. ما هذا، يا سيدتي ؟.

الكونتيس : آه، يا سيدتي...

جوليا : نعم، يا سيدتي.

الكونتيس : اذاً، يا سيدتي.
جوليا : هيا، هيا، يا سيدتي.
الكونتيس : نعم، يا سيدتي.
جوليا : ماذا، يا سيدتي ؟.
الكونتيس : انا هنا كأني في بيتي. ونحن كلتانا متفقتان علىٰ ذلك. هل تظنّين اني قادمة من الارياف، يا سيدتي ؟.
جوليا : معاذ الله، يا سيدتي.
الكونتيس : ايتها الخادمة الشقية، هل أشرب بصحن الفنجان ؟ هل قلت لك اجلبي لي ماءً بصحن الفنجان لأشرب، أم بالقَدَح ؟.
اندريه : ما معنى صحن الفنجان، يا كريكيه ؟.
كريكيه : صحن الفنجان ؟.
اندريه : نعم.
كريكيه : لا أعرف.
الكونتيس : هل تتغابيان كلاكما امامي ؟.
اندريه : لا نعرف، لا انا ولا هو، يا سيدتي، ما هو صحن الفنجان.
الكونتيس : إعلما اذاً ايها الجاهلان، ان صحن الفنجان هو الصحن الذي يوضع عليه قدح الماء. لتحيا باريس، لأنها تحوي أمثالكما. حقّاً ألاحظ انكما تفهمان بالاشارة وبغمزة عين. تبّاً لغبائكما. ان رأس كلٍ منكما يشبه رأس البقر. هل فهمتما الآن ما هو صحن الفنجان ؟.
اندريه : هذا سهل تعلُّمه. (تكسر اندريه الصحن)
الكونتس : ما هذا الطياشة ؟ طبعاً ستدفعين ثمن الصحن الذي كسرته.
اندريه : اذا اردت، يا سيدتي، سأدفع ثمنه.
الكونتس : تبّاً لك من غبية.
اندريه (**وهي ذاهبة**) : يا سيدتي، سأدفع ثمنه، وأنا لا أحب الشجار.
الكونتس : اذاً إذهبي من أمامي، يا محتالة. في الحقيقة، أمر بنات المدينة غريب عجيب، لا يعرفن شيئاً ولا يحترمن اصحاب المقامات العالية. لقد قمت بثلاث زيارات، حيث كدت افقد صوابي من قلّة الاعتبار الذي لقيته هناك.

جوليا : اين تريدين ان يتعلّم هؤلاء المساكين، وهم لم يسافروا الى باريس.
الكونتس : أين يمكن تعويد الفوضويّين ان يعيشوا بترتيب ونظام ويحترموا الاشخاص الذين يليق بهم كل تقدير وتبجيل. ولكن المشكل هو أن هؤلاء الخدام يريدون ان يتعلموا ويتصرّفُوا مثلي أنا بعد ان قضيت مدة شهرين في باريس، وشاهدت كل ما يجري من لياقات في البلاط الملكي.
جوليا : هم في الواقع بُلَداء تعساء.
الكونتس : هم لا يُطاقون، ويصرّون على معاملة الجميع على قدم المساواة بدون مراعاة التفاوت بينهم في المستوى والمراتب. انا افهم أن هناك فرقاً شاسعاً بين تربيتنا العريقة وعيشتهم البذيئة. لا بدّ من وجود أُجراء للقيام بالاعمال الوضيعة. لكن ما يزعجني ويغضبني هو أن أرى رجلاً مكث في المدينة منذ يومين أو وقتاً طويلاً، ويتغابى مدّعياً انه أصبح من الذوات نظير المرحوم زوجي الذي عاش في الارياف، وكان لديه مجموعة كلاب صيد سريعة وقد اكتسب لقب كونت وكان يذكره في كافة العقود التي يوقّعها.

جوليا : لا شك في أن أهالي باريس يعرفون كيف يتصرفون جيداً في منازلهم الفخمة التي يذكرها الناس هنا ويقدّرونها ويعجبون بها. فهناك قصر « موهي » يا سيدتي، وقصر ليون، وقصر هولندا. ما أحلى وأفخم هذه القصور الرائعة.

الكونتس : هذا صحيح. هناك ايضاً فروق شاسعة بين منازل هذه الجهات وقصور باريس التي يرتادها علّيّة القوم الذي لا يتأخّرون عن تقديم الاحترام الذي يليق بصاحبه. هناك لا تنهض السيدات عن مقاعدهن. وحين يريد الكبار ان يتسلّوا، لديهم رقصات الباليه في أوبرا « بسيشيه » التي تأخذ بمجامع القلوب.

جوليا : أعتقد، يا سيدتي، انك اثناء مكوثك في باريس، اكتسبتِ مودّة كثيرٍ من الاشخاص، الممتازين.
الكونتس : يمكنك ان تصدّقيني، يا سيدتي، اني لفتّ انظار المتأنّقين الظرفاء، وهم يكادون يطرقون بابي كل يوم. وانا الآن احفظ في صندوق صغير

جميع رسائلهم اللطيفة التي وجّهوها اليّ وهي حافلة بالثناء والإطراء. ويسعك ان تتصوّري كم من العروض والتلميحات رفضت، ولست بحاجة لذكر اسماء أصحابها المرموقين. فأنت ادرى من سواك بمن يتردّدون على البلاط الملكي.

جوليا : أنا متعجبة، يا سيدتي، ان تكون الاسماء الرّنانة التي يُخيَّل اليّ اني سمعت بها من أمثال السيد تبيوديه المستشار القانوني، والجابي السيد هربين، وغيرهم. لكنني لا أنكر أن الفرق شاسع بين هذه الجهات وتلك. فإن السيد الفيكونت مع انه فيكونت في الارياف لا في باريس، لقبه دائماً مشرّف ونبيل، ويستطيع ان يذهب الى باريس متى شاء، رغم انه لم يسافر ولا مرة الى هناك لكن ذوي رتبة المستشار والجابي هما من العشاق المتوسّطين بالنسبة الى من تحمل لقب كونتيس.

الكونتس : الذوات هم أشخاص لا بدّ من مداراتهم واحاطتهم بالاعتبار اللائق في الارياف. لانهم يملأون الفراغ في المجاملة أمام عدد كبير ممّن يخطبون ودّ السيدات. ومن المستحسن، يا سيدتي، ان لا ندع عاشقاً واحداً يستأثر بالساحة خشية ان يستبدّ بالمتودّدين، إذا خلا له الجوّ لأن الحب في مثل هذا الوضع يغط في سبات عميق، إذا لم يجد منافساً او منافسين لبثّ روح الحماس في المزاحمة الشيّقة المرغوبة.

جوليا : انا اعترف لك، يا سيدتي، بأن هناك مجالاً مستحبّاً تجدر الاستفادة منه. في الحقيقة مثل هذا الجو المرح مدرسة يتقن فيها الانسان الاحاديث الطلية. وانا اداوم باستمرار كي أتعلّم في كل مرة أطرف المستجدّات.

المشهد الثالث

كريكيه، والكونتيس، وجوليا، واندريه، وجانو

كريكيه : ها هوذا جانو، خادم سيدي المستشار، قد جاء يطلب مقابلتك، يا سيدتي.

الكونتس : وماذا يريد هذا المحتال ؟ هذا غبي آخر نظيرك، لأنه لو كان أذكى ممّا هو، لكان تقدّم وهمس في اذن الآنسة التي ترافقني لتقترب مني بكل ادب ولطف وتهمس بدورها في اذن سيدتها قائلة : يا سيدتي جاء خادم السيد فلان، ويودّ ان يقول لك كلمة. فتجيبه السيدة : دعيه يدخل.

كريكيه : ادخل، يا جانو.

الكونتس : هذه سماجة أخرى. ماذا تريد أيها الخادم ؟ وماذا تحمل بيدك ؟.

جانو : يا سيدتي، سيدي المستشار، يبلغك تحياته قبل أن يأتي لزيارتك. وقد أرسل معي لك من أجاص جنينته بصحبة هذه الرسالة.

الكونتس : هذا رجل سليم الذوق، ظريف لطيف. يا اندريه، خذي هذه السلّة الى غرفة المائدة. وهذه اكرامية لك، يا غلام.

جانو : لا لزوم لذلك، يا سيدتي الكريمة.

الكونتس : خذ ولا تتردّد.

جانو : سيدي حرّم علي أخذ أيّة اكرامية، يا سيدتي.

الكونتس : لا بأس. خذ ما أعطيك اياه.

جانو : أعذريني، يا سيدتي.

كريكيه : خذ، يا جانو. وإن كنت لا تريدها. يمكنك ان تعطيني إيّاها.

الكونتس : قُل لسيدك إني أشكره شكراً جزيلاً.

الخادم : أعطني ما أخذت.

جانو : ما أغباك أيها الأبله.

الخادم : أنا ألْححت عليك لكي تأخذها.

جانو : كنت أخذتها بدون مداخلتك.

الكونتس : إن ما يعجبني في السيد تيبوديه هو معرفته كيف يعيش ويتعاطى مع الاشخاص الممتازين. وهو يكنّ لهم التقدير والاحترام.

المشهد الرابع

الفيكونت، والكونتيس، وجوليا

الفيكونت : يا سيدتي، جئت أنبّهك الى ان المسرحية أوشكت أن تصبح جاهزة، وبعد ربع ساعة سننتقل الى القاعة.

الكونتس : أنا لا أريد أن اسمع اية ضجة. فأَوْعِزوا الى حارسي أن لا يدع أحداً يدخل.

الفيكونت : في هذا الحال، يا سيدتي، أعلن لك أني لا أريد مشاهدة المسرحية. اذ لا يسرّني ان اكون في جوٍّ عددُ اشخاصه قليل. صدّقيني اذا أردتِ حقّاً أن تتسلّي، أُوْصي جماعتك ان يَدَعوا كافّة سكان المدينة يدخلون.

الكونتس : ايها الخادم، أحضر مقعداً. لقد جئت، يا سيدتي، في وقتك لتحظى بهدية صغيرة أودّ أن أقدّمها لك. هذه هي رسالة تلقيتها من السيد تيبوديه الذي ارسل بصحبتها سلة إجاص. ولا بأس إن شئت أن تقرأها لأني لم اشاهدها بعد.

الفيكونت : هذه الرسالة مكتوبة باسلوب سلس، يا سيدتي، ويجدر بالانسان ان يستمع اليها (يقرأ) : سيدتي، لم أكن استطيع ان أقدّم لك الهدية المتواضعة التي ابعث بها اليك لولا أني أجني من حديقتي ثماراً اكثر مما أجنيه من حبي.

الكونتس : هذا دليل قاطع على ان ليس بيننا علاقة تستحقّ الذكر.

الفيكونت (**يواصل القراء**) : الإجاصات لم تنضج بعد تماماً. لكنها تنسجم وخشونة طبعك الذي نظراً الى ما تتصفين به من الإزدراء، لا يبشّرني بإجاصات ناضجة. فكوني على يقين، يا سيدتي، اني بدون أن أعدّد مزاياك العالية وخصالك الحميدة التي تدفعني الى التقدم باستمرار، أكتب اليك هذه الكلمة لأفيدك اني صريح جداً حتى ان الاجاصات التي أبعث بها اليك هي بادرة مبادلتك الشرّ بالخير أي اني أشرح لك، يا سيدتي، بصورة

مقتضبة، وضعي ازاءك، بما اني أقدّم لك إجاصات نصف ناضجة بدل مبادراتك الحافلة بالتحكّم والشراسة التي أتلقّاها كل يوم مِن قِبَلك.

صديقك الودود

تيبوديه

هذه، يا سيدتي، رسالة تستحقّ الحفظ لتلاوتها من حين الى آخر.

الكونتس : فيها بعض كلمات لا تليق بمستوى المجمع اللغوي، لكني استشفّ منها احتراماً فائقاً يعجبني.

جوليا : الحق معك، يا سيدتي ويا سيدي الفيكونت، وإن كانت تحوي ما يغيظ، أتمنى أن يكون لي من يكتب مثلها.

المشهد الخامس

السيد تيبوديه، والفيكونت، والكنتيس، وجوليا، واندريه، وكريكيه.

الكونتس : اقترب، يا سيدي تيبوديه، ولا تخفْ أن تدخل. وصلتني رسالتك اللطيفة مع إجاصاتك اللذيذة. وها هي السيدة تكلّم عنك خصمك.

تيبوديه : انا اقدّر لطفها، يا سيدتي، واذا اتّفق لها ان ترفع قضيّة الى مقامنا، سترى اني لن أنسى المعروف الذي أسدته اليّ بمجيئها الى منزلك بصفتك محامية بارعة تدافعين عن اشواقي.

جوليا : أنت لست بحاجة الى محام يدافع عنك، يا سيدي، لان قضيّتك عادلة ومحقّة.

تيبوديه : على كل حال، يا سيدتي، حتّى الحقّ الصريح يحتاج الى مساعدة في موضوع الافتراء عليّ ومحاولة إحلال منافسي محلّي، على ان لا تجتذب السيدة حسنات الفيكونت هكذا.

الفيكونت : أتمنى شيئاً آخر، يا سيدي تيبوديه قبل رسالتك اللطيفة. ولكني خائف على حبي.

تيبوديه : ها هما بيتان من الشعر، يا سيدتي، أو بالحري مقطعان نظمتهما إكراماً لك وثناءً على فضائلك.

الفيكونت : انا لم اظنّ يوماً ان السيد تيبوديه شاعر. وها هما بيتان آخران يضيفهما الى ما نظمه لك سابقاً.

الكونتس : هما في الحقيقة تحفتان. ايها الخادم، ناولني مقعداً لأُجْلِس عليه السيد تيبوديه. هذا مقعد صغير، ايها الحيوان الحقير. مع ذلك تفضل، يا سيدي تيبوديه، من فضلك إجلس، ثم أسمِعنا مقطعيك الجديدين المشوّقين.

تيبوديه : شخص مرموق،
متوتّر محروق
انا احبه
لكني أُلومه
على شموخه

الفيكونت : لقد ضعضعت تفكيري بهذه الكلمات.

الكونتس : اول بيت جميل للغاية : شخص مرموق.

جوليا : اعتقد أن ذلك بديع. ويقتضي الانسان أن يحوز على شهادة عالية ليأتي بمثل هذه الفكرة الرائعة.

الكونتس : هات المقطع الثاني.

تيبوديه : لست ادري ان كنت تشكّين بحبي الكامل
لكني لا اعلم ان كان قلبي الى شخصك مائل
ينوي مغادرة مقره الحزين
ليذهب احتراماً ويناجي قلبك الامين
بعدئذ أكون وثقت بحنانك
وانا كلي إيمان بصدق وفائك
لتؤكّدي بدورك حسن النيّة
عليك إظهار اهليتك للكونتيّة
فتخلعي عنك ثوب النمرة الشرسة
وتموّهي دوماً كوامن النفس الأبيّة

الفيكونت : ها اناذا قد اقتلعت عواطفي من جذورها وأحللتك محلها، يا سيدي تيبوديه

الكونتس : لا تظن انك تهزأ بي في إشعارك التي نظمتها في الريف، وهي في غاية الروعة.

الفيكونت : ماذا تقولين، يا سيدتي ؟ وهل أنا من طبيعتي ان أهزأ ؟ مهما كان خصمي لدوداً إني أجد هذه الأشعار ممتازة. وأنا لا أعتبرها مقطعين، كما قلت، بل قصيدتين اروع بما لا يقاس روحاً ونصّاً مما نظمه سواك من الفطاحل، مثلاً « مرسْيال »

الكونتس : ماذا تقول ؟ هل ينظم « مرسْيال » اشعاراً ؟ كنت أظن انه لا يتقن سوى صنع القفازات.

تيبوديه : لا أعني « مرسيال » الذي تعرفينه، يا سيدتي، بل « مرسْيال » آخر هو المؤلف الذي عاش منذ ثلاثين او اربعين عاماً.

الفيكونت : السيد تيبوديه يتذوّق تلاوة نتاج المؤلفين كما تلاحظ، يا سيدي. لكن تعالي نذهب يا سيدتي، علّنا نرى إن كانت موسيقاي ومسرحيتي، مع حلقات رقص الباليه ستتفوق في نظرك على هذين المقطعين والرسالة التي اطلعنا عليها منذ هنيهة.

الكونتس : لا بد لولدي الكونت من ان يكون بين المجتمعين. لانه جاء هذا الصباح من قصري برفقة استاذه الذي اراه ها هنا.

المشهد السادس

السيد بوبينيه، والسيد تيبوديه، والكونتيس، والفيكونت، وجوليا، واندريه، وكريكيه.

الكونتس : مهلاً، يا سيدي بوبينيه، واقترب منا.

بوبينيه : بلّغ سلامي جميع الحاضرين الشرفاء. ماذا تريد سيدتي الكونتيس

أسْكرْبنياس من خادمها الأمين ؟.

الكونتس : في أية ساعة ذهبت، يا سيدي بوبينيه، من منطقة اسْكرْبنْياس بصحبة ابني الكونت.

بوبينيه : في تمام الساعة الثامنة وخمسة وأربعين دقيقة، يا سيدتي، حسب الأوامر التي أصدرتها في حينها.

الكونتس : كيف حال إبنيَّ الآخريْن، المركيز والضابط.

بوبينيه : هما والحمد لله بصحة جيدة، يا سيدتي.

الكونتس : اين الكونت ؟.

بوبينيه : هو في غرفة نومك الجميلة، يا سيدتي.

الكونتس : وماذا يفعل السيد بوبينيه ؟.

بوبينيه : يكتب موضوعاً، يا سيدتي، كنت أمْلَيْته عليه منذ فترة رداً على رسالة شيشرون.

الكونتس : دْعه يأتي، يا سيدي بوبينيه.

بوبينيه : حالاً، يا سيدتي، حسب أوامرك.

الفيكونت : هذا السيد بوبينيه، يا سيدتي، مظهره يدل على التروّي والتبصّر. وأظن أنه حادّ الذكاء، عالي الثقافة واسع الإطّلاع.

المشهد السابع

الكونتيس، والفيكونت، والكونت، والسيد بوبينيه، والسيد تيبوديه، وكريكيه

بوبينيه : هيّا، يا سيدي الكونت، هيّا بيّن لنا انك استفَدْتَ من المستندات القيّمة التي وصلتك. تحياتي لجميع أعضاء المجلس.

الكونتس : ايها الكونت، ارجوك أن تحيّي السيد المستشار.

تيبوديه : انا مسرور، يا سيدتي، لأنك أذنتِ لي بمعانقة ابنك سيدي الكونت. اذ لا يمكن أن نحب جذع الشجرة بدون أن لا نحب أغصانها.

الكونتس : يا الهي. أيها السيد تيبوديه، ما هذه المقارنة التي أتيت على ذكرها هنا.

الفيكونت : هذا نبيل صغير أُضيف الى عالم النبلاء.

جوليا : ومن قال إن لسيدتي إبناً كبير السنّ كهذا ؟.

الكونتس : مع الاسف، عندما ولدته كنت صغيرة السن لم أبدأ بعد ان ألعب بالدمية.

جوليا : إنه أقرب إلى كونه أخيك، لا إبنك.

الكونتس : يا سيدي بوبينيه، أرجوك ان تعتني جيداً بتربيته وثقافته.

بوبينيه : يا سيدتي، لن أُهمِل أبداً ما ينمّي ثقافة هذا الإبن الفتي، ما دمت صاحبة الفضل، وقد كلّفتني بالسهر على سلوكه، وسأجتهد أن أزرع وأنمّي بذور الفضيلة في صدره.

الكونتس : يا سيدي بوبينيه، أرجوك أيضاً ان تعوّده على استخدام المجاملات التي تعلمه إياها.

بوبينيه : هي باللغة اللاتينية، وتشكل اول قاعدة وضعها جان ديبوتار.

الكونتس : أرجوك ان تعْلَمَ أن جان ديبوتار مستهتر. من فضلك علّم ولدي لغة لاتينية أشرف من هذه.

بوبينيه : اذا شئت، يا سيدتي، دعيه يكمل ما بدأه، والقاموس يشرح له معاني الكلمات.

الكونتس : لا، لا. دعه يتعلّم ما هو مشروح كفاية.

كريكيه : أفادنا الممثلون ان المسرحية أضحت جاهزة.

الكونتس : هيا اذاً نجلس على مقاعدنا. ها هي السيدة التي حدّثتك عنها، يا سيدي بوبينيه.

الفيكونت : لا بد من القول إن هذه المسرحية لم تكتمل إلّا بعد ان جمعت شتى القطع الموسيقية والرقصات التي تؤمّن التسلية والتي...

الكونتس : سنرى النتيجة الآن. لأن هذه الامور تحتاج الى ذهن متوقّد لإدراك فحواها.

الفيكونت : من فضلك أبلغهم أن يبدأوا. لا بدّ من منع كل مزعج من الدخول خشية تشويش هذه الحفلة الترفيهيّة.
(في هذه الأثناء يباشر العزف على آلات الكمان برهةً ريثما يجلسن جميع الحاضرين).

المشهد الثامن

الكونتيس، والكونت، والفيكونت، وجوليا، والسيد هرْبين، والسيد تيبوديه (وهو يجثو عند قدمي الكونتيس)، والسيد بوبينيه، واندريه

هربين : في الحقيقة، المنظر جميل، وأنا مسرور بمشاهدة ما يجري.
الكونتس : يا سيدي الجابي، ماذا تقصد بكلامك هذا ؟ هل يجوز أن تأتي لتشويش مثل هذه المسرحية ؟.
هربين : يا سيدتي، أنا مسرور جداً بهذه الحفلة لأنها تتيح لي أن أرى ما أودّ أن أبصره فيك، وأوقن بأنك تمنحينني قلبك، وقد أقسمت أن يظل أميناً لي.
الكونتس : حقاً لا أعتقد ان أحداً يأتي لمقاطعة المسرحية، والتشويش على ممثلين يتقنون ادوارهم ويبرعون في الإلقاء.
هربين : أؤكد لك ان المسرحية الحقيقية هي التي تُمثَّل هنا في القاعة لا على خشبة المسرح. ولنفرض اني أشوش عليكم فهذا لا يهمني كثيراً.
الكونتس : في الواقع، أنت لا تعي ما تقول.
هربين : هذا صحيح. وأنا عالم بذلك جيداً. أجل أعرفه حق المعرفة و ...
الكونتس : تبّا لك يا سيدي، ما اسوأ ظنّك وحلفانك باطل هكذا.
هربين : إن وجدت هنا بعض السوء، فليس ما تلفظت به أنا من سُباب بل ما اتيتيه انتِ من افعال قبيحة. كان الأجدر بكِ أن تحلفي برأسكِ وذمّتكِ عوضاً عمّا فعلته انتِ وسيدي الفيكونت.
الفيكونت : لست أدري، يا سيدي الجابي، مِمَّا تشكو أنت، واذا...
هربين : ليس لديّ ما اقوله عنك، يا سيدي الأحرى بك ان تواصل شكواك.

وهذا امر طبيعي لا أستغربه ابداً. وأطلب منك العفو اذا كنت قد قاطعت مسرحيتك. لكنك لن تجد غريباً أن اتشكّى أنا من هذا التصرف. فكلانا أصبنا بما اتيناه مع صنيع.

الفيكونت : لا اعتراض لديّ على ذلك. ولست أعرف موضوع تزّمرك من السيدة الكونتيس أسْكرْبنْياس.

الكونت : عندما يكون الانسان مستاءً بدافع الغيرة أوْ الحسد، لا يتصرّف بتاتاً هكذا، بل يذهب الى المحبوب ويشكو له ما يضايقه.

هربين : انا أشتكي بلطف.

الكونتس : نعم، لا أحد يصرح ويضجّ أثناء تقديم المسرحية، بل يُبدي ما لديه أن يقوله على حدة.

هربين : انا قادم الى هنا خصّيصاً، لأن المكان يلائمني. وأنا مسرور بكونه مسرحاً عامّاً لكي أُذيع على الملأ حقائقك غير المشرّفة.

الكونتس : وهل كان ضرورياً إحداثك كل هذا الصخب أثناء تمثيل المسرحية التي قدّمها لي السيد تيبوديه، وهو يحبّني كأخيه، ويحترمني اكثر منك بما لا يقاس.

هربين : السيد تيبوديه يحترمك كما يحلو له. ولست أدري بأي أسلوب يعاملك هذا المحتال. لكن بالنسبة اليّ مثلاً أنا غير مستعد أن أدفع له أجْر العازفين ليدعو الآخرين الى الرقص على انغامهم وعلى حسابي.

الكونتس : في الحقيقة، يا سيدي الجابي، يبدو لي أنك لا تفكّر بما تقول. فلا سبيل الى معاملة النساء الممتازات على هذا النحو. ومن يسمع تصريحك يظن أن بيني وبينك أموراً فظيعة.

هربين : ارجوك ايتها الكونتس أن تنهي هذا الحديث.

الكونتس : ما تقصد « بإنهاء الحديث » ؟.

هربين : أعني أني لا أجد غرابة في تقديم واجب الاحترام للسيد الفيكونت. فأنت لست أوّل امرأة تمثلين هذا النوع من الخلق، والى جانبك سيدي الاستاذ الذي نبتزّ كلانا عاطفته ومحفظة نقوده، لدى اول فرصة يتسنّى لنا اغتنامها. ولكن ألاَ تري عجباً هكذا ان لا اكون المخدوع إزاء امانة

عاديّة بالنسبة الى غانية مغناجة لا يجود بها الزمان إلّا نادراً. وأنا آتي لأؤكد لك بصدق أمام شخص محترم اني مصمّم على قطع كل صلة بك، وأن سيدي الجابي لن يكون من الآن وصاعداً هو من يسدّد الحساب.
الكونتس : هذا رائع. وبما ان العشّاق الغَضْبى أضحوا زيّاً قائماً بذاته لم نَعُد نرى سواهم اينما كنّا. مهلاً، مهلاً، يا سيدي الجابي دع عنك غضبك وتعال اجلس معنا لنشاهد المسرحية.
هربين : أأنا أجلس ؟ معاذ الله. أنا أتركك، يا سيدتي الكونتيس، بصحبة السيد الفيكونت وأرسل إليه تحاريري من الآن وصاعداً. انتهتْ حفلتي بعد أن مثّلت دوري فيها على ما يرام وأنا دائماً في خدمتك.
تيبوديه : يا سيدي الجابي، سنلتقي في غير هذا المكان وسأُثبت لك أني دائماً أستعمل الكلمة الجريئة والريشة الماهرة.
هربين : الحق معك، يا سيدي تيبوديه.
الكونتس : اما انا فأكاد أذوب خجلاً من هذه المهزلة.
الفيكونت : تبّاً لأهل الغيرة والحَسَد، يا سيدي، لأنهم تعوّدوا أن يخسروا دعواهم وهم يسمحون لذواتهم بقول كل ما يعجبهم. والآن دعونا نشاهد المسرحية.

المشهد التاسع والاخير

الكونتيس، والفيكونت، والكونت، وجوليا، والسيد تيبوديه، والسيد بوبينيه، وأندريه، وجانو وكريكيه

جانو : هذه الرسالة، يا سيدي، طُلب مني ان أسلّمك إياها.
الفيكونت (يقرأ) : إذا كان عليك إتّخاذ بعض الاحتياطات، أعلمني سريعاً. فإن شجارات أهلك وأهل جوليا قد سُوِّيَت منذ هنيهة، وشروط الاتفاق تقتصر على اقترانك بها. عِمْتَ مساءً. من الغرابة، يا سيدتي، أن تنتهي مسرحيتك على هذه الصورة.

جوليا : ما أسعدني، يا فيكونت. هل كنت أجسر على الأمل بأن يـؤول حبي الى هذه الخاتمة السعيدة ؟.

الكونتس : ماذا جرى ؟ وما معنى قولك هذا ؟.

الفيكونت : هذا معناه، يا سيدتي، أن جوليا ستُزفّ إليّ. وأنتِ لا تصّدقين هذا الواقع. ولكي تلمسي الحقيقة الأكيدة وتري مسرحيّتك أنت أيضاً ناجحة، عليك أن تقترني بالسيد تيبوديه، وتزفّي الآنسة اندريه الى كريكيه، فيمسي خادمها الأمين الى أبد الآبدين.

الكونتس : ماذا تقول ؟ هل تسخر من شخص رصين مثلي ؟.

الفيكونت : يا سيدتي، .بدون أن أقصد إزعاجك، هذه هي الخاتمة المأمولة بالمسرحيّات التي تُمثّل حولنا في هذا العالم العجيب الغريب.

تيبوديه : هذا يشرّفني، يا سيدي.

الفيكونت : بعد اكتمال التدابير السارّة، تعالي، يا سيدتي، رغم عدم رضاك على ما يحدث، نواصل مشاهدة بقيّة المسرحية التي تمثّل أمامنا ها هنا.

(تمت)

مَرِيضُ الوَهْم

تَعريب:
أنيس عزيز الحداد

أشخاص المسرحية

أرغان	: مريض الوهم.
بلين	: زوجة ثانية لأرغان.
أنجليك	: بنت أرغان حبيبة كليانت.
لويزون	: صغيرة أرغان شقيقة أنجليك.
بيرالد	: شقيق أرغان.
كليانت	: حبيب أنجليك.
ديافواريوس	: طبيب.
توماس ديافواريوس	: إبنه، عاشق أنجليك.
بورغون	: طبيب أرغان.
فلوران	: صيدلي.
بنّفوا	: الكاتب العدل.
توانيت	: جارية.

الفصل الأول

المشهد الأوّل

أرغان (قاعداً وحده في الردهة أمامه طاولة وهو يعدّ نبذات أجزائية برقعٍ مرقّمة مخاطباً نفسه بهذا الحديث):

أرغان : ثلاثةٌ وإثنتان، خمسة؛ وخمسة، عشرة؛ وعشرة، عشرون. ثلاثةٌ واثنتان، خمسة؛ صُولَ « فما فوق الرابع والعشرين، حقنةٌ يسيرةٌ ميسِّرةٌ مُليّنةٌ مُرطِّبةٌ منعشةٌ بطنَ السّيد ». ما يروقني في بنود السّيد فلوران الصيدلي أنّها نبذاتٌ رقيقةُ الحاشية جداً. « أحشاء السّيّد بثلاثين قرشاً »، أجل أيّها السيّد فلوران ما كلّها حكاية دماثة بل تعقّلٌ لا سلخٌ للمرضى. « غسولٌ بثلاثين » ! جُعِلْت لك خادماً لقد أفدتك عنها، إنّك لم تُقَيّدْها عليّ بنبذاتٍ أخرى إلّا بعشرين. وما العشرون سوى لغة بالصّيدلة لعشرة قروش، هاكها العشرة. « علاوةً على اليوم المذكور، حقنةٌ مضبوطةٌ مطهّرةٌ مزيجُ تركيبةٍ مثنّاةٍ قوامُها عسلُ الوردِ من لاوند وسواه بموجب الوصفة إيّاها لكنْس وشطف وتنظيفِ مَعدة السيّد بثلاثين صُوْلاً. عن إذنك بعشرة. « وعند المساء، علاوةً على اليوم الآنف، الذكر، نتفةُ مهدّئ ومزيجُ منوّم لاغفاءةِ السيّد ». خمسةٌ وثلاثون صُوْلاً، ما لا اعتراض عليه، لأنّه يغفّيني حسناً. عشرةٌ، خمسةَ عشرَ، ستّةَ عشرَ، سبعةَ عشرَ صُوْلاً وستّةُ أذْنِيَة. « وما فوق الخامس والعشرين عشبةٌ طيّبةٌ غسولٌ مُقوٍّ مزيجاً من طازج القرفة والخردل المشرقيّ وسواه بمقتضى وصفة الوصّاف السيّد بورغون لطرد ما في مرارة السّيد وتفريغها، أربع ليرات ». يا

لها من سخافةٍ أيّها السيّد فلوران، عليك بالمرضى لمعاشرتهم، إنّما السيّد بورغون لم يضرب على يدك لتسجيل الفرنكات الأربعة. سجّلها، سجّل ثلاث ليرات من فضلك. عشرون، وثلاثون صُوْلاً. « وعلاوةً على اليوم الآنف الذكر مقدارٌ من مسكّن الوجع وعقولٍ لإراحة السيّد، ثلاثون صُوّلاً ». حسناً ... عشرة صُوَلٍ وخمسةَ عشرَ. « علاوةً على السّادس والعشرين، حُقنةٌ للتّفريجِ عنه لطردِ رياحِ السيّد ثلاثون صُوْلاً ». عشْر صُوَلٍ أيّها السيّد فلوران. « علاوةً على السّابع والعشرين، علاجٌ لتسريع الخروج وطلق الأخلاط الفاسدة خارجاً من السيّد. ثلاث ليرات ». حسناً عشرون صُوْلاً وثلاثون حسْبي أنّك متعقّلٌ. « وما فوق الثّامن والعشرين جرعة من مُصالةٍ مصفّاةٍ محلّاةٍ لتلطيف وتليين دم السيّد لتعديله وإنعاشه عشرون صُوْلاً، حسناً، عشرةَ صُوَلٍ « علاوةً عليها مقدارٌ من مركبٍ رقيقٍ مانعٍ من إثنتي عشرة حبةً لمصل التّرياق بشراب اللّيمون والرمّان وغيرها بمقتضى الوصفة، خمس ليرات ». رويدك أيّها السيّد فلوران، من فضلك، إن بقيت على هذا المنوال لن يعود أحدٌ يستسلم لمرضٍ من بعد. تكفيك الفرنكات الأربعة. عشرون وأربعون صُوْلاً. ثلاثةٌ وإثنان، خمسة؛ وخمسة، عشرة؛ وعشرة عشرون؛ ثلاثٌ وستّون ليرة؛ أربعة صُوَل وستُّ أذْنِيَة. بالتّمام والكمال للشّهر الجاري، علاجٌ واحدٌ إثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستّة، سبعة، ثمانية علاجاتٍ عولجْتها. ثمّ غسلةٌ واحدةٌ إثنتان، ثلاث، أربع، خمس، ست، سبع، ثمانٍ تسعَ عشرةْ؛ إحدى عشْرة وثنتا عشْرةَ شَطْفةً وفي المنصرمِ إثنا عشَرَ علاجاً وعشرين شطْفةً لا عجب إن كنت أُردأ حالاً في هذا الشهر ممّا كنتُ عليه في ذاك لأُفاتِحنّ به السيّد بورغون ليتدبّر الأمر. هلمّوا فارفعوا لي هٰذا كلّه. لا أحد في الدار ؟ عَبثاً أوصيْهم، إنّهم يتركونني وحدي. وما من وسيلةٍ لضبْطِهم هٰهنا.

(يقرع ناقوساً لينادي قومه).

أرغان : إنّهم أبداً لا يسمعون، وناقوسي لا يثير طنطنة كافيةً.

(درلن درلن درلن).

لا فائدة.

(درلن درلن درلن).

بهم الصّمم ... توانيت

(درلن درلن درلن).

هٰذا وكأنّي ما قرعت أبداً. الكلبة الخرقاء.

(درلن درلن درلن).

صِرْتُ كَليباً.

(يكفّ عن قرع الجرس فيأخذ ينادي :)

(درلن درلن درلن)، أيّتها الحقيرة، صحبتك الأبالسة أيجوز أن يُترك العليلُ المسكينُ هٰكذا وحيداً. (درلن درلن درلن) يا إلٰهي إنّهم تخلّوا عنّي لأفطس هٰهنا (درلن درلن درلن).

المشهد الثاني

توانيت وأرغان

توماس ديافواريوس (**داخلاً إلى الردّهة**) : لبّيك، أمْثُلُ بين يديكْ.

أرغان : يا لكِ من كلبة ! تبّاً لكِ من لئيمة.

توماس ديافواريوس (**متظاهراً بتلقّيه لطمةً في رأسه**) : تبّاً لنفاذ صبركَ، لا تنفكّ لجوجاً بالناس حتّى وجدتُني أُلْطم رأسي أيّما لطمة بزاوية المصراع.

أرغان (**مستشيطاً غضباً**) : يا لكِ من خائنة !..

توانيت : (لا تنفك عن التأوّه مقاطعة إيّاه، لئلّا يتمادى بالصّراخ) : أوْهِ !

أرغان : ... صار لكِ ...

أوْهِ !

أرغان : ساعةً ...

توانيت : أوْهِ !

أرغان : فارقتني ...

توانيت : أوْهِ !

أرغان : صَهْ يا فاجرة كَيْما أنازِعُك.

توانيت : صحيح، لحاكَ الله، أُسايرك بعدما آذيْتُ نفْسي !
أرغان : حنجرتي جرّحتها يا دنئية.
توانيت : رأسي خدشته، هٰذا ما فعلت بي، وهٰذه بتلك كما آرتأيْت.
أرغان : ماذا يا دنيئة ...
توانيت : عنّفني لأبكي ...
أرغان : تغادرينني يا خائنة !...
توانيت (**لمقاطعته أبداً**) : أوْه ِ !
أرغان : أنت تنوينَ، يا كلبة ...
توانيت : أوْه ِ!
أرغان : ماذا ! ألا يُتاح لي أنْ أُفرِّج عنّي بالشِّجار معها !
توانيت : شاجرْني ما طاب لك، فبودِّي أن نتنازَع.
أرغان : تمنعينني عنه يا كلبة بمقاطعتك إيّاي كلّما نويتُ عليه.
توانيت : إن رمْتَ شِجَاراً رمْتُ عويْلاً ولكلٍّ ما يحلو له فلا بأس عليه.
أرغان : هيّا ينبغي أن تستغني عنه، إنزعي لي إيّاه يا دنيئة إنزعيه (ينهض من مقعده) أما أُجْريتُ بالحقنة ِ اليوم ؟
توانيت : الحقنة ؟
أرغان : أجل، أمنا رشحتْ مرارتي بالصَّفراء قدْراً وافياً ؟
توانيت : حسبي أني لا أحشر نفسي في مثل هٰذه الأمور وما على السيّد فلوران إلّا أنْ يدسَّ أنفه هو حيث يستجدي له نفعاً.
أرغان : لينصرفوا إلى تجهيز السامِطِ الثاني لي لأزاوِلَه بعدَ حين.
توانيت : بطيبة ِ خاطر يتعهّدُ السيّدان فلوران وبورغون جسمكَ ويتّخذان مِنْك بقرةً حلوباً ولِسوف أسألُهُما أنا ما هي علّتك لما يجهّزان ِ به حضرتك من عقاقير هائلة !
أرغان : إخرسي أيّتها الحمقاء، لا شأن لك بالوصْفات الطبّية لتراقبيها. عليّ بابنتي أنجليك عندي لها ما أقوله.
توانيت : ها هي آتية بنفسها ــ لقد حزرتْ ما يدور بخلَدِكَ.

المشهد الثالث

أنجليك، توانيت، أرغان.

أرغان : هلمّي أنجليك، جئتِ في الآوان المناسب وكنتُ ألتمس محادثتك.
أنجليك : جاهزة لسماعك.
أرغان (**يهرول الى الطَّست**) : مَهْلاً، هاتي لي عصايْ عسايْ أرجع حالاً.
توانيت (**ساخرةً منه**) : أسرعْ سيّدي تيسَّرْ فلوران يخلّف لنا من الحوادث حوادث.

المشهد الرابع

أنجليك، توانيت

أنجليك (**بنظرة خفيضة تسرّ إليها بطرف خفي**) : توانيت !
توانيت : ماذا ؟
أنجليك : تفرّسي فيّ قليلاً.
توانيت : حسناً تفرّست.
أنجليك : توانيت !
توانيت : حسناً ماذا « توانيت » ؟
أنجليك : أنجليك أما حزرتَ قَطُّ مَنْ أقصد بكلامي !
توانيت : أخشاه فيما حزرت؛ فتانا العاشق فحوله تدور أحاديثنا برمّتها في الأيام الستّة. ولستِ على ما يرام إن لم تعنيه ِ في كلّ ساعة !
أنجليك : طالما عرفت ذلك فما بالك لا تكونين الأولى بمفاتحتي به، ولم لا توفّري عليّ عنا زجّك في الموضوع ؟
توانيت : أنت لا تمهلينني مهلة، ثمّ إنّك تديرين بالك للأمور بحيث يَصعب استدراكها عليك.

أنجليك : أقرّ لك أنّي لا أفترّ عن التحدث إليك عنه ... وبكلّ حميّة يغتنم فؤادي كلّ سانحة لمفاتحتك به. ألا بحقّك هل تؤاخذينني يا توانيت، لمشاعري نحوه.

توانيت : لا شأن لي ...

أنجليك : أمذنبةٌ أنا بانقيادي لهٰذه التأثيرات العذبة ؟

توانيت : لا شأنَ لي لادعائه.

أنجليك : أوَ تريدينني أن أتجاهل نعشات الهوى المضطرم الذي يبثّني إيّاه ؟

توانيت : معاذَ الله !

أنجليك : رويدك، بحقك، ألا تُلْفين مثلي شيئاً سماويّاً، بل شيئاً قدريّاً في مغامرةٍ قاهرةٍ تسوقنا صاغرين إلى التّعارف بيننا ؟

توانيت : بلى !

أنجليك : ألا تُلْفين بادرته، لاعتناقه المدافعة عنّي، بادرة رجلٍ شهمٍ نبيلٍ وهو لا يعرفني أو يكاد ؟

توانيت : بلى !

أنجليك : وأن لا مروءَة لأحد كمروءَته ؟

توانيت : بالتمام.

أنجليك : وأنّه إنّما يؤدّيها بأظرف أساليب الدّنيا ؟

توانيت : بلى، نعم، (أجلْ، بجلْ).

أنجليك : ألا تُلْفين، يا توانيت، أنّه كامل الأوصاف شخصياً ؟

توانيت : بكلّ تأكيد.

أنجليك : وأنّ أبهى ما في الدّنيا بهاءَ طلعته ؟

توانيت : بلا ريب.

أنجليك : وأنّ على كلماته ولفتاته مسحةَ النُّبْل ؟

توانيت : هٰذا أكيد.

أنجليك : وأنّه لا ينمو إلى المسامع إطلاقاً ما هو أشدُّ رقّةً ممّا يُلقيه على مِسْمَعَيْ.

توانيت : هذا صحيح.

أنجليك : وأنّه لا أمضَّ من كبتٍ يُطْبِقُونَه عليّ ممّا يسدُّ كلَّ تحرّقٍ للواعجِ هوىً عذبةٍ بها ألْهمْتَنا السّماء ؟
توانيت : الحقُّ معْكِ.
أنجليك : عزيزتي توانيت المسكينة، أوَ تخالينَ أنّه يَعْشقني بقَدْر ما يصرّحُ لي به ؟
توانيت : زِه، زِهْ هي أمورٌ عرضةٌ للحِسْبان فعَبْسات العشق تنمّ عن واقعَ الحال فقد صادَفتُ في هٰذا الشّأن مُقلّدين كباراً.
أنجليك : إيه يا توانيت، بم تتفوَّهين ؟ واحسرتاه ! أمِنْ أسْلوبه سرّاً، يمكن ألّا يصْدُقني جهْراً ؟
توانيت : على كلّ حالٍ، قريباً تتوضّح كل الأمور، وعمّا سطّره لك من عزمٍ على إرساله طلبَهُ للزّواج منك؛ برهانٌ ساطعٌ تَسْتشفّينَ منه إنْ قال صدْقاً أو العكس.
أنجليك : آه يا توانيت ! إنْ خدعني هٰذا فلنْ أصدِّق آمرأ، مدى الحياة.
توانيت : هوذا أبوك وقد عاد أدراجه.

المشهد الخامس

أرغان، أنجليك، توانيت

أرغان (**مستوياً في مقعده**) : إليكِ يا آبنتي، أودّ أن أزفّ البُشرى من حيثُ لا تتوقّعين. إنّهم يطلبونك للزّواج، ما هٰذا ؟ أوَ تضحكين ؟ أجل إنّها لفكاهة كلمة الزّواج هٰذه. فلي أفْكَهَ مِنْها لدى الأوانس آه طبعاً طبعاً ! وعلى ما أراه يا آبنتي ما لي سوى أن أسألكِ إنْ كنتِ حقاً ترغبين فيه.
أنجليك : ينبغي لي، يا أبي، أن أرضخ لكل ما يرضيك إجباري عليه !
أرغان : ترضى نفسي عن آبنةٍ هٰكذا رضيةٍ مطواعة. قُضيَ الأمرُ فقدْ وعدْتهم بكِ.
أنجليك : ينبغي لي أن أطيع كل أوامرك يا أبي، طاعة عمياء.

أرغان : كانت زوجتي، خالتك، تريدك راهبةً أنت، وشقيقتك الصغرى لويزون، وهي لا تألو جهداً في تحقيق مأربها.
أنجليك (بصوتٍ خافتٍ) : لها حجّتها تلك البهيمة الغاشمة.
أرغان : لم تَكُ لتوافق على هٰذا القران لو لم أُفْحِمْها فأُعْطِيَت كلمتي.
أنجليك : إيه يا والدي كم إنّي ممتنّة لكلّ أفضالك عليّ.
توانيت : أُقِرُّ حقّاً بعميم فضلك هٰذا، إنّه أجلُّ مآتيكَ على مدى عمرك.
أرغان : أنا، ما عاينت الرجل بعد، إنّما سأرضى عنه كما قيل لي، وأنتِ سترضَيْن به.
توانيت : بالتأكيد يا والدي.
أرغان : كيف ؟ وهل عاينته أنتِ ؟
أنجليك : ها أنْتَ بالموافقة عليه، تفسح لي المجال لأفضّ قلبي. فلا أتردّد بالإفصاح عن أنّ القدر قد عرّفنا ببعضنا منذ ستّة أيّام، وإنّ طلباً يعرضونه عليك إنّما يبرّره آستلطافٌ نتبادله منذ الوهلةِ الأولى.
أرغان : أنا راضٍ عنه، رغم أنّهم لم يبوحوا لي بشيء، منه، فمن الأفضل أن تجري الأمور على هٰذا المنوال، قيل، إنّه فتىً طُوّال، وهو طلْقُ المحيّا !
أنجليك : نعم، يا أبي.
أرغان : مديد القامة.
أنجليك : بالتّأكيد.
أرغان : طيّب الشخصيّة.
أنجليك : بلا ريب.
أرغان : طيّب النيّة.
أنجليك : طيّب جداً.
أرغان : فطنٌ، شريف المَحْتدِ.
أنجليك : تماماً.
أرغان : إنّه بغاية الشّرف.
أنجليك : أشرف كلّ البرايا.
أرغان : يتكلّم اللاّتينيّة واليونانيّة بطلاقةٍ.

أنجليك : هٰذا ما فاتني عنه.
أرغان : وسيتخرّج طبعاً بعد ثلاثة أيّام.
أنجليك : هو يا أبي ؟
أرغان : نعم، أما أسرّ به إليك ؟
أنجليك : كلا، حقّاً، وأنت من أطلعك عليه ؟
أرغان : السيّد بورغون.
أنجليك : وهل السيّد بورغون يعرفه ؟
أرغان : يا له من سؤال، هو الذي يعرفه، إنّه آبن شقيقه !
أنجليك : كليانت إبنُ شقيق بورغون ؟
أرغان : ما شأن كليانت به، إنّما نحن بصدد من طلبوك للزواج منه !
أنجليك : أي، نعم.
أرغان : أي، حسناً، إبن شقيق السيّد بورغون، إبن صهره النطاسي ديافواريوس، آسمُ هٰذا الابن توماس ديافواريوس وليس كليانت، هٰذا الزّواج أبرمناه صباحاً، السّيدان : بورغون وفلوران وأنا. وغداً يسوق هٰذا الصهر أبوه إليّ؛ ماذا؛ ما بالك منغصّة ؟
أنجليك : ما بالي ؟ أتبيّن من حديثك أنّك يا أبي تناولت شخصاً وأنا أروم غيره.
توانيت : ماذا سيّدي، أتهرّج هذا الهَرْج وأنت ما عليه من الغنى لتنوي على زفّ بنتك إلى طبيب ؟
أرغان : أجل، وما شأنك يا سافلة، وأنتِ ما عليه من الوقاحة ؟
توانيت : ربّاه، مهلاً. إنّك أوّلُ ما تعمد الى قواذع الكلام ألا تطيق الرويّة لنتجاذب أطراف الحديث بدمٍ باردٍ وبلا خصامٍ بيننا، فما الدّاعي، من فضلك، لمثل هذا الزّفاف ؟
أرغان : عذري أنّي رجلٌ عاجزٌ مريضٌ وفي حالتي ألتمس أن أوفَّق إلى صهرٍ وإلى صُحْبَةِ أطبَّاءٍ يمدّونني بالإسعافات النَّاجعة على علّتي ليتوفّر في أسرتي مصادر عقاقير أنا بأمسّ الحاجة إليها وتضحي الاستشارات والوصفات على متناول يدي.

توانيت : حسناً هٰذا من باب الاستعذار؛ وما يثلج الصدر تجاوبٌ رقيقٌ فيما بيننا. إنّما ضعْ يدك سيّدي على ضميرك، أحقّاً أنت عليلٌ ؟
أرغان : كيف، يا حقيرة، لست عليلاً، بلى أنا مريض، يا وقحة.
توانيت : أوْه ، سيِّدي حسناً، ما أنت إلّا مُبْتَىً ولا مراءَ في ذلك نعم، أجل ... ها إنّك تحت وطأة من المرض ولا أدْهى، أنا معك، أكثر ممّا تتصوَّر، هٰذا هو الواقع يحقّ لابنتك أنْ تتّخذ لها زوجاً، وبما أنّها لا تشكو أدنى علّة فلا حاجة إذن إلى إعطائها طبيباً.
أرغان : إنّما أهبها هٰذا النّطاسي من أجلي وعلى الإبنة الأصيلة أن تطرب لاقترانها بمن هو نافع لصحّة الوالد.
توانيت : عندي، لو رمْتَ سيدي، نصيحةً : من صديقةٍ نصوحة.
أرغان : وما هي هٰذه النصيحة ؟
توانيت : أن تعزف بتاتاً عن هٰذا الزفاف.
أرغان : وما الدّاعي ؟
توانيت : هو أنَّ ابنتك لا تطيقه أبداً.
أرغان : لا تطيقه مطلقاً ؟
توانيت : أبداً بتاتاً.
أرغان : إبنتي ؟
توانيت : إبنتك بعينها، ستبادرك بأنّه : « لا شأن لها مع السيّد ديافواريوس ولا مع ابنه توماس ديافواريوس ولا مع أيّ ديافواريوس في العالم ».
أرغان : أنا صاحب الشّأن معه، بغضّ النُظر عن أنّه نصيب لها أصلح مما يظنون، فليس هناك لديافواريوس من ولد غيره، ولا وريث سواه، وعلاوةً على ذلك فإنّ السّيد بورغون، وهو دونما زوج أو عَقِبٍ، رصد له كلَّ غناه في سبيل هٰذا الزّفاف. ما عدا ثمانية آلاف ليرة دخلاً سنويّاً.
توانيت : لا بدّ أنّه أزهقَ أنفساً كثيرة ليصبح هٰكذا غنيّاً.
أرغان : ثمانية آلاف ليرة هي فائدة لا يُستَهان بها ناهِيكِ عن ثروة الأب.
توانيت : طبق المرام، سيّدي، لكنّي أعود فأُصرُّ على نصحك فيما بيننا أنْ تُعِدَّ لها زوجاً آخر. فهي غير معدَّةٍ لتكنَّى بالسيدة ديافواريوس.

أرغان : وأنا أقول إنَّه لا غنىً عنه.

توانيت : إيه زه لا تتفوّه به !

أرغان : وكيف ! ألوذ بالصَّمت ؟

توانيت : إيه، لا.

أرغان : لم لا آتي على ذِكْره ؟

توانيت : لكأنّهم يزعمون أنّك لا تَعْني ما تقول.

أرغان : ليزعموا ما شاؤوا فلكِ أقول : عليها أنْ تُنفِّذ كلاماً أُعطيه .

توانيت.: كلّا في يقيني أنّها لن تلبيَهُ.

أرغان : أرغمها عليه إرغاماً.

توانيت : قلت لكَ : لن تفعله.

أرغان : تفعله أو أدخلْها الدير، أنا.

توانيت : أنت ؟

أرغان : أنا.

توانيت : حسناً.

أرغان : حسناً، كيف ؟

توانيت : لن تضعَها في الدّير.

أرغان : أنا لا أضعها في الدير.

توانيبت : كلّا !

أرغان : لا ؟

توانيت : كلّا !

أرغان : أوْه، إنّها لَمَهْزلة، ألا أُدْخل آبنتي ديراً، إنْ شئت ؟

توانيت : قلت لكَ، كلّا.

أرغان : ومن ترَيْنَه يمنعني ؟

توانيت : أنت بنفسك.

أرغان : أنا ؟

توانيت : نعم فلا قلبَ لك ...

أرغان : سيكون لي.

توانيت : إنّك تتجاهله.
أرغان : أنا لا أتجاهله.
توانيت : عاطفتك الأبويّة تغلبك.
أرغان : لن تنال منّي أبداً.
توانيت : دمعة صغيرة، أو دمعتان، وذراعان تعانقانك ومناداة « يا أبتاه الحنون الطيّب » ... عذبةً رقيقةً تكفي للتأثير عليك.
أرغان : كلّ هٰذا لا يجدي فتيلاً.
توانيت : بلى، بلى.
أرغان : قلت لك، لن أتراجع أبداً.
توانيت : تخرّصات باطلة.
أرغان : لا تجعلي تقولين أبداً « إنّها تخرّصات ».
توانيت : ربّاه، أنا بك أدرى، المعدن طيّب.
أرغان : لست بطيّب بتاتاً، بل إنّي خبيث كلّما نويت.
توانيت : رويدك، سيّدي، لم تعد تفطن إلى أنّك عليلٌ.
أرغان : آمرها أمراً باتّاً؛ فلتستعدّ لتأخذَ زوجاً من ذكرت.
توانيت : وأنا أمنعها منعاً باتّاً، أن تأتي بأيّ شيء.
أرغان : يا لجسارة خادمةٍ تتطاول هٰكذا بحضرة معلّمها !
توانيت : عندما ربُّ البيتٍ لا يعي ما يعمل فمن واجب الخادمة الواعية أن تصحّحَهُ.
أرغان (**يعدو خلف توانيت**) : سحقاً لك من وقحةٍ ينبغي لي أن أخمد أنفاسك.
توانيت (**هاربةً من وجهه**) : ينبغي لي أن أستدركَ ما يجلب عليك العار.
أرغان (**راكضاً مغضبّاً خلفها حول المقعد وعصاه بيده**) : تعالي ألقّنك درساً في الكلام.
توانيت (**هاربة من جهة المقعد لا من ناحية أرغان**) : كلّ همّي أن أصدّك لئلا ترتكب أدنى حماقة.
أرغان : كلبة !
توانيت : كلّا، ما وافقت أبداً على هٰذا الزواج.

أرغان : مخادعة !
توانيت : دعني، لن أقبل أبداً أن تتزوج صاحبك توماس ديافواريوس.
أرغان : سافلة !
توانيت : فلا يجدر بها إلّا أن تذعن لي.
أرغان : أنجليك، ما بالك لا تمسكين لي بهٰذا الماكرة.
توانيت : بحقّك يا والدي، لا تتقاعس...
أرغان : إن لم تعترضيها أنزلت لعنتي عليك.
توانيت : إن امتثلت لك حرمتها أنا من الميراث.
أرغان (**يتهالك في مقعده، منهوكاً من المطاردة**) : أوْه، أواه طفح الكيل، تلاشَيْت كفاني عذاباً يخمد أنفاسي.

المشهد السّادس

بالين، أنجليك، توانيت، (**قد تغيّبان**) **أرغان.**

أرغان : هيّا، زوجتي، إقتربي منّي.
بالين : ما بكَ، أيا زوجي المسكين ؟
أرغان : إليَّ، إليَّ هلمّي إليَّ.
بالين : ماذا يجيء، يا بُنَّي ؟
أرغان : أُمَيْمة.
بالين : خليلي.
أرغان : غيَّظوني.
بالين : يا ويحهم، زوجي المسكين ! كيف يا صاحِ ؟
أرغان : صاحبتك توانيت، تلك الماكرة، قد تمادت بجسارتها أكثر من أيّ زمنٍ مضى.
بالين : لا عليك، هوّن عليك.
أرغان : إنّها تثير حفيظتي.

بالين : هوّن عليك، يا بنيّ.
أرغان : ما فتِئَتْ لساعتها، تقمعني في كل ما أنوي.
بالين : أإلى هذا الحد وَصَلَتْ ؟ مهلاً هوّن عليك.
أرغان : وبكل وقاحة زعمت أنّي لسْتُ مريضاً أبداً !
بالين : يا لها، من بذيئة !
أرغان : لعلمك، يا فؤادي، بما يَعْتَوِرُهُ ...
بالين : أجل، يا قلبي، ألحقّ عليها.
أرغان : أيا حبي، هٰذه الماكرة، تقصف عمري.
بالين : أَوَصَلَتْ بكَ إلى هٰذا الحدّ ؟
أرغان : هي علّة كلّ ما أنزُّهُ من مرارةِ كبدي.
بالين : لا تُفْرط بالغضب.
أرغان : صار لي مدّة، لا أعلَم مداها، وأنا أحرّضك لتخلي سبيلها عنّي.
بالين : ربّاه، ليس من خدم، يا بنيّ، ولا من جوارٍ إلّا وعليهم مآخذ نتحملّها من أجل مكارمهم. فهٰذه ماهرة، نشيطة سيّما إنّها أمينةٌ وأنت تعلم ما يلزمنا من حرص على النّاس الذين نستخدمهم ! توانيت، هلمّي.
توانيت : مولاتي.
بالين : لم تثيرين غضب زوجي إذن ؟
توانيت (**بلهجة عذبة**) : واحسرتاه، سيدتي، أنا لا أفهم ما تقصدين فإنّي لا ألقي بالًا إلّا إلى كلّ شاردةٍ وواردةٍ تطيّب خاطر السيّد.
أرغان : تبّاً للخائنة.
توانيت : أفادنا السيد أنّه يعطي بنته للزّواج من آبن السيّد ديافواريوس أجبته ــ مع أنّي أجده نصيباً لها صالحاً، إنّه إنّما يفعل الأصلح بوضعها في الدّير.
بالين : ما هٰذه الطامة الكبرى ! بل أرى أنها على صواب !
أرغان : أوه، يا حبّي، أتصدّقينها إنّها لداهية دهياء وقد قذفتني مئة مرّة بقاذع الكلام.
بالين : حسناً، صدّقتك يا صاح، سوّ جلستك حذارِ، يا توانيت، إن أنتِ بعد أزعجت زوجي طردتك شرَّ طردة، والآن علبّ بجبّة الفرو وبالوسائد، أسوّي

المقعد علّك ترتاحُ متّكئاً، رُصَّ القلنسوة حتّى الأذنين. ليس أدعى للنزلة الصدريّة من لفحة الهواء من الآذان.

أرغان : أوه يا أميمة، كم أنا مدين لك بما تحيطينني به من وقاية.

بالين (**مرتّبة الوسائد حول أرغان**) : قبّ لأضع هذا تحتك، وهٰذه سندة، وتلك من الجانب الآخر، هذا خلف ظهرك، وذاك سنداً لرأسك.

توانيت (**جاعلة بعنف على رأسه وسادة وهي تبتعد**) : وهٰذه الأريكة، لتيسير هبّاتِ نسائمِ العصير لحضرتك.

أرغان (**ينهض غاضباً قاذفاً توانيت بالوسائد**) : يا لك من ماكرة ! هكذا تغظّينني !

بالين : ما هٰذا، لا، لا، كلا !

أرغان (**يرتمي على مقعده منهوك القوى**) : آه أوْه آه. ما عدت أستطيع الاحتمال، من بعد !

بالين : علام ٱحتدامُكَ هٰذا، وفي ظنّها أنّها تحسن فِعلاً !

أرغان : أنتِ، حبّي، لا تعرفين مكر هٰذه الخبيثة، أوه، قد استفزّتني حتّى طرتُ شُعَاعاً ويلزمني أكثرُ من ثمانية علاجاتٍ ودزّينةُ شطفاتٍ لترميم كلّ هذا.

بالين : صاحِ، كفى، هدّئ من روعك.

أرغان : بكِ يا أميمة، كلُّ عزائي.

بالين : يا للولد الصغير المسكين.

أرغان : إقراراً بحبّك لي. وعرفاناً لجميلك نحوي بودّي كما قلت، يا قلبي، أن أكتب وصيّتي لكِ.

بالين : أوْه، خليلي، دعنا من هٰذا أرجوك أبداً لا أعلم كيف أطمئنّ إلى هٰذه الفكرة، إنْ للوصيّة لفْظَةً تجعلني أرتعش ضيّقاً.

أرغان : ناشدتك أن تفاتحي الكاتب العدل بهذا الخصوص !

بالين : هو بصحبتي، هٰهنا.

أرغان : يا حبّي، دعيه إذن يدخل.

بالين : واأسفاه، خليليْ، هٰكذا كلّما استأثر الزّوج بكلّ الحبّ لا يعود ثمّة من مجالٍ للاحتفاء بمثل هٰذه الأمور.

المشهد السابع

الكاتب العدل، بالين، أرغان

أرغان : أدْنُ، أيّها السيّد بنّفوا أدْنُ مني، تناول لك مقعداً من فضلك. لقد أفادتني عنكَ زوجتي. أنّك الرّجل الهمام أيّها السيّد، وأنّك حقاً من خاصتها فوكلتها بمفاتحتك بشأن وصيّة أريد أن أوصيّها لها.

بالين : واأسفاه، لا طاقةَ لي أبداً بالمداولة بهٰذه الأمور.

الكاتب العدل : قد شرحَتْ، سيّدي نواياك نحوها، وقصدك بها، ولا أُخفي عليك فيه، أنّه لا يمكنك أن تستوعب شيئاً ممّا لكَ أنْ تهبه زوجتك بوصيّتك.

أرغان : لماذا، كلّ هٰذا ؟

الكاتب العدل : العادةُ المْألوفة هي الّتي تحول دونها، فلو أنّك في بلاد الحقّ المدوّن لأستتبّ لك الأمر. إنّما في بلاد التقاليد، أقلّه المرعيّة في مجملها، وفي باريس، فلا يصحّ هٰذا الأمر. وكلّ تمهيدات لها تصبح لاغيةً. كلّ مصلحةٍ قائمةٍ ما بين مَرْءٍ مقترنٍ بامرأةٍ في القران، يمكن أن يصنعها الواحد بالآخر كعطاءٍ متبادل ما بين أحياءَ باعتبار أنّ لا بنين لدى الطرفين، أو لدى الطرف الواحد حال وفاة الثاني.

أرغان : يا للمألوف المزعج ! حيث لا يستطيع الزوج إيلاء زوجته شيئاً، هي الشغوفة به الحانية عليه ! لعله فكر راودني لاستشارة محاميٍّ تبصراً لي فيما أستطيع التصرّف به.

الكاتب العدل : ما الحاجة إلى محامين للمراجعة، لأنهم صارمون بهذا الصّدد ويظنّون أنّها الجريمة الكبرى احتيالاً على القانون، فما هم إلّا أصحاب المتاعب، قاصرون عن مواربات الضمير فثمّة أشخاص أكثر إيناساً بالشورى ولديهم ما لديهم من ترويجات للتجاوز استخفافاً بالقانون فكلّ ممنوع متبوع، إنّهم أدرى بتذليل العقبات في مسألة يوفقون إلى أساليب تتجنّب المألوف ببعض توفيقات غير ملتوية، لولاهم أيْن كنّا صرنا، يوميّاً. لا بدّ من تيسير الأمور فلا حيلة لدينا لنحرّك ساكناً ولستُ أضحّي دونها ولا بصُوْلٍ واحدٍ في مِهْنتنا.

أرغان : حقّاً، أيّها السيّد، لقد سبق أن أفادتني زوجتي عن مدى نباهتك وقَدْرِ نُبْلك الرّفيع، فمن أين لي اجتهاداً من فضلك، لأهبها خبراتي وحرمان أولادي منها ؟

الكاتب العدل : من أين لك ذلك ؟ ما لك سوى أن تنتقي برويّة، صديقاً لزوجتك صدوقاً، تسلّمه صكّاً بالوصيّة، بالصيغة الصحيحة، على أنّه فيما بعد يفرّغ لها مالها. باستطاعتك أيضاً أن تعقد عدداً وفيراً من قيود الحق لصالح مرابين كثيرين يقايضون أسمهم لزوجتك، متنازلين لها بتصريح عمّا تصرّفوا به عند رغبتها. ويمكنك أيضاً طالما أنّك على قيد الحياة أنْ تضع بين يديها مالاً عدّاً ونقداً أو سنداتٍ تستحصل عليها مدفوعاتٍ لحامله.

بالين : ربّاه، ما لك ولكل هذه الأشياء، ان تمّ ذلك في غيابك، فلا طاقة لي بالعيش من بعدك.

أرغان : أميمتي !

بالين : أجل، يا لتعاستي من بعدك يا خليلي.

أرغان : حليلتي العزيزة !

بالين : حياتي تغدو هباءً.

أرغان : يا حبّي.

بالين : أَلْحَقُ بكَ، لتعرف مدى تَحْناني إليك.

أرغان : رفقاً بنفسكِ يا خليلتي، أرجوكِ. إنّك تصدّعين فؤادي.

الكاتب العدل : دموعٌ في غير موسمها، فالأمور لم تبلغْ بعد إلى هٰذا الحدّ.

بالين : أنت أيّها السيّد لا تدركُ مكانة الزوّج المعشوق مستأثراً بكلّ عوارف الحنان.

أرغان : أعظم الحَسَرات عندي، إن قضيتُ نحبي وأنا محرومٌ من ولدٍ منك مع أنّ السيّد بورغون أفادني أنّهُ يولّدني واحداً.

الكاتب العدل : الإحتمال ما يزال وارداً بعد.

أرغان : لا بدّ لي من تسجيل الوصيّة، يا حبّي، وعلى النّحو الذي يرتئيه السيّد بالذّات. إنّما على سبيل الحيطة أحبّ أن أبذل لك عشرين ألف فرنك ذهباً

موجودة بإفريز كُوَّني وسندين لأمر حاملهما مستوجبين لي؛ سندٌ على السيّد دامون وآخر على السديد جيرانت.

بالين : لا، كلّا، ليس لي أدنى مطمع في أيّ منها، أوه كم ذكرْتَ إنّه هناك في الكُوَّة.

أرغان : عشرون ألف فرنك. يا حبّي.

بالين : ما لي ولسيرة المقتنيات، أوْه بكم السّندات ؟

أرغان : هما يا حبّي، سندٌ بأربعة آلاف، وآخر بستّة.

بالين : كنوز، العالم طرّاً، ليست بمنزلتك عندي، يا خليلي.

الكاتب العدل : أتأمر بالشّروع بالوصيّة ؟

أرغان : أجل أيّها السيّد ولعلنا في قمرتي الصّغيرة نطمئنّ أكثر من هنا، هلمّي بنا، يا حبّي، إليها، أرجوك أن تقوديني إليها.

بالين : هيّا بنا يا بنّي المسكين.

المشهد الثامن

أنجليك، توانيت

توانيت : هما مع الكاتب العدل، فقد نماَ إلى سمْعي كلامٌ عن الوصيّة، هي ذا خالتك لا تغفو أبداً ولا شكّ أنّ المؤامرات تحاك بشأنك على قدم وساق وإليها أبوك ينساق.

أنجليك : فلتعبث بماله على كيفها شرط ألّا تتلاعب بقلبي أبداً أترينَ يا توانيت، ما يحيكون عليه من دسائس وخيمة ! فلا تتخلّيْ عنّي أبداً في غمار الأزمات.

توانيت : الموت ولا التخلّي ــ عبثاً حاولت خالتك أن تجعلني أمينة سرّها لتجرني إلى بؤرة مصالحها فما آنست إليها ميلاً وكنت أبداً الى جانبك، دعيني أنا أتصرّف فسأبذل قصارى الجهد في خدمتك، خدمةً نصوحاً، يقتضي

فيها التبديل من أسلوبي تغطيةً لغيرتي عليك وأيضاً مداراةً لشعور أبيك وخالتك.

أنجليك : أستحلفك، علّك تُطلعين كليانت على الزّواج المبرم.

توانيت : ليس لي سوى العجوز المهرّج المرابي، حبيبتي. أسخّرُهُ لهٰذه الخدمة، إنّه رهنٌ لكلماتٍ من فمي العذب، أطلقها كرمى لكِ أنتِ، إنّما اليوم تأخّر بنا الوقت كثيراً وغداً صباحاً باكراً أطلقه يتسقّط لنا الأخبار ولسوف ينتعش انتعاشاً لِ ...

بالين : توانيت ؟

توانيت : إنّهم ينادوني، عِمْتِ مساءً، إرتاحي عليّ بالاً.

الفصل الثاني

يتبدّل المسرح ليمثّل حجرة

المشهد الأول

توانيت، كليانت

توانيت : عمّ يسأل سيدي ؟

كليانت : عمَّ أسأل، أنا ؟

توانيت : ها، ها، هٰذا أنت ! يا للمفاجأة، وما وراءَك الآن ؟

كليانت : أتبيّن مصيري، فيما أحدّث أنجليك الطيّبة، اسبر غور فؤادها، مستطلعاً خُططها؛ عمّا أُنبئت من زفافٍ منكود.

توانيت : للإسرار الى أنجليك أسرار، وليس هٰكذا مواجهة؛ الحراسة مشدّدة، والحجز تام، في الخروج وفي الكلام. رغم حرية تحرّكنا بفضل العجوزة، بتنا نتحفّظ من التّندر بمهزلة هواك اللّاهب، يا لها من مغامرة !

كليانت : وأنا بتّ أتستّر عن مظهر الولهان، لذٰلك ما شخصت بوصفي كليانت بل بصفتي مندوباً من قبل أستاذ الموسيقى الذي انتدبني قولاً وفعلاً لكوني صديقَهُ الحميم.

توانيت : هوذا أبوها، تنحَّ قليلاً، ودعني أنبئه بوجودك.

المشهد الثاني

أرغان، توانيت، كليانت

أرغان : وصف لي السيّد بورغون المشي في الحجرة دزّينة مرات ذهاباً، ومثلها إياباً؛ فسها عن بالي أن أستوضحه أبالطّول أم بالعرض ؟!

توانيت : سيّدي ... أحدهم هناك !

أرغان : بصوت خافت، يا ماكرة، دماغي زعزعتِهِ، ألا تُقْلعين عن الصّراخ مع المريض إلى الهمس له ؟

توانيت : سيّدي ... (تتظاهر بالحديث معه) .

أرغان : أيْها ... !

توانيت : أقول ... (مُتظاهرةً بالكلام معه)

أرغان : ماذا تقولين ؟

توانيت : قلت : الشّاب بالباب، يلتمس الجواب.

أرغان : فليتقدّم.

توانيت (**تشير الى كليانت بأن يتقدّم**)

كليانت : سيّدي.

توانيت (**ساخرةً**) : لا تتكلّم بصوتٍ عالٍ لئلّا تخضّ للسيّد دماغه.

كليانت : يطيب لي أن أصادفك سيدي، منتصباً وعلى أحسن حال.

توانيت (**متظاهراً بالاحتداد عليه**) : على أحسن حال، هذْرٌ وهذيانٌ، السيّد دوماً سيّئ الحال.

كليانت : بلغني أنّ حال السيّد تحسّنت، وها إنّي أستشفّ على وجهه الرُّواء.

توانيت : من أين لوجهه الرُّواء ! السيّد عاطلٌ جدّاً؛ ما أغلظ الذين تنادروا عليك في تحسّن أحواله. ما كان قطّ أنحسَ حالاً منه اليوم !

أرغان : الحقّ معها.

توانيت : هو صحيحٌ، يمشي ويرقد، إنّه يأكل ويشرب كسائر الناس، إنّما هٰذا لا يخفّف من وطأة العلّة عليه.

أرغان : هذا صحيح !

كليانت : أنا أسفلَ دركات الأسى، سيدي. إنّما أوفدني، أستاذ الغناء لدى الآنسة ابنتكم، لأنّه اضطرّ للمثول إلى الرّيف أيّاماً؛ ونظراً لصداقتنا الحميمة، انتدبتُ بدلهُ، إنجازاً لدروسها؛ مخافةً من أن تنسى ما تعرفه الآن، بانقطاعها عنه.

أرغان : حسناً جداً، نادي أنجليك.

توانيت : خيرٌ له أن يتوجّه إلى حجرتها، سيّدي.

أرغان : لا بل تِيْني بها.

توانيت : يتعذّر عليه تدريسها كما ينبغي، إلّا على انفراد.

أرغان : بلى، قلت : بلى.

توانيت : الصّداع يلجّ عليك، سيّدي. فلا داع لا لإزعاجك بمثل وضعك، ولا لخضخضة دماغك.

أرغان : لا، لا. أمسيت بالموسيقى مولعاً وسأرتاح جدّاً إلى ... آه، ها هي. إليك عنّي لزوجتي تجدينَها قد تزيّتْ.

المشهد الثالث

أرغان، أنجليك، كليانت

أرغان : هلمّي، يا ابنتي، لقد انصرف معلّم الموسيقى إلى الرّيف، وهوذا شخصٌ من طرفه إليك، مرشداً لك.

أنجليك : العياذ بالسّماء !

أرغان : ما بكِ ؟ لم أصابكِ منه الذّهول ؟

أنجليك : هٰذا هو...

أرغان : ما الذي خلبك هكذا ؟

أنجليك : يا لصدفة مذهلة تتحقق معي ههنا ! يا والدي.

أرغان : كيف كان ذلك ؟

أنجليك : حلمت الليلة أنّ شخصاً دنا مني فارتبكْتُ لمرآه كان على هيئة

السيّد تماماً، استنجدت به فأنجدني، من ورطتي، وهٰذا ما صادفته لدى وصولي، لذلك استحوذ عليّ ذهولٌ شديد لأنّه طيلة اللّيل كان ببالي.
كليانت : يا لشقائي إذن شاغلاً بالك نائمة يقظى ! ويا لهنائي إن رأيتني حقاً معيناً لك من ورطة. سوف لا أتوانى أبداً عن ...

المشهد الرابع

توانيت، كليانت، أنجليك، أرغان

توانيت (**بسخرية**) : سيّدي، اليوم رأيي من رأيك فٱضْربْ صفحاً عمّا بالأمس زعمته لك، هوذا السّيد ديافواريوس الأبُّ مع السيّد ديافواريوس الابن يشرّفان لزيارتك. إنّك به تصاهر عبقريّاً لتَبْلُوَنّهُ صبيّاً لا أبدعَ ظرفاً ولا أروعَ منه بين الآنام، بلفظتين منه سبى عقلي، وعمّا قريب سيسلب ابنتك لبَّها.
أرغان (**مخاطباً كليانت الذي يتظاهر بالانصراف**) : لا تغادِرنا أيّها السيّد، إنّي أزفّ ابنتي لخطّيبٍ، لم تَرَ قطُّ له وجهاً، حتى مجيئه الآن.
كليانت : لي الشّرف الأثيل كشاهدٍ على مقابلةٍ هكذا طريفة، أيّها السيّد.
أرغان : نطاسيٌّ بنُ نطاسيٍّ، أزفّهُ في أربعةِ أيّامٍ.
كليانت : حسناً جداً.
أرغان : نَوِّهْ به لأستاذ الموسيقى كيما يحضر.
كليانت : لن أتوانى.
أرغان : أرجو أن تشرّفنا أنت كذلك.
كليانت : إنك تولِيني ٱلشرف العميم.
توانيت : دَعُوْنا نصطفّ لقد وصلا.

المشهد الخامس

السيّد ديافواريوس، توماس ديافواريوس، أرغان، أنجليك، كليانت، توانيت.

أرغان (**واضعاً اليد على القلنسوة دون أن ينزعها عن رأسه**) : السيّد بورغون، منعني، أيّها السيّد، عن كشف هامتي إنّكم في المهنة وتدركون العواقب.

السيّد ديافواريوس : نحن بعيادتنا المرضى إنّما نحمل الإسعافات لا المضايقات لهم.

أرغان (**يتحاوران معاً فتارةً يتقاطعان، وطوراً يتشابكان**) : أتقبّل أيّها السيّد ...

السيّد ديافواريوس : شخَصنا إلى هنا، أيّها السيّد ...

أرغان : بغبطةٍ غامرةٍ ...

السيّد ديافواريوس : ولدي توماس و أنا ...

أرغان : تشرّفنا به وبك ...

السيّد ديافواريوس : لنُقْرئَك أيّها السيّد ...

أرغان : لعلّي يوماً رددت لكما الزيارة ...

السيّد ديافواريوس : ذهولاً استحوذ علينا ...

أرغان : في دارك لو قدرت ...

السيّد ديافواريوس : لإنعامك علينا ...

أرغان : برهاناً منّي لك عليه ...

السيّد ديافواريوس : إحتفاءً طوقتنا به ...

أرغان : بفهمك الكفاية ...

السيّد ديافواريوس : نزيد شرفاً ...

أرغان : بحالة عليلٍ مسكين ...

السيّد ديافواريوس : شرف تحالفك معنا ...

أرغان : لا يقوى إلّا على ...

السيّد ديافواريوس : برهاناً منّا لك عليه ...

أرغان : وهنا بصريح العبارة ...

السيّد ديافواريوس : فيما يتعلّق بمهنتنا ...

أرغان : إنّه يغتنم كلّ سانحة ...
السيّد ديافواريوس : وفي كلّ مأثرة أخرى ...
أرغان : لإبلاغك إيّاه، أيّها السيّد ...
السيّد ديافواريوس : نكون أبداً على أهْبة أيّها السيّد ...
أرغان : لمدى تفانيه في خدمتك ...
السيّد ديافواريوس : ودلالةً لغيرتنا عليك (يلتفت الى ابنه ويقول له) : هلمّ يا توماس تقدّم وأدِّ تحيّاتك.
توماس ديافواريوس (**مغفّل كبيرٌ، مرتبكٌ بتصرفاته فاشلٌ في اتيار الوقت والمناسبة ــ تخرّج حديثاً من الكليّة**) : أوّلاً الوالد أَوْلى، أليس كذلك ؟
السيّد ديافواريوس : أجل !
توماس ديافواريوس : سيّدي، أنا بادرتُ إليك، أستشفّ منك، متعلّقاً بك لأجلّ فِيْكَ، وأحيّيك أباً لي ثانياً. الأوّل ولدني وأنت اخترتني، هو قبلني احتياجاً لي، وأنت استقبلتني منّةً علي، ما كسبتهُ منه صنع جسده وما استمديتُهُ منك فعل مشيئتك، وبقدر ما سموّ الروحيّات على الجسديات أدين لك بهٰذا التبنّي العتيد فأقدرُهُ تقديراً نفيساً. لذا مثلت اليوم أمامك لأبثّك سلفاً بوادر الإكرام منّي لك، جليلةً متواضعة.
توانيت : فلتحيَ المعاهد التي تخرج إنساناً هكذا لوذعيّاً بارعاً.
توماس ديافواريوس : أما أحسنت، يا أبي ؟
السيّد ديافواريوس : بل تفوقت على المُجلِّين.
أرغان (**إلى أنجليك**) : هلمّي، سلّمي على السيّد.
توماس ديافواريوس : أألْثمها ؟!
السيّد ديافواريوس : أجل، أجل.
توماس ديافواريوس (**إلى أنجليك**) : أيّتها السيّدة، إنّ السّماء عن حقّ حقيق، دعتكِ أنت الخالة؛ « الأم الحلوة » لأنّك ...
أرغان : ليست هٰذه بزوجتي، إنّك تخاطب ابنتي.
توماس ديافواريوس : أين السيّدة إذن ؟
أرغان : على الطّريق إلينا ...

توماس ديافواريوس : أأخفّف ممّا بي حتّى وصولها ؟ يا أبي ؟

السيّد ديافواريوس : هيْه، طالما عليك بتأدية التحيّة للآنسة.

توماس ديافواريوس : آنسَتي، لا أكثر ممّا تعزف نغمة طروب، ولا أقل منها، متصاعدةً رنّانةً من تمثال « مِمْنون » الرنّان، كلّما ضربته أشعّة الشّمس الشّارقة عليه، هٰكذا أجدني منتشياً بقشعريرة رقيقة لدى إشراق شمس محاسنك، وكما يلمح الفيزيائيون زهرة اسمها دوّار الشمس وهي أبداً تدور بدوران نجمة النهار ؟ هٰكذا قلبي من الآن فصاعداً يدور بعينيك المعبودتين كنجمتين ساطعتين لأنك أنت قطبي الوحيد ... تكبّدي إذن آنستي أن أعلّق اليوم في هيكل مفاتنك تقدمة فؤاد لا يتنسّم عزّاً ولا يطمح الى مجدٍ سوى أن يكون مدى عمره لك آنستي، الزوج والخادم المخلص الخضوع أبداً جدّاً.

توانيت (ساخرةً) : هٰكذا هٰكذا معنى الدّرس، دررٌ من البديع والبيان المنثور.

أرغان : وأنت ما قولك فيه ؟

كليانت : سيّدٌ يلهج بالبدائع، جاء نطاسيّاً بارعاً على غراره خطيباً لوذعياً لحسن حظّ من يُحْسَبُ عليه عليلاً في عداد مرضاه.

توانيت : حتماً، وفي ذٰلك آياته، آياتٌ في تنظيم العقاقير، وآيات في نظم التعابير.

أرغان : إليّ، هاتي لي مقعدي، والكراسي للجميع، هنا أقعدي يا ابنتي، إنّك ترى أيّها السيّد، أنّ الجميع بابنك معجبون، وأراك سعيداً لاقتنائك هكذا صبياً.

السيّد ديافواريوس : بقطعِ النظر عن كوني والده، أيّها السيّد، أحدّث به الركبان، مغتبطاً به. وبراءة سجيّته على كلّ لسان. ما تميّز قطُّ لا بمخيّلةٍ جيّاشةٍ ولا بذهن متوقّد. كغير ما نُلاحظه لدى الآخرين. لهٰذا توسمتُ فيه أبداً ذوقاً سليماً لا غنى عنه في ممارسة مهنتنا. لم يكن، في نعومة أظفاره، لا داهيةً ولا حتى نبيهاً بل خفيض الجانب، ليّن العريكة، سكوتاً لا ينبسُّ ببنت شفة. ولا مال إلى صَبْوَة الصّبيان، ولا تعَلّم القراءة إلّا بشقّ نفوس معلّمه. حتى ناهز التاسعة ولمّا يتهجأ حرفاً واحداً. لكنّ رُحْت أردّد في نفسي : « لا بأس عليه إنّما الأشجار المتفوّقة تثمر أشهى الثمار، والنقش أبقى ولو كان أصعب

في الرّخام ممّا في الرّغام، فهٰكذا استيعاب في مَهْلة، وتخيّل في تؤدة؛ دليلُ فطنة متفتّقة ».

لمّا أرسلته للمعهد شقّ عليه ذلك لكنه جابه العقبات، أمّا معلموه فأخذوا بمثابرته، وامتدحوه لي، وما انفكّ يطرق الحديد حتى نال إجازاته العلميّة بكلّ اعتزاز. وأقولها دونما تبجّح : « طيلة احتلاله مقاعد الدراسة ما ضجّت المساجلات المدرسية الصاخبة بطالبٍ أكثر مما ضجت به ». بات مهيب الجانب فما بُسِطَت مناظرةٌ إلّا وقرعها بالحجة الباهرة الحاسمة، هو العنيد جدلاً كما التركيب أصلاً. لا يتخاذل بل ينفذ إلى بواطن المنطق وثناياه. وأكثر ما يروقني منه، ما يجاريني فيه انسياقاً أعمى وراء آراء الأقدمين، ضارباً بادّعاءات عصرنا عرض الحائط، عن اكتشافات وتجارب في الدورة الدموية، وغيرها من آراء بنفس العريكة.

توماس ديافواريوس (ساحباً من جيبه أطروحته في رقعةٍ ملفوفةٍ يقدّمها لأنجليك) : عن إذن سيّدي، أقدّم لك آنستي بنتاً من بنات أفكاري هي مرافعتي عن أطروحة أدحض فيها الرّواقين أرفعها لك عربون احترامي.

أنجليك : هي عندي من نوافل الأثاث، سيّدي، ولا عهد لي، بمثلها.

توانيت : هاتيها، نزيّن بها الحجرة، لا ضير في اقتنائها بين الرّسوم.

توماس ديافواريوس : كذلك عن إذن سيّدي، سأدعوك على سبيل التسلية إلى حفلة تشريح سيّدة، أتولّى تبرير الشّرح عنها يوماً.

توانيت : تسليةٌ مستحسنة، منهم من يستسيغون حفلة الترفيه عادةً، للسيّدات، أمّا التشريح ففيه إغراء.

السيّد ديافواريوس : وأخيراً، جرياً على أصول نطاسيّينا المرعية، بشأن القران والإنجاب أثبت أنّه على درجةٍ من زخم الإنسال جديرةٍ بالثّناء. وأنّ نظرة التوليد لديه والإنجاب عنده، طبيعةٌ راجحةٌ ناجحة.

أرغان : أليس في نيّتك، أيّها السيّد، أن تولجه البلاط وتولّجه بوظيفة الطبيب هناك.

السيّد ديافواريوس : بصريح العبارة، لم تكن لتروق لي مهنتنا مع الخاصّة هناك، لعلمي أنّه خيرٌ لنا، نحن معشر الأطبّاء، أن نلازم العامّة هنا. فالعامّة

أيسر. إذ لا حساب عليك تؤدّيه لأحد، ولا هم يتطفّلون علينا، طالما نتفنّن بهم حسب الأصول المرعيّة. وشرّ الأعيان أنّهم عندما يتوعّكون يتحاملون للشّفاء على أطبّائهم.

توانيت : عجباً عجبا، مجرّد أوباشٍ ويلتمسون الشفاء منكم معشر الأطبّاء، مع أنّكم لستم من أجل ذلك بينهم؛ فليس لوجودكم من مبرّر غير قبض المرتّبات ووصف الأدويّة، وهيهات أن يبرأوا، ما قدروا.

السيّد ديافواريوس : هٰذا هو الصّحيح ؟ ما لنا سوى معالجة النّاس بالمراسيم.

أرغان (**إلى كليانت**) : دع ابنتي تنشد الضّيوف، أيّها الأستاذ.

كليانت : بانتظار أوامرك، سيّدي، حدّثتني نفسي، للتّرويح عن الحاضرين بأن أرافق الآنسة، إنشاداً، لمشهدٍ من أوبرا صغيرة حديثة العهد.

(يناول أنجليك ورقةً قائلاً لها)إليك أنت مقطوعتك.

أنجليك : هٰذه لي أنا ؟

كليانت (**بصوتٍ منخفض لأنجليك**) : إرضي بها، ودعيني أدلّك الى مشهدٍ نؤدّيه معاً. أرجوك.

(عالياً) : ليس صوتي رخيماً، حسبي أنّه مسموع. فالتمسوا لي من فضلكم عذراً لمأزقٍ وقعت فيه، في إطلاق الآنسة بالغناء.

أرغان : لعلّها بيوتٌ من عيون الشّعر ؟

كليانت : هي بالأحرى شذرانٌ من أوبرا صغيرةٍ مرتجلةٍ نستأذن بها على سمعكم غناءً منثوراً منظوماً أو أبياتٍ حرّة نفحاتِ حبيبٍ وحبيبة، يتناغيان تلقائيّاً وعلى الفور، ينساب الكلام العذب انسياباً.

أرغان : حسناً جدّاً، فسمعا.

كليانت (**متستّراً باسم الرّاعي، يبوح بحبّه لحبيبته منذ الوهلة الأولى، بعدها يزاوجان الأفكار فكراً بفكر غناءً**) : هاكم فحوى المشهد : فيما كان الراعي مأخوذاً بروعة المنظر البديع، إذا بضوضاء تقطع عليه انجذابه اليه، التفت فإذا بوحشٍ يزجر الرّاعية بألفاظٍ نابيةٍ ، للحال دبّت فيه نخوة الرجال صوناً للشّرف، وبعد تأديبه الفظّ على فظاظتهِ ، خفَّ نحو الرّاعية إذا بها فتاةٌ يافعةٌ يانعةٌ تذرف أبهى الدّموع من أبهى حدقتين، فقال في نفسه : « واحسرتاه ! أو يجسرون هكذا

على إهانة هٰكذا مخلوقةٍ لطيفةٍ، أيُّ إنسانٍ، لعمري، بل أيُّ بربريٍّ لا تراه يرقّ لمثل هٰذه العبرات.

أكبّ يخفف العبرات الساحرات، وراحت الرّاعية في تلك الأثناء تشكره لخدمته النصوحة. باسلوبها الرقيق الشغوف الفتّان، فذهبت بالرّاعي كل مذهب. كانت كلُّ عبرةٍ وكلُّ نظرةٍ سهماً ملتهباً نافذاً حتّى الصّميم فقال: « لا شكر لمروءة؛ تُرى، أيلجم المرءُ أو يحجم ؟ تراه يستعظم الخطر أمْ يستصغره لقاءَ أُنس نفسٍ شكورةٍ أخّاذةٍ، ها المشهد الطّويل ينتهي بسرعةٍ خاطفةٍ مع الأسف ليفرّق ما بين راعٍ عابدٍ وراعيةٍ معبودة. فمن النظرة الأولى، ولوهلةٍ بنتِ ساعتها، يمضي الى بيته مشحوناً كأعنف من حشدِ الغرام في أعوام.

بات على مضضٍ يعاني آلام الوحشة والحرمان، فراح يحاول ما استطاع لملاقاة تلك التي أسرت لبّه نهاراً، وقضّت عليه مضجعه ليلاً. ولشدّة ما برّح به الغرام، عوّل على الزّواج من فتنةٍ سويّةٍ لا غنى له عنها لعيشه، فاستدرجها إلى الإذعان كتابةً بطرفٍ خفي. وفي تلك الأثناء أبلغوه أنّ أباها أبرم زواجها من آخر غيره، وأنّهم يُعدّون العدّة لحفلة العرس، تصوّروا أيّ وطأةٍ قاسيةٍ، نزلت بفؤاد ذٰلكم الراعي التعيس ! إنّه الألم المميت يتناوبه، لدى رؤيته منْية قَلبه تنسلّ، من ذراعيه، إلى ذراعي سواه، إنّما حبُّهُ اليائس تفتّق له عن حيلةٍ للولوج إلى عقر دارها للإطلاع على دخيلة راعيته، لعلّ وعسى فلقي ما كان يخشاه من إنجازات؛ على قدم وساق. ورغم لواعج حبّه — إرضاءً لنزوة الوالد، جيء بمنافسة الدّون يزاحمه على قلب الرّاعية حتى فاز بها أو كاد. يومها استشاط غيظاً، وضاق به ذرعاً، راح يرمقها بنظرات الأسى وظلّ أصم لا يسترق إليها إلا اللمحات احتراماً لها بحضرة أبيها حتّى كسر الطوق عن حبّه الجارف فأنشأ يخاطبها هكذا: (يغنّي):

فِلسَةْ الحــلــــوة طــفــــح الكيــــلُ
فــــلكِ الحــــولُ ولكِ القــــولُ
وبــــه مآلــــي عــــن آمــالــــي
رغــــد العــــيشِ نِعْــــمَ الفــــالِ

أنجليك (**تجيب منشدةً**) :

ترسيسا، الحـــــزن ملء القـــلب هاك؛

تجهيـــزات العـــرس فاتّنــا، فداكَ؛

أرفـــع العينيـــن أبكـــي كي أراكَ؛

ليس لي عَيْنٌ سواكَ.

أرغان : لم أكُ أدري، أنْ بنتي على جانب من الانشاد عظيم فهي لا ترتبك في نصوص الكتاب !

كليـــانت : أسفـــاً فِلسَهْ ! فهـــوى ترْسُسَ مالَـــه حظّ،

شقـــــي يئِسَ ! أيـــن حبّـــي ؟ قلبٌ فظٌّ ...

أنجلـــيك : ترسيـــاس، القـــلبُ عنـــدي بالهـــوى؛

بمثلِ نارِكَ إكْتوى.

كليـــانت : نثـــرتْ طُعْمـــاً ؟ جهـــلاً، مهـــلاً !

فِلَسهْ النُّعمـــى ردّدي قولاً ...

أنجلـــيك : ترسِسَ، حبّـــي النّـــوْرَ القـــبس ...

كليـــانت : عفـــواً فِلَسهْ ماذا آنْعـــكسَ ؟

أنجلـــيك : يمـــلا الـــحَبُّ الـــرّوحَ النـــفسَ ...

كليـــانت : قولـــي الصّدقَ الحـــقَّ الحـــقّ

مئـــةً لفظـــاً مئـــةً نُطْقـــاً

أنجلـــيك : ترسسُ حبّـــي، ترسسُ قلبـــي،

لكَ ترسِيْسَ وَلـــعَ الصبِّ

كليـــانت : يا ملـــوك الأرض يا كلَّ إلٰـــه !

عنـــد أقـــدام الغـــرام قيسوا حبّـــي بالإلٰـــه ...

عفـــواً فِلَسهْ ماذا طرأ ؟

قلبـــي آنقَـــبَض كيـــف جرؤ ؟

كيـــف آنتـــفض الضدُّ نهض !!!

أنجليك : دعني منه يا حبيبي لست أدعـــوهُ قريبـــي

إنْ يمتْ أنت نصيبي

كليانت : يا ملوك الأرض يا كلَّ إلٰه !
عند أقدام الغرام قيسوا حبّي بالإلٰه ...
عفواً فِلْسة ماذا طرأ ؟
قلبي آنقبض كيف جرؤ ؟
كيف آنتفض الضدُّ نهض !!!
أنجليك : دعني منه يا حبيب لست أدعوهُ قريبي
إنْ يمتْ أنت نصيبي
كليانت : تحت أحكام الأبوّةْ ترضخين قسرَ عَنْوةْ ...
أنجليك : مرحّى مرحى الموت أحرى
كيف أُغْنو ؟ الموت أحلى
النّحر أشْهى الموت أولى
أرغان : ما كان ردّ الأب على كلّ هذا ؟
كليانت : لا شيء.
أرغان : ويا له من والدٍ أحمقَ أخرق، المغالطات على مدى سمعه والبصر ولا يعترض بشيءٍ عليها !
كليانت : أنتِ الحبُّ كلُّ الحبِّ.
أرغان : كفاك هزلاً، هٰذه أسوأ مهزلةٍ عرضت ترسيسُ راعٍ وقحٌ، وفِلسَةْ راعيةٌ متماديةٌ في حوارٍ كهٰذا، وبحضرة الوالد، أرني هٰذه الورقة آه، ها، ترى أين كلامك من هٰذه الخطوط ؟ والنّوطة الموسيقية ؟
كليانت : فات سيّدي، أنّهم توفّقوا منذ أيّام قليلة، إلى اختراعِ تسجيل الكلام والنّوطة معاً.
أرغان : حسناً، حسناً؛ جعلت أجيرك سيّدي، فإلى اللقاء... ليتنا استغنينا عن تقديمك الأوبرا السخيفة.
كليانت : خلتني أسلّيك عن...
أرغان : سخافاتٌ لا تسلّي عن شيء... أهلاً بها... زوجتي !

المشهد السادس

بالين، أرغان، توانيت، أنجليك، السيد ديافواريوس، توماس ديافواريوس.

أرغان : أعرّفكِ على آبن السيّد ديافواريوس، حبيبتي.

توماس ديافواريوس (**يهتمّ بإلقاء تقريظ حفظه، ثمّ يتوقّف لأنّ ذاكرته تخونه**) : سيّدتي، تخلع السماء كل حقّ عليك أنت الرابّة لقب « الوالدة الفتّانة » لأن على قسماتِ وجهك رَبَتْ مسحةٌ ... من ...

بالين : إنّي في غاية الإنشراح لنزولي، أيّها السيّد، هنا نزولاً عند شرف معاينتك.

توماس ديافواريوس : ... لأن على قسمات وجهك ارتسمت ملامح ... سيّدتي، اعترضتني عند جملتي المعترضة فانقطع حبل أفكاري.

السيّد ديافواريوس : أرجئها إلى المرّة القادمة.

أرغان : ليتكِ بكّرْتِ، يا صديقتي.

توانيت : فاتكِ، سيّدتي، موقفه من الوالد الثّاني، ونصب ممنون الرنّان، وزهرة تلقّ وتدور اسمها : « دوّار الشمس ».

أرغان : هيّا، يا ابنتي، ضعي يدك بيده لتولي السيّد ثقتك به، عريساً لك.

أنجليك : أبتاه !

أرغان : حسناً، ماذا تقصدين بقولك هٰذا : « أبتاه » !

أنجليك : عفوك، مهلاً، هبنا وقتاً للتعرّف الى بعضنا لشدّ أواصر المودّة تمهيداً لتعاطفٍ متبادلٍ ووئامٍ متكامل.

توماس ديافواريوس : لا داعي للتريّث عندي، لأنَّ الإئتلاف والوئام متوفران لديّ أصلاً وفصلاً.

أنجليك : إن أنت استفزّك الحماس، سيّدي، فلست أنا كذٰلك، واصرّح لك؛ إنّ شأنك عندي لم يبلغْ بعد في نفسي موقعاً ...

أرغان : إيه، حسناً، هناك متّسع من الوقت لمراعاة الخواطر، بعدما تتزوّجان.

أنجليك : هبني اليوم، من الوقت متّسعاً، يا والدي، فالقران قيْدٌ لا يغلّ القلب عَنْوةً. إن كان السيّدُ نبيلاً فلن يرضى بالنّيْلِ منّي إذن قسراً عنّي.

توماس ديافواريوس : « نِهْ غوْ كُنْسِكْوَ نُتسيَمْ » : « الإستنتاج أنْفيه »، أنا ما فتئت نبيلاً، آنستي، ما دمت من يد أبيك أتسلّمك.

أنجليك : الإرغام على الحبّ، أسوأ من الاغتصاب فيه.

توماس ديافواريوس : نطالع عن القدامى، آنستي، أنّ انتزاع البنات من دور الآباء للزّفاف عادةٌ مرعيّةٌ عندهم، لئلا يُشاع أنّهن ركبْنَ رؤوسهنّ فأعْددن الرّجل الذي يحملهنّ على ذراعيه براضهنّ.

أنجليك : سيّدي القدامى عتقٌ، ونحن أولاد اليوم، فلا داعي إذن للقهر. إنّما ندرك عريساً يروق لنا ولا نكْره عليه إكراهاً. فصبراً، أيّها السيّد، إن كنت تهواني، فينبغي لك أن ترضى لك ما أرضاه لي.

توماس ديافواريوس : نعم، آنستي، هٰذا جلّ منأربي في حبّك.

أنجليك : أسمى آيات الحب، النزول عند أماني الحبيبة.

توماس ديافواريوس : أميّز، آنستي، فأنا من حيث الملكية مُسَلّمٌ بها؛ ومن حيث الكينونة رافضٌ لها.

توانيت : عليك بالمنطق، سيّدي، ولا حرج ! خرَّجتْـه الكليّـة حديثـاً، فليترحرح، الباقي عليك، ولا بأس إن التحقت أنت أيضاً بجهاز الكليّة يوماً.

بالين : لعلّها ركبت رأسها !

أرغان : أراني كالهائم بينكم ! أهذا إذن دوري ؟

بالين : يا ولدي، لو كنت بدلاً منك معها، لما غصبتها على الزواج بل كان لها عندي الزفّة.

أنجليك : سيّدتي، أنا أدرك مراميك وأفهم حقّاً معانيك وإني لأتوقّع لنصائحك السّديدة فشلاً ربّما ذريعاً.

بالين : إنما العاقلات الشريفات من أترابك، لم يعدْنَ إلى أوامر آبائهنّ طائعاتٍ صاغراتٍ، كان ذلك معهوداً، لأيّام غابرة.

أنجليك : للتحذير من الفتاة والتضييق عليها، سيّدتي، حدود فلا العقل يتدخل ولا القوانين تتطرّق الى كل شاردة وواردة منها ولا إلى كل نافلة عنها.

بالين : يعني أنّك مصمّمة على الزّواج من عريس يكون عند حسن ظنّك به.

أنجليك : إن مالَ والدي، فحال دون زوجي يعجبني أقلّه لا يرغمني على الاقتران بمن أنا لا أستسيغه، هذا رجائي على الأقل.
أرغان : عذراً أيّها السّادة عمّا يجري.
أنجليك : للزوّاج مزاج؛ أنا أراه تدبيراً وقائيّاً، بالتوفيق إلى رفيق الطريق، أغمره بعوارف الحنان والحبّ، ولغيري أخلّاء يخلّون العنان لهنّ بعد تملصهنّ من ربقة الأهل. ولسواهنّ الزواج أيضاً تجارة رابحة. حيث لا ينوبهن عليه إلّا طمعاً بالمنفعة والإثراء إثر موتِ أبْعالهنّ، ومن بعل إلى بعلٍ يحشدن ما بقي من خيراتٍ على جثمان دون أدنى وازعٍ أو وجدان. فلا يراعين خاطراً ولا يعتبرن قريناً معتبراً.
بالين : ها إنّك اليوم طويلة الباع في المنطق على ما يبدو لي، فعليّ إذن أن أنطقّق لأعْرف ما وراءَ الآن.
أنجليك : ما عساه يكون ورائي، سيّدتي غير ما نطقت ؟
بالين : مغفّلة أضيق ذرعاً بها، صدّقيني.
أنجليك : سيّدتي تستدرجني الى المهاترة معها، لكني أنبئها بفرصةٍ غير سانحة.
بالين : وقاحة وجسارة.
أنجليك : عبثاً سيّدتي، مهما قلتِ ...
بالين : يمرّون بك وأكتافهم دونك تهتزّ، لشدّ اعتدادك وسخف صلفك، تنتفّض عليك.
أنجليك : لا جدوى من كلّ ذلك، سيّدتي، فسأبقى صاحية لك، رغم أنفك، وإراحةً لبالك أتوارى عن ناظريك ليبقى غلّك في قلبك.
أرغان : إسمعيني، فلا حلّاً وسطاً لك، عيّني زفافك قبل أربعة أيّام، إمّا نزفّك الى السيّد، وإمّا إلى الدّير نُهدّيك. (متوجّهاً الى بالين) خفّضي عليك، أنا أحسن ترويضها.
بالين : عليّ بمغادرتك، يا بنيّ، ففي المدينة ما يستدعيني، وسأعود حالاً.
أرغان : روحي يا روحي، ثمّ عرّجي على الكاتب العدل ليعجّل لك ما لا ينفكّ ببالك.

بالين : إلى اللّقاء، يا صاح.
أرغان : إلى اللّقاء، يا صويحبتي. هذه زوجة تعشقني ... إنّ في الأمر لعجباً.
السيّد ديافواريوس : عفوك، أيّها السيّد، نستأذنك بالإنصراف.
أرغان : أرجوك سيّدي، حدّثني قليلاً عما يُصيبني.
السيّد ديافواريوس (**جاسّاً له نبضه**) : هلمّ يا توماس، عليك بذراع السيّد الأخرى، أرنا بدعك في معاينة نبضه، ماذا تقول ؟
توماس ديافواريوس : أقول إن نبض السيّد كخفقان إنسانٍ عليل.
السيّد ديافواريوس : حسناً.
توماس ديافواريوس : إنّه متصلّبٌ أحرى منه صلْباً.
السيّد ديافواريوس : حسناً جداً.
توماس ديافواريوس : إنّه متداخلٌ.
السيّد ديافواريوس : قولٌ مَبينْ.
توماس ديافواريوس : ضاربٌ إلى الزُّحْمة.
السيّد ديافواريوس : ممتاز.
توماس ديافواريوس : يغمز من غدده؛ أقصد المرارة.
السيّد ديافواريوس : حسناً جدّاً.
أرغان : كلّا إنّما العلّة في كبدي، حسب رأي السيّد بورغون.
السيّد ديافواريوس : أوه، نعم، بقولنا الغدد نعني الإثنين معاً نظراً لتطابق أنبوب الجوف والراحية المعدية السفلى بمشيج السّوداء، لا بدّ أنّه أمرَ لك بلحم سيّما المشاوي ؟
أرغان : كلّا، ليس إلّا المغالي.
السيّد ديافواريوس : المشاوي منها كالمغالي، نفس الشيء. وما أمر بها إلّا من باب الحيطة والحذر، لا بأس عليك بين أيد أمينة.
أرغان : كم حبّة ملح لبيضةٍ سيّدي ؟
السيّد ديافواريوس : ستٌّ، ثمانٍ إجعلها عشرَ حبّاتٍ؛ عدداً شفعاً. لا إسوةً بحبّات العلاجات بل على خلافها؛ أعداداً وتريّة.

المشهد السابع

بالين، أرغان

بالين : عدت أدراجي، لأحيطك علماً بأمر تتنقّز منه. فلدى مروري بحجرة أنجليك، ألفيت معها شاباً، أوّل ما رآني، ولّى مُدْبراً.

أرغان : مع ابنتي شابٌ ؟

بالين : نعم، إبنتك الصّغرى أيضاً كانت هناك، لعلّ لويزون تزوّدك إذن بأخبارها.

أرغان : ناديها لي، أرسليها يا حُبّي، يا للوقحة لم أعد أستغرب عنادها !

المشهد الثامن

لويزون، أرغان

لويزون : ما بك، يا بابا ؟ قالت لي خالتي، أنّك في طلبي !

أرغان : نعم، تعالي، قرّبي دوري، علّي عينيك، تفرّسي فيّ أوه !

لويزون : ما بكَ، يا بابا ؟

أرغان : هٰكذا ؟

لويزون : ما بك ؟

أرغان : لا شيء عندكِ تروينه لي ؟

لويزون : بلى؛ حكاية « فروة الحمار » أو مثلاً حفظته منذ حين لمؤانستك : « الغراب والثعلب ».

أرغان : ليس هٰذا ما أنا في طلبه.

لويزون : ماذا ؟ إذن ؟

أرغان : يا للمحتالة، تعلمين تماماً ما أريد سماعه.

لويزون : عفواً، بابا !

أرغان : أهٰذه طاعتكِ لي ؟

لويزون : فيمَ ؟ أُلبّيكَ !
أرغان : في ما يخصّ تقصّي الأخبار، كلّما تسنّى لكِ كما أوصيتك أنا !
لويزون : لبّيك، بابا !
أرغان : هلّا أطلعتني عليها ؟
لويزون : أجل، يا بابا، كنت ألقّمك إيّاها حالما يقع عليها نظري.
أرغان : أما وقع نظرك اليوم، على شيء يذكر ؟
لويزون : يا بابا، لا شيء يذكر !
أرغان : هٰكذا حقّاً.
لويزون : هٰكذا حتماً.
أرغان : هٰكذا إذن، لعلّي أذكره لك أنا.

(يتناول حزماً من العصيّ).

لويزون : أوّاه، يا بابا !
أرغان : أو تكتمين عنّي، يا عفريتة، مشاهدة الشاب داخل غرفة شقيقتك.
لويزون : أوه ِ، يا بابا !
أرغان : هٰذا يعلمك الخداع.
لويزون (**جاثية**) : أوه ِ، سامحني، يا بابا، أختي منعتني من الوشاية إليك لكني سأروي كيت وكيت ... كاملاً.
أرغان : الجلد أوّلاً، لكذبك، بعده البقيّة تأتي.
لويزون : عفوك، بابا، سامحني، يا بابا.
أرغان : لا، كلّا.
لويزون : لا تجلدني، أُعْفُ عنّي، مسكينٌ أنتَ، يا بابا.
أرغان : لا مناصَ منها. خذيها مني.
لويزون : رفقاً بي، بالله عليك !
أرغان (**يمسكها ليجلدها**) : هيّا هيّا.
لويزون : مهلاً أوّاه، يا بابا، قد أدميتني، أنّي أهلك (تتظاهر بالموت) لقد هلكت.
أرغان : أوّاه ما حلّ بك، أوه لويزون، لويزون، ربّاه لويزون، واحسرتاه ابنتي،

واتعساه بنتي المسكينة ! ماتت ! ماذا فعلت بها أنا الشقّي، أوّاه ! أوّاه ! لعنة الله على القضبان، لها الويل، أوّاه يا ابنتي المسكينة، بنتي التعيسة، لويزون.

لويزون : ها ها ها، يا بابا، لا تذرف الدموع الحرّى فأنا لم أمت تماماً !

أرغان : أرأيتم هٰذه المحتالة الصغيرة ؟ أسامحك هٰذه المرّة إن سردت عليّ الأمر بحذافيره.

لويزون : نعم وهو كذٰلك.

أرغان : إحذري جيداً إصبعاً عندها كلُّ الأخبار، ولسوف تفضحك كلّما تعثّرت أو كذبت.

لويزون : أخبرك، فلا تشِ بي لأختي !

أرغان : لا، كلّا.

لويزون : ثمّة، يا بابا، فتى حضر إلى غرفة شقيقتي أثناء وجودي فيها ...

أرغان : حسناً ؟

لويزون : سألته عمّ يسأل، قال إنّه معلّم الموسيقى للشّقيقة.

أرغان : زه زه، تلك قصّته إذن، حسناً وبعد ؟

لويزون : بعده وصلت شقيقتان.

أرغان : حسناً مِنْ بعده ؟

لويزون : صاحت به أختي: « أخرج أخرج أخرج، يا الٰهي أخرج، إنّك هٰكذا تُحرجني ».

أرغان : حسناً بعده؛

لويزون : أمّا هو فلم يرد أن يتزحزح.

أرغان : بماذا كان يحدّثها ؟

لويزون : كان بشتّى الأمور، يحدّثها ... من أين لي أن أعرف ؟ ...

أرغان : وماذا أيضاً ؟

لويزون : ... كيت وكيت ... قال يعشقها، قال إنّها أحلى الناس في ...

أرغان : ثمّ ماذا ؟

لويزون : ثمّ جثا على قدميها ...

أرغان : ثمّ ماذا ؟

لويزون : يلثم يديها ...
أرغان : ثمّ ماذا ؟
لويزون : ثمّ الخالة مثلت بالدّار فولّى الإدبار.
أرغان : لا شيء غيره ؟
لويزون : لا شيء بابا.
أرغان : هوذا الأصبع الصغرى تهمس في أذني (يضع إصبعه عند الأذن) : مهلاً مهلاً، نعم آه، ها؛ نعم آه إنّها تلمّح إلى أشياء شاهدتها ولم تعلميني بعد بها ! ...
لويزون : أفٍّ، يا بابا، إصبعك الصغرى كذّابة، يا بابا.
أرغان : حذار !
لويزون : كذّابة، يا بابا، لا تصدّقْها هي كذّابة.
أرغان : آه، طيّب، سنرى ذلك، انصرفي وتسقّطي لي كلّ شاردة ... إنطلقي ...
حسبنا الطفلة ذهبت ... خلا الجو والمشاكل تتراكم؛ ويضيق بي الوقت ولو لبعض شأني. لم أعد أستطيع الاحتمال.

(يستوي في مقعده)

المشهد التاسع

بيرالد، أرغان

بيرالد : إيه، أخي، ما بك، كيف الحال ؟
أرغان : أوّاه، شقيقي، على أنحس حال.
بيرالد : أنحس حال ؟ وهل هٰذا بالبال ؟
أرغان : أجل، في حالة من الوهن تجاوزت المعقول.
بيرالد : مسألة بها تستدر الشفقة.
أرغان : خانتني قواي، ما أشقاني ! فقد أعياني حتى لساني.

بيرالد : قصدتك، يا أخي، بنصيب أعرضه عليك لابنة أخي؛ أنجليك.
أرغان (**يقوم من مقعده مغضبّاً**) : دع الكلام، شقيقي، عن هذه الوقحة، المحتالة النزقة المشاغبة، أزجها في الدير قبل انقضاء اليومين.
بيرالد : حسناً، حسناً لقد ارتحت الى حيويتك، فزيارتي نفعتك. نحِّ همومك عنك، يا أخي وافتح قلبك للسلوى واشرح صدرك ليصفو ذهنك تمهيداً لمعالجة شؤوننا سوية بتؤدة لذلك، يا أخي، سقت إليك زمرة مصارّ صادفتهم بأزياء المغاربة همّهم الرقص والغناء ولن تعتّم أن ترتاح إليهم كثيراً في مشاهدتهم ارتياحك الى وصفة يصفها لك السيّد بورغون. هلّموا بنا...

الفصل الثالث

المشهد الأول

بيرالد، أرغان، توانيت

بيرالد : إذن، يا أخي، ما رأيك فيها، أليست بمثابة شطفةٍ من شطفات القرفة ؟
توانيت : شطفةٌ من باب أوّل البابات !
بيرالد : والآن أين نحن بأيّ طرفم من أطراف الحديث ؟
أرغان : مهلاً رويدك، شقيقي ريثما أعود.
توانيت : هاك سيدي، ألا تفطن أنّك بدون عكازٍ لا تسير.
أرغان : الحقّ معك.

المشهد الثاني

بيرالد، توانيت

توانيت : من فضلك، لا تتغافل عن شؤون بنت الشّقيق !
بيرالد : أبذل قصارى جهدي، لتحقّق مناها.
توانيت : تفادياً لزواج متهوّر، عند نزوته، هو، رحت أُحدّث نفسي عن طبيبٍ يناسب ويناصرنا نحن على سيده بورغون علّنا به نسوّد صفحته ونثير اشمئزازه

عليه، ولعسرِ إعداد مثل هٰذا الشّخص عوّلت أن ألعب الدور على كفالتي أنا.

بيرالد : كيف يكون ذلك ؟

توانيت : نتركه رهن الصدف، مخيّلةٌ تصوّر، وفطنةٌ تدوّر دعنا؛ أنا أتصرّف وأنت تتحرّك. هوذا صاحبنا يطلّ علينا.

المشهد الثالث

أرغان، بيرالد

بيرالد : لعلّي، يا أخي، ألتمس منك أوّل ما ألتمس، إن شئت ألّا تستسلم للغيظ فيما نتحاول بيننا !

أرغان : قضي الأمر.

بيرالد : وألّا تتبرّم امتعاضاً منّي جواباً على ما سأعرضه عليك.

أرغان : نعم.

بيرالد : وأن نعمل معاً الرويّة في شؤون نتداولها بروحٍ منزّهة عن كلّ نزوة.

أرغان : ربّاه، طيّب. كفاك تمهيداً.

بيرالد : يا أخي، وأنت ما أنت عليه من بحبوحةٍ ، وما حيلتك سوى بنتٍ، إذا ضربنا صفحاً عن الصّغرى، فمن أين لك، إذن، هٰذا اللغط عن إقحامها في دير ؟

أرغان : من أين لي، شقيقي، أن أكون السيّد المطلق أعمل ما أراه خيراً للأسرة ؟

بيرالد : هكذا إذن لا تنفكّ المصونة تحرّضك للتّخلي عن الابنتين ! لا شكّ أنّ روح المحبة تنهزّ أعطافها طرباً لرؤيتهما راهبتين نصوحتين !

أرغان : هٰكذا إذن توصلْتَ إلى إقحام السيّدة المسكينة، حتى باتت هي أصلَ البلاءِ، وعليها نقمةُ الجميع !

بيرالد : كلّا، يا أخي، ما لنا ولها، فخير نواياها مسلّطة على أفراد الأسرة، فهي بنزاهةٍ مجرّدة من كل مصلحة ذاتيّة تغمرك بعطف عجيب غريب، وتطوّق

الابنتين بلطفٍ وحنانٍ يفوقان الادراك. الأمر مفروغ منه. دعنا منها، ولنعد الى سيرة البنت؛ فعلى أيِّ بُنيَّ، يا أخي، تريدُها زوجةً لطبيبٍ ابْن طبيب ؟

أرغان : تحققاً لفكرة طرأت لي زيّنته لي صهراً حسب الطّلب.

بيرالد : ثمّة نصيبٌ، يا أخي، أصلح لابنتك، بينما هٰذا لا يناسبها البتّة !

أرغان : بلى، هو الأنسب عندي، يا شقيقي،

بيرالد : أمن المفروض في العريس أن يكون لك أو لها، يا أخي ؟

أرغان : يكون لي، شقيقي، ولها، ولقد عقدت النيّة لأحشدنّ في أسرتي، كلَّ الذين أفتقر إليهم أنا.

بيرالد : وهلمّ جرّا ... فلو الصغيرة كبيرة لزوجتها إذن من الأجزّائي ؟!

أرغان : ولم لا ؟

بيرالد : أمن الممكن أن تمسي بالصيادلة وبالأطّباء مولعاً لتمرض رغم أنوف الناس وغصبَ الطّبيعة ؟!!

أرغان : ماذا تقصد، يا شقيقي ؟

بيرالد : أقصد، يا أخي، أنّي لا أجد أمرأ مثلك تبرّأ من العلل، فإنّي لا ألتمس لنفسي أعفى من عافيتك، ودلالةً على سلامة صحّتك واستحكام خلقتك، أنّك مهما عالجت نفسك تقصّر عن إزعاج مزاجك دون قصع شبابك، وها أنّك لم تنشقَّ بعد رغم كثرة الشّطفات التي مارسوها عليك.

أرغان : ألا تدري، شقيقي، أنّي بها أحافظ على رشاقتي وعلى رأي السيّد بورغون؛ إنّي لولاها لهلكت في اليوم الثالث ؟

بيرالد : حذار منه، وإلّا صبّ عليك جام حرصه وأرسلك الى العالم الآخر.

أرغان : دعنا، شقيقي، نتروّى بعض الشيء، ألا تثق بالطبّ قليلاً ؟

بيرالد : أبداً مطلقاً، يا أخي، ولا أخال سلامتي متوقفةً على هٰذه الثقة.

أرغان : ماذا ؟ أتستنكر أمراً يقدّره كلّ النّاس ؟ وكلّ العصور تعتبره حقيقةً راهنةً.

بيرالد : لست بحاجب ثقتي فحسب بل أجد الطبَّ أفدح الحماقات بين الملأ، ولا أرى أسخف منه مهزلةً ولا أدنى من امرئ راح يتطفّل على امرئ لشفائه، سيَّما اذا نطرنا اليه نظرةً فلسفيةً.

أرغان : لماذا، يا أخي، لا تتوخّى شفاءً من مرء لمرءٍ ؟

بيرالد : إستناداً الى دواخل طبعنا الذي تكتنفه الأسرار والمعمّيات، حتى أيّامنا هٰذه، فلا النّاس يوفّقون إلى اليسير اليسير منه ولا الطبيعة تنفرجّ لهم عن ستائرها الكثيفة للأخذ من العلم ولو بطرفٍ ضئيل.

أرغان : يعني، أن الأطباء، في نظرك، إنّما يهرفون بما لا يعرفون.

بيرالد : تماماً، يا أخي، أولاء الآخذون من كلّ حرفٍ بطرف، من اللاتينيّة القانونيّة، الى اليونانيّة الطبيّة تسميَةً للعلل وتحديداً وتصنيفاً لها ما عدا التداوي بها؛ فإنّهم في منأىً بعيد عنها.

أرغان : ... طالما نحن متّفقان على حسن دراية النّطاسيّين وبراعتهم في هٰذه الأمور، أكثر من غيرهم ... فلا بأس عليهم.

بيرالد : كما نوّهت لك بمعارفهم إنّها لا تُغْني عن وعكة ولا تُغْني فتيلاً؛ وليس من فضلٍ لتنطّسهم إلّا بعباراتٍ عويصة طنّانةٍ وزمزماتٍ مدبّجةٍ تنشر المسبِّبات كلاماً عديداً، والمسبَّبات مواعيدَ.

أرغان : حسناً، يا شقيقي، ثمّة خلقٌ لا يقلُّون عنك لا فطنةً ولا دهاءً، وعند العلّة يرتدّون الى الأطباء شأنهم شأن كلّ بني البشر.

بيرالد : تلك أمائر الضّعف البشري، لا الشّهادة لهم على صدقِ فنّهم.

أرغان : علّهم لا يرتابون يوماً في صدق فنّهم، فيما يمارسون على ذواتهم.

بيرالد : لعلّ في ظهرانيْهم من يستفيدون من انجرافهم في تيّار شعبي عارم، مع أنّ غيرهم ما عدموا الفائدةّ المتوخّاة دون أن ينغمسوا فيه بالضّلال. هاك السّيد بورغون مثلاً. هو على غلاظته نطاسيٌّ من أمّ رأسه الى أخامص قدميه وله ركزات يرتكز اليها أكثر من قناعاتٍ رياضيةٍ يبرهن لها، والجرم كل الجرم، الطعن في الطبِّ، حيث لا غموض ولا شكّ ولا عسر فيه. بل بلباقة الإستدراك وتلافي الأمور، يتزعزع ثقةً ويسمج ذوقاً ورأياً في معالجاته. مسهلات البطن وتفصّد الدّم دون أن يقيم حضرته أدنى وزن لهما. فلا ضير عليه ممّا يصيبك منه إنّه بأضعف الإيمان، ينفض يديه منك، ولا بأس عليك إن وقعت ضحيّةً له في ما زوجته وأولاده وقعوا، وحتى هو نفسه إذا لزم الأمر يقع ولا شكّ.

أرغان : هٰذا لأنك تحقد، منذ نعومة أسنان الحليب عليه. فما ترى، حيلة المريض معه لعمري ؟

بيرالد : لا شيء، يا شقيقي.

أرغان : لا شيء ؟

بيرالد : لا شيء، البتّة؛ الإخلاد الى السكون أولى؛ فالطبيعة من تلقاء نفسها تتكفّل بتنظيم الفوضى الطارئة، كلّما تركناها وشأنها. إنّما القلق وقلّة الصّبر مدعاة للإضطراب. فمعظم الأنام لا يهلكون بالعلل بل بعقاقيرهم.

أرغان : نحن متّفقان، يا شقيقي، طالما نهبّ لإسعاف الطّبيعة في شتّى الأمور، ونساندها.

بيرالد : ربّاه، كم من رأي نلوكه في سرّنا، يا أخي، فالبشريّة لا تُعْدم من مخيّلاتٍ فتّانةٍ، تخلب لبّنا، تتملّقنا وكانت سراباً. إسمع نطاسيّاً يحدّث عن مساندة الطّبيعة بازالة ما يعيبها، وترجيح ما ينقصها، لتنظيمها، بإعادة نشاط وظائفها فلا حرج عليه إن ذكر لك سَدَدَ الدّم، وتلطيف جوّ الأحشاء، والدّماغ وتفريغ الطّحال، والتئام الصدر، وترميم الكبد وإنعاش القلب، وضبط الحرارة الطّبيعية، والمحافظة عليها والتلاعب بأسرار تمديد الرمق الأخير إلى سنين مديدة؛ تراه؛ يسرد عليك سيرة الطبّ في طرفة عين، وعندما يصحّ الصّحيح ويأزف أوان الإختبار لا تختبر شيئاً منها. كأنّها أحلامٌ رائقةٌ لا تخلّف لك في اليقظة سوى غصّة انطلاءِ الحيلة عليك.

أرغان : في رأسك معارف الدنيا لتنافس نطاسيّي زماننا العظام ؟

بيرالد : عُظَماء خطابة، بُلَهاء طبابة إلى فئتين : أبرع النّاس هذراً، وأحمقهم خُبراً. هؤلاء هم أعظم النّطاسيّين في نظرك.

أرغان : إيه منك، أراك علّامة جهبذاً ! ليتهم فاجأوك بسيّدٍ من سادتهم، إذن لسَفّهوا تفكيرك وخفّفوا من غلوائك.

بيرالد : لا، يا أخي، ما أخذت على عاتقي مناوأة أولاء السّادة الأطباء، كلّ وشأنه، إن سعداً وإن نحساً؛ إنّه مجرّد حديث في سرّنا لا يذاع. إنّما توفيراً للتسلية عليك، وتنفيساً لكربتك، تمنّيت مرافقتك الى ملهاة موليير تتفرّج بها، في موضوع كهٰذا حرفيّاً.

أرغان : ممثّل وقح في هزليات سمجة، لا أجد موليبراً إلّا ألعوباً ساخراً، في تقليده أدوار أولاء الحكماء الأشراف.

بيرالد : إنّه لا يتقلّد الأطبّاء بالذّات بل يسفّه سخافتهم.

أرغان : شأنه التندّر على الطبّ والتطبيب، يا له من مغفّل وقح يتناول الشّخصيات والوصفات بالسخريّة متحدياً الجسم الطبّي فهو لا يبرح يتمادى على مسرحه مجرّحاً الشخصيات الأماثل على شاكلة هؤلاء الأسياد !

بيرالد : وما عساه يتناول غير تفاوت المهن بين الناس ! لقد شبعنا ماّ يعرض يومياً من أمراءَ وملوكٍ هم أيضاً من سلالات عريقةٍ على شاكلة الأطبّاء.

أرغان : أعوذ بالله... أعوذ بالله من الشّيطان، لـو أنّـي بـدل الأطبـاء إذن لانتقمت من سماجته؛ أتوقّع له أن يعتلّ، ومتى فعل، أتركه يفطس دون أن أمدّ له يد المعونة. ومهما تودّد وأطلق من طرف اللسان حلاوةً، ما وصفت له أدنى فصيدة عِرْقٍ، أو شطْفةِ معدة، بل أصرخ به: « ليتك تنشقّ وتفزر، هٰـذا يلقّنك درساً في التّمثيل على حساب الطّب ».

بيرالد : ها إنّك تستشيط غضباً عليه !

أرغان : نعم، وما على الأطباء، إن كانوا حكماء، سوى أن يتقيّدوا برأيي فيه، فهو رجلٌ، « ابن الهلاك ».

بيرالد : لكنه أحكم من كافة حكمائك على ما يبدو ولن يمدّ يده نحوهم أو يستنجد بهم، ولا مرّة.

أرغان : إن أدار وجهه عن الاستشفاء، فلسوء حظّه.

بيرالد : عذره في الحرمان؛ اقتناعه من أنّ للأقوياء الأصحاء وحدهم الحقَّ على التداوي لتمتّعهم بقوّةٍ احتمال الأدوية مع معاناة المرض، أمّا هو فإنّه يكاد يطيق مرضه، فكيف إذا كان معه الدّواء ؟

أرغان : ما هٰذه سوى أعذارٍ أقبح منها ذنوباً. حسبك، يا شقيقي، دعنا من هٰذا الرجل، الحرارة آخذةٌ بالمرارة، وأنتَ السبب في تفشّي وجعي.

بيرالد : أجل، ما لنا وله، يا أخي، وتغييراً لمجرى الحديث أقول لك : « إنّك لست مرغماً على زجّ بنتك في ديرٍ، من أجل ما بدر منها من تبرّم بأوامرك؛

ولا ينبغي لك التّغاضي، بمجاراة نزوتك، عن مراعاة هواها، لأنها مسألة حياة تناط بها سعادة الزّواج ».

المشهد الرّابع

السيّد فلوران (بيده الحقنة)، **أرغان، بيرالد**

أرغان : عفوك، شقيقي !
بيرالد : ما بك، ماذا تفعل ؟
أرغان : أهمّ بشطفة صغيرة، في طرفة عين.
بيرالد : ما هٰذا العبث ! ألا تستغني لا عن شطفةٍ ولا عن علاجٍ لبرهة، أرجئها الى مرّة ثانيةٍ ، ألا رويدك، توخّ الراحة.
أرغان : عِمْ مساءً، أيّها السيّد فلوران، أو الى الغدّ في غير آن.
السيّد فلوران (إلى بيرالد) : أتمانع في إجراء الوصفات الطبيّة، وتمنع السيّد من غسلةٍ أشطفه بها ؟ إنّها لدعابةٌ جسورةٌ من طرفك !
بيرالد : إليك عنّا، أيّها السيّد، من الواضح أنّك لم تعتد الحديث الى الوجوه.
السيّد فلوران : لا عبثاً بعلاج، ولا تبديداً لوقتي، أنا ما حضرت إلا تنفيذاً لأوامر مشدّددة. وسأبلّغ السيّد بورغون أنّه حِيْلَ، بيني وبين تنفيذ الأوامر، وتأدية الوظيفة، وقد أُعْذِرَ من أنذر.

(ينصرف للحال).

أرغان : ستكون، شقيقي، علّة شرّ مستطير.
بيرالد : حقاً، يا أخي، إهمال حقنة السيّد بورغون، هي أفدح الشرور ؟! أحقاً، عُدمْت أيَّ وسيلةٍ لشفائك من علّة الأطبّاء ؟ أم يطيبُ لك أن تبقى، عمرك، مدفوناً في عقاقيرهم ؟
أرغان : ربّاه، شقيقي، كلامك كلام صاحب صحّةٍ وعافية، فلو كنت بدلي لبدّلت كثيراً من لهجتك، من السّهل التهجّم على الطبّ بينما الصّحيح يرفل بقميص العافية.

بيرالد : بحقّك ما هي علّتك ؟
أرغان : إنّك هٰكذا تثير حفيظتي، ليتَ مصيبتي مصيبتك؛ لنرى بعدها، مدى هرجك ومرجك ! إيه هوذا السيّد بورغون آتياً بنفسه.

المشهد الخامس

السيّد بورغون، بيرالد، أرغان، توانيت

السيّد بورغون : أنبئت ثمّة أنباء سارةً، عند الباب، مفادها أنّ وصفاتي عندكم هُزأةٌ، والموصوف من عَقّاري، منبوذ هٰهنا.
أرغان : أيّها السيّد، ما هو إلّا ...
السيد بورغون : هي الجسارة بعينها، مريضٌ يشقّ عصا الطّاعة على طبيبه، يا للعجب !
توانيت : يا للفظاعة ؟!
السيد بورغون : لغسولٍ مكيفٍ على كيفي، وهو من صنع يدي.
أرغان : ما أنا بـ ...
السيد بورغون : مؤصّلٌ على الأصول فنّياً، غسولٌ، مشغولٌ، محلولٌ ...
توانيت : الحقّ عليه.
السيد بورغون : من شأنه أن يفعل فعلته الحسناء في الأحشاء.
أرغان : إنّه شقيقي.
السيد بورغون : وفي إخلاء سبيلهِ ازدراءٌ به.
أرغان : إنّه، هو.
السيد بورغون : فظاعة !
توانيت : هٰذا الصحيح.
السيد بورغون : دسيسة على الطبّ عظيمة.
أرغان : هو العلّة ...
السيد بورغون : جريمة استهتار بالكليّة الطيّبة، ولا عقاب يفي بالاقتصاص منها ...

توانيت : الحقّ معك.
السيد بورغون : ها إنّي، على رؤوس الأشهاد، أجاهر بقطع العلاقة بك ...
أرغان : ذاك شقيقي.
السيد بورغون : إنّي، أستنكف عن شدّ أواصر المصاهرة معك.
توانيت : حسناً تفعل.
السيد بورغون : ومن أجل فصْم كلّ الأواصر، هاك وِصْراً رصدته لزواج ابن شقيقي.

(يمزّق صكّ الهبة بكلّ حدّة).

أرغان : شقيقي أصل البليّة.
السيد بورغون : استهتار بالحقنة.
أرغان : عليَّ بها، إستدعه ليعطنيها.
السيد بورغون : كنتُ عَما قريبٍ، أخرجتك من ورطتك.
توانيت : إنّه غير جديرٍ بها.
السيد بورغون : أوشكت أن أنظّف بدنك، مطلقاً أخلاطه العفنة للخلاص منها لمرّة.
أرغان : آه منك، شقيقي !
السيد بورغون : ذرّينة توضئات بعد، لأسْلُتَة دُوّارة جوفك من قعرها.
توانيت : غير جدير بعنايتك.
السيد بورغون : لكنّك حيث أبيت الشّفاء، عن يدي ...
أرغان : ليست غلطتي.
السيد بورغون : وحيث شقّيت عصا الطاعة عن طبيبك ...
توانيت : هٰذا يستصرخ الإنتقام ... الإنتقام.
السيد بورغون : وحيث أعلنت العصيان على العقاقير المعيّنة ...
أرغان : لا، أبداً.
السيد بورغون : قلتُ أخلّيك معطوباً في بنيةٍ رديئةٍ، وأحشاءَ مضطربة، ودم متقذّر، ومرارةٍ محتدمةٍ، ومزاج عكر ...
توانيت : هٰذا أفضل من رعايتك له.

أرغان : ربّاه !
السيد بورغون : لعلّي قبل انصرام أيّامك الأربعة، أخلّيك في حالةٍ يُرثى لها.
أرغان : أوّاه، رحماك !
السيد بورغون : أتركك فريسة عملية هضمٍ سقيمة.
أرغان : سيّدي بورغون !
السيد بورغون : ومن هضمٍ متقطّعٍ سقيم، الى انقطاع هضمٍ ذميم.
أرغان : سيّدي بورغون !
السيد بورغون : ومن إسهالٍ وخيم، الى استطلاقٍ مُديم.
أرغان : سيّدي بورغون !
السيد بورغون : ومن استطلاق مُديم، الى زحارٍ لئيم.
أرغان : سيّدي بورغون !
السيد بورغون : ومن زحار لئيم، الى موتٍ زؤامٍ أليم، الى حيث يُفضي بك جنونٌ رجيم.

المشهد السّادس

أرغان، بيرالد

أرغان : أوّاه، ربّاه، لقد هلكت، شقيقي أنت أجهزت عليّ.
بيرالد : ما بك ؟ ما الأمر ؟
أرغان : لم أعد أطيق الاحتمال، هوذا الطبُّ آخذٌ بالتشفّي منّي، الويل لي.
بيرالد : إنّك وآيم الحقّ، يا أخي، إنسانٌ مخبولٌ، ثمّة أمورٌ، وأمورٌ تمارسها أنت، أو يمارسونها عليك. لا تروقني فيك. جُسَّ نفسك قليلاً، أرجوك تمالك روعك، ولا تشرد هكذا سارحاً بمخيّلتك.
أرغان : أرأيت، يا شقيقي، كم تهدّدني بالويل والثّبور وعظائم الأمور ؟
بيرالد : يا لك من إنسان قصير الإدراك !
أرغان : زعم، يا شقيقي، أنّه سينفض يده منّي قبل الأيام الأربعة !

بيرالد : وما عساه يبلغ بك زعمه ؟ أمن شفتيه مهبط الإلهام، يخيّل إلى سامعك أن السيّد بورغون، بسلطته المطلقة يقبض بيديه على شبكة أيّامك، يمطّها أو يصرّها على هواه تصوّر أنّ مقاليد عمرك منوطةٌ بك، وحدك، وأنّ غيظَ السيّد بورغون مهما استشاط عليك يعجز عن صرعك كما يعجز عن برئك فإذا رمت التملّص، من ربقة الأطبّاء تذرّعْ بهٰذه الحيلة، ما لم تكن ولدت؛ ومقاليد أمرك في أيديهم، يمكنك والحالة هذه أن تلتحق، يا أخي، بآخر غيره لا يورّطك هٰذه الورطة.

أرغان : أوّاه، شقيقي، هو بدخيلة طبعي أدرى وبسياسة أمري هو أعلم.

بيرالد : لا بدّ لي من الإقرار بسرعة حِسّك المدهشة وبصدق فراستك، باستشفاف الأمور العجيبة الغريبة.

المشهد السابع

توانيت، أرغان، بيرالد.

توانيت : سيّدي، بالباب طبيبٌ يلتمس الدخول عليك.

أرغان : من الطبيب ؟

توانيت : نطاسيٌّ متنطسٌ.

أرغان : أسألك من ترينه يكون ؟

توانيت : لست أعرفه، بيد أنّنا نتشابه كنقطتين ولولا المصونة لقلت إنّه شقيقٌ صغيرٌ شقّته لي الوالدة منذ غيبة الوالد.

(هنا تخرج توانيت).

بيرالد : خدمةٌ غبّ الطلب؛ طبيبٌ يفارق، وآخر يوافق.

أرغان : أخشى من علّة شرّ مستطير.

بيرالد : لقد عدْت إلى نفس النغمة: « الشرّ المستطير ».

أرغان : تجدني مطموراً بشتّى العلل، وهي لا تنفَكّ تتقاذفني... ذلك...

المشهد الثامن

توانيت (متنكّرة كطبيب)، أرغان، بيرالد.

توانيت: إنّ سيّدي، يتفضّل عليّ، بقبول زيارتي له، لعلّي أبذلُ نفسي لقضاء حاجاته الماسة؛ من فصدٍ إلى شطفٍ...

أرغان: عليّ سيّدي فضلك العميم. لعمري ما هو إلّا توانيت بالذّات.

توانيت: عفوك سيّدي، سأرجع لعيادتك ريثما أسند مهمّة نسيتها لخادمّي، إلى اللّقاء.

(تنصرف توانيت على الأثر).

أرغان: إيْه! بداهةً، ألا يتراءى لك أنّه توانيت حقّاً.

بيرالد: صحيح، الشبه كبير، وغالباً ما نعهده في القصص التي لا تغصّ إلا بمثل أفانين الطّبيعة هٰذه.

أرغان: من جهتي لقد تملّكتني الدهشة فحيّرتني...

المشهد التاسع

توانيت، أرغان، بيرالد

توانيت (وقد خلعت ملابسها الطبية بسرعة خاطفة يصعب معها التصديق بأنها هي التي ظهرت بمظاهر الطّبيب): أمر سيّدي.

أرغان: كيف!

توانيت: أما ناديتني؟

أرغان: أنا؟! كلّا.

توانيت: هٰذا إذن هدير النّفير في أذني، يهتف لي ويدقّ لي.

أرغان: مهلاً، ريثما ترين كم الطّبيب يشبهك.

(وهي منصرفة): آه، حقّاً، ثمّة لي شغلٌ شاغلٌ، أنا عاينته طويلاً.

أرغان: لو آنّي لا أعاينها فردَ مرّة، لقلت؛ إنّهما فردان وفردي.

بيرالد : كم طالعتني، المذهلات المدهشات، في مطالعاتي عن مثل هذه المحاكاة، وما عهدناها من مضاهاة في زماننا، قد انطلت على الجميع.
أرغان : وكادت أن تنطلي عليّ، وكدت أقسم أنّه نفس الفرد هو هو بعيونه.

المشهد العاشر

توانيت (متنكّرة بزيّ طبيب)، **أرغان، بيرالد.**

توانيت : سيّدي، التمس عفوك، من صميم فؤادي.
أرغان : إنّ في الأمر لعجباً.
توانيت : من فضلك، لا تمتعضنّ من فضولي في زيارة مريض، ذائع الصيت نظيرك، إن شهرةً طبّقت الآفاق، عذرٌ لي، في حريّة التصرّف.
أرغان : جُعِلْتُ أجيرك، سيّدي.
توانيت : أراك، سيّدي، تحملق فيّ مليّاً، كم هو عمري برأيك ؟
أرغان : تناهز السادسة أو السابعة والعشرين باعتقادي ... أو تكاد.
توانيت : آه ها، ها، ها، عمري تسعون سنة.
أرغان : تسعون ؟
توانيت : هوذا بعينك، تعاين أفانين فنّي عليّ، محافظةً على نضارتي. وفتوتي ومتانتي.
أرغان : لعمري، هوذا شابٌ وسيمٌ، عجوزٌ في التسعين !
توانيت : طبيب متجوّل، من مدينة الى مدينة، من إقليم الى أقليم ومن مملكة الى مملكة، وما ذلك إلّا التماساً لمواد طبّية على المستوى، رهن بدعي، تفتيشاً عن سقماء جديرين باهتمامي، أهلٍ لممارسة ما وُفِّقتُ إليه من الطبّ، لأسرار بديعة عظمى، وإنّي لأربأ بنفسي أن أتلهّى بأمراضٍ هٰكذا يسيرة مبتذلة، من عصبيٍ تافه، إلى ربو سخيف... من حُمّيَّة إلى أبخرةٍ إلى صداعٍ، إنّما أتوخّى العللَ الفادحةَ والحميّات السخينة المستديمة، مع هذيان في الدماغ، حميّاتٍ حمراءَ رمضاءَ طاعوناً طاعناً، وزحاراً حارّاً، ونزلاتٍ

نزلاءَ، مرفقةً بالتهاب صدريّ متعاظم، فهناك أنا المجلّي في ذاك المضمار، ونعم الأيْدِ لي.
أريدك إذن متحلّياً بكلّ البلايا التي ذكرت وأن يكون الأطباء؛ جميع الأطباء، قد نفضوا منك يديهم وأن تكون أنت في احتضارٍ يائسٍ لأبيّن لك حينئذٍ فضلَ علاجي، وأستشهد على صدق الولاء في خدمتك ...

أرغان : كم تراني مديناً لك، سيّدي لأفضال ستطوّقني بها ...

توانيت : أرني مجسَّك، هاتِ لي نبضاً خالصاً، أرني لأريك، إيْه، اللّوم كل اللّوم على نبضٍ مختلٍّ أرى أنّك لم تعرفني بعد، من هو طبيبك ؟

أرغان : هو السيّد بورغون.

توانيت : ذلك، المرء، غير واردٍ في سجلاتِ عظامِ النّطاسيّين عندي، وممّ يزعم لك أنّك تشكو ؟

أرغان : هو قال الكبد، وغيره الطّحال.

توانيت : طُغامٌ، جهالٌ؛ علّتك من الرّئة.

أرغان : من الرّئة ؟

توانيت : أجل، وبم تشعر ؟

أرغان : بصداعٍ متناوبٍ.

توانيت : بالضّبط من الرّئة.

أرغان : أشعر بغشاوةٍ على العينين، حيناً.

توانيت : من الرّئة.

أرغان : وأحياناً أشعر فَأداً في الفؤاد.

توانيت : من الرّئة.

أرغان : أشكو استرخاءً بالأطراف، حيناً.

توانيت : من الرّئة.

أرغان : وحيناً، جُسَاداً، كأنّه المغص في البطن.

توانيت : من الرّئة، أما من قابليّة، بتناول الطعام ؟

أرغان : بلى سيّدي.

توانيت : من الرّئة، وبارتشافك الخمرة ؟

أرغان : بلى سيّدي.

توانيت : من الرِّئة، إثر الوجبة، تشعر بنعاس إنعاماً لعينيك فينطبق جفناك، وحضرتك رضيٌّ رخيٌّ وبِمَ يخلّل عليك الطّبيب، بالحميّة ؟

أرغان : يتخلّلها الحساء، كما يشير عليّ.

توانيت : جاهلْ.

أرغان : الفراخ.

توانيت : جاهلٌ.

أرغان : العجل.

توانيت : جاهلاً.

أرغان : المغالي.

توانيت : جاهلٌ.

أرغان : المقالي؛ بيضاً طازجاً.

توانيت : جاهلٍ.

أرغان : الخوخ المطبّخ المجفّف، مساءً للإسهال.

توانيت : جاهل.

أرغان : لا سيّما الخمرة الحمراء مشوبةً بالماء.

توانيت : مَجْهَلَةٌ، مُسْتجهلٌ، جَهُولُ.

عليك بالخمر صرفاً، تكثيفاً لنجيع سيّالٍ، إستساعةً بعجلٍ مسمّنٍ، وخنزير دسم. من الجبنة، خذها هولنديّة. تناول البرغل بالأرّز وبالكستناء، وكُلِ الفطائر لاصقةً مطبّقةً لزقةً، تزيدك بدانةً واكتنازاً.

ما طبيبك إلّا دابّة من الدّواب، أنا أزوّدك بيدي، بما أراه لك حسناً. سأعود بين الفينة والفينة، كلّما عرّجت على المدينة.

أرغان : أفضالك غمرتني أيّها السيّد.

توانيت : وهٰذه الذراع، ويحك، كيف تحرص عليها دون الأخرى ؟

أرغان : كيف ؟!

توانيت : لو أنّي منك، لبترتها في الحال.

أرغان : لم ؟!

توانيت : ألا تجدها الأغذى ؟ يعني أنّه تستقلُّ بغذائها لتحرمها منه !
أرغان : بلى، لكنّي بحاجة إليها، ذراعي...
توانيت : وعينك، تلك اليمنى، أفقأها لو أني منك.
أرغان : عينٌ تُفْقَأُ !
توانيت : ألا تجدها هي الأغذى، عالةً على الأخرى ؟ حيث إنّها تحرمها غذاءَها منها، ثق بي، وجِدْ من يفقأها لك، في أقرب وقت، وسترى هٰكذا بوضوح أكثر، بالحدقة اليسرى.
أرغان : على رسلك، لسنا في عجلة من أمرنا.
توانيت : إلى اللقاء، آسف لفراق هٰكذا خاطف، ورائي استشارةٌ عظمى، تثبّتاً من أمرِ امرئ توفّي بالأمس.
أرغان : توفّي بالأمس ؟!
توانيت : أجل، ترجيحاً الآن، لما كان ينبغي تلافيه قبل الآن لتحقيق الشفاء. بالالماع اليه ــ الى اللقاء !

(تكون توانيت انصرفت دون أن يشيّعها الى الباب)

أرغان : لا يخفى عليك أن المرضى، لا يشيّعون أحداً.
بيرالد : هوذا طبيب، ماهر لبيب.
أرغان : نعم لكنّه متهوّر حميس قليلاً.
بيرالد : كلّ النّطاسيّين النّطسُ هٰكذا.
أرغان : ما بين بتر الواحدة، لتتعافى الذرٰاع الأخرى. وسمل الواحدة لتتعافى العين الأخرى، أفضّل ألاّ تتعافى الأخرى بهٰذه الدفعات. تبّاً لها من عملية، تخلّفني أَعْوَرَ أَكْتَعَ.

المشهد الحادي عشر

توانيت، أرغان، بيرالد

توانيت : جعلت جاريتك، لا طاقة لي على الدَّغدغة كفانا دعابة.
أرغان : ما بك ؟
توانيت : هو طبيبك، ويتحمّس لي نبضي.
أرغان : يا له من شابٍ وثّاب ... وهو في التّسعين !
بيرالد : ها الخصام يستحكم بينك وبين السيّد بورغون فدعني، يا أخي، أفاتحك بنصيبٍ يتهيّأ لبنتِ شقيقي، أتسمح ؟
أرغان : لا يا شقيقي، إنّما نصيبها الدّير، لمعاندتها إيّاي، لقد اتّضح لي أنّ غراماً يحاك، ويلوح، وهي حتى الآن لا تفطن الى ما كشفت من لقاءاتها السرّية.
بيرالد : حسناً، يا أخي، وهل الهوى المتفّتق جريمة لا تغتفر ؟ وهل الأمور الشريفة تُضيرك معقودة للزواج ؟
أرغان : مهما كان، فالأمر لا مفر منه، مصيرها راهبة، يا شقيقي.
بيرالد : ثمّة خاطر تنوي مراعاة صاحبته ؟
أرغان : فهمت، إنّك تردّد القصّة، فزوجتي في حلقومك، غصّة.
بيرالد : أي نعم، أقولها بالفم الملآن، يا أخي، إنّها زوجتك، لا عناد الطبّ أعندُ منها ولا فخاخها المنصوبة ألدُ من تعافيك وانقيادك إليها، تنجرُّ صاغراً، ورأسك غير مرفوع أمامها.
توانيت : إيْه سيّدي، دعك من الحديث عن المصونة فهي معصومة، لا كلام عليها، المرأة المحبّة للرجل المحبّ ... هٰذا ممّا لا غبار عليه.
أرغان : سلها عن مداعباتٍ لا توفرها عنّي.
توانيت : هٰذا هو الصّحيح.
أرغان : سلها عن قلقها لمرضي.
توانيت : حقاً.
أرغان : سلها عما يحزّ في قلبها، لعناءٍ تحوّطني منه.
توانيت : حقاً حتماً.

(الى بيرالد) : أتسعى حقاً، الى التأكّد من غرام السيّدة بالسيّد. (الى أرغان) : خلّه عليّ، سيّدي، أتركني أريه سذاجته حالاً وسريعاً، هو طريء العود بسيط النيّة غشيم، دعني أمزّق عن عينيه كلّ غشاوةٍ وأفضح له كلّ جهالاته ...

أرغان : وكيف ذلك ؟

توانيت : السيّدة قادمة، عمّا قريب، فتمدّد أنت بطولك، على المقعد وتماوت، فأنا عندما أنبئها بموتك، تشاهد مبلغ أساها.

أرغان : هذا ما أودّه.

توانيت : أي نعم، إنّما لا تتمادَ في التّماوت فقد تقضي عليها القضاء المبرم.

أرغان : دعيني أفعل.

توانيت (الى بيرالد) : وأنت توارَ من هنا الى الزّاوية.

أرغان : أما من خطر عليّ بالتّظاهر بالموت ؟

توانيت : لا خوف عليك أنت، إنّما تسطّح هٰهنا (بصوت خافت) يا لفرحتي، بتسفيه أخيك ومغالطته، ها هي السيّدة آتية، تماسك جيّداً.

المشهد الثاني عشر

بالين، توانيت، أرغان، بيرالد

توانيت (مولولة) أوّاه، ربّاه، وامصيبتاه، واحسرتاه ! واعجباه !

بالين : ما بالك، يا توانيت، ما بالك تولولين !

توانيت : أوّاه، سيّدتي.

بالين : ما الخطب ؟

توانيت : زوجك، توفّاه الله.

بالين : توفّي زوجي ؟

توانيت : واحسرتاه ! أجل، يا للمسكين ! كيف قضى نحبه !

بالين : حقّاً ؟

توانيت : حتماً، حقّاً. إنّما الحدث ما تفشّى بعد الى احد كنت هنا وحدي

ولا أزال حين أسلم الروح بين ذراعيّ، وها هو مُنْسطِحٌ على المقعد بطوله.

بالين : « المجد في الأعالي » لقد انزاح حملٌ ثقيلٌ عن كاهلي ما أشدّ غباوتك في التفجّع على الوفاة، يا توانيت !

توانيت : وجدتني هٰكذا الى البكاء ألزم، يا سيّدتي.

بالين : هيا هيا لا تحترزي في مسألةٍ تافهةٍ كهٰذه ليس بفقدانه أيّة خسارة، لعمري، ما المنفعة من رجلٍ جلوطٍ في قومه، قذرٍ، مقرفٍ، شطّافٍ، غسّالٍ، بذواخله !

لا ينفكّ ساعلاً، ماخطاً، نافثاً أبداً ولشرّ مزاجه هو ضجرٌ سمجٌ. مرهقاً كل قومه، مرعباً كل خدمه وجواريه بشرّ تعبيراته !

توانيت : هوذا مرثاة تأبين لا غبار عليها.

بالين : قومي لتنفيذ مآربي، ولك مني مكافأة كبرى، إن أدّيت لي الخدمة النّصوحة، لحسن حظّنا أن ما من أحدٍ يتنبّه بعد للحدث. نحمله الى سريره، ونكتم الوفاة ريثما أنجز فعلتي، ثمّة وثائق وثمّة أموال، سأضع يدي عليها فليس عدلاً أن أكون بذلت له شرخ الشّباب وريعان الصبا دونما ثواب أو ربا ! الأحرى بنا أن نقشّ هٰذه المفاتيح، يا توانيت !

أرغان (ينهض فجأةً) : مهْلاً، وعلى رِسْلِك.

بالين (مرتعبة مبغوتة) : أيّ.

أرغان : بخٍ، بخ، سيّدتي الزوجة، أهٰذه محبتك لي أنا !

توانيت : بخٍ المرحوم لم يمت بعد.

أرغان (إلى بالين، وهي منصرفة) : يطيب لي أن أعاين مآثركِ وأسمع مرثاتك البديعة فيّ، إنّ اللّبيب من القراءة يفهم، وهٰذه ملاحظة للقارئ اللّبيب، تجعلني فطناً في المستقبل وهي إشارة تردعني عن اقتراف أمورٍ شتّى.

بيرالد (خارجاً من مخبأه) : حسناً يا أخي، الحظّ يحالفك هٰذه المرة.

توانيت : لعمري ما صدّقت عينيّ، مهلاً إنّي أسمع بنتك، عد الى سابق عهدك ولنرَ كيف هٰذه تتلقّى الوفاة. تجربةٌ لا بدّ منها ولا ضير فيها. وهٰكذا تطلع حضرتك على شعور العائلة الكريمة تجاهك وأنت مسطّحٌ ميت.

المشهد الثالث عشر

أنجليك، أرغان، توانيت، بيرالد

توانيت (مولولة) : العياذ بالسماء، أوّاه، يا لها من ضربةٍ قاصمةٍ يا له من نهار مشؤوم، أوّاه !

أنجليك : ما دهاك، توانيت، ما الذي يبكّيك ؟

توانيت : ما لك وأخبار الشؤم منّي، واحسرتاه !

أنجليك : أوّاه ! ماذا !

توانيت : أبوك، قضى نحبه.

أنجليك : مات، توانيت، أبي ؟

توانيت : أجل، هوذا الوالد، وقد مات حتف أنفه، منذ حين. بعد أن خارت قواه، هكذا، فجأةً.

أنجليك : أعوذ بالسماء، من المصيبة، يا للفاجعة العاتية ! واحسرتاه ! أفقده، وما لي في الحياة سواه ! أبي ! وإمعاناً ليأسي أفقده وهو في ذروة غضبه عليّ، ماذا حل بي ! أنا التعيسة وأيّ تعزيّة لي بعد فداحة الخسارة !

المشهد الرابع عشر

كليانت، أنجليك، توانيت، بيرالد

كليانت : ما بك أنجليك الفتّانة، وَيْحَ عينيك ما تندبين ؟

أنجليك : واحسرتاه ! أندب أعزّ منْ كلّ عزيز خسرت، وأبكي أثمن مِنْ كلّ ثمينٍ فقدتُ، إنّي أندب وفاة والدي.

كليانت : أعوذ بالسّماء من فاجعةٍ صاعقةٍ ، واحسرتاه ! أيُّ خطب هو هٰذا! بعد رجائي لتدخّل عمّك عنده، جئتُهُ متذرّعاً بآي الاحترام وآيات الاستعطاف معلّلاً النفس بانعطاف قلبه عليّ ليسلّمك اليّ، تحقيقاً للأمنيّة...

أنجليك : إيْه كليانت، دعنا الآن من كلّ هٰذه الأقوال لنترك الزواج جانباً، من

بعد موت أبي، لم يعد العالم كلّه يملأ عينيّ، إنّي أتخلّى عنه، إلى الأبد. نعم، يا أبي. إن كنت أبَيْت الامتثال لأوامرك، بودّي أقلّه الآن أن أمتثل لواحد منها وهٰكذا أعوّض عن حزن، أقرّ أنّي سبّبته لك. هي كلمة واحدة منّي : « أن إرْضَ عنّي يا أبي »، وها أنا أعانقك تبياناً لك عن صدق شعورٍ يخالجني.

أرغان (**ناهضاً**) : إيْهِ ، يا ابنتي !

أنجليك (**مرتعبةً**) : أيَّ.

أرغان : حتماً بنتي، بعض دَمي، هلمّي لا تخافي. لستُ بميتٍ، لا عليك، وخفّفي عنك. فإنّي راضٍ عن طيب عريكتك، كلُّ الرّضى.

أنجليك : يا للمفاجأة السارّة يا والدي، ها إنّ السماء تعيدك إليّ تتويجاً لآمالي، تقبَّلْني إذن جاثيةً على قدميك لأستعطفك في هذا الشأن بالذّات، إنْ لم تكن راضياً على هوى قلبي، ورفضت كليانت قريناً لي أرجو ألّا ترغمني على الزواج من آخر غيره، هٰذا جلّ مبتغاي. من فضلك.

كليانت (**جاثياً على ركبتيه**) : إيه سيّدي، تعطّف علينا لرجاها وأمانيّ ولا تلجم اندفاعاً متبادلاً بالهوى الفتّان بيننا.

بيرالد : أتطيف بعدُ تجبّراً يا أخي ؟

توانيت : أتصمد، سيّدي، بدون إحساس عارف أمام غرام جارف ؟

أرغان : ليعدّ نفسه نطاسيّاً، أوافق على عرسه، نعم، أعدّ نفسك طبيباً أعذك بآبنتي.

كليانت : بكل طيبة خاطر، إن صاهرتني طبيباً جعلت الطبّ ديني والصيدلة ديداني إذا شئت، فلا مانع لديّ، وبالعجب العجاب سأبرع أوْ أنال يد أنجليك الجميلة.

بيرالد : وخاطرةٍ تجول بخاطري، لعلّك يا أخي تعدّ نفسك بنفسك نطاسيّاً دون غيرك فتستقلّ بذاتك وتستغني.

توانيت : ونعم الرأي، هي الطريقة المثلى للتعّجل في شفائك، فليس أفتك للمرض إلا التلبّس بدور الطّبيب شخصيّاً.

أرغان : لا أظنّك يا شقيقي إلّا ساخراً منّي أترانى في سنّ الدراسة والكتّاب.

بيرالد : أيّة دراسة وأيّ كتّاب ! حسبك علمٌ، فالعديد منهم دونك مهارةً.

أرغان : أين منّي لسان اللاتينية، وتصنيف العلل، وتنويع الدواء على الداء ؟

بيرالد : كأحسن نطاسيّ، بالطيلسان تدثّر وبالقلنسوة تعمّر، تنقَدْ اليك كل المعارف وبعدها تبلغ شأواً من التنطّس على أمهر ما يرام.

أرغان : ماذا ؟ أبالطّيلسان تدرك الأمراض ؟ ونَطال من البحث المُراد ؟!

بيرالد : في الخطاب من داخل جبّة طبيب ومن تحت قلنسوته تصبح، لعمري، الحماقة تَبَصُّراً، والحذلقة علماً.

توانيت : حسبك سيّدي، ما توفرت عليه، فلديك اللحية وهي تغنيك عن نصف طبيب.

كليانت : أنا على أتمّ الاستعداد رهن إشارتك منذ الآن.

بيرالد : الآن، فليكن، فلنباشرنّ، بالقضيّة إذن.

أرغان : وكيف نباشر بها ! الآن ؟

بيرالد : أجل، الآن، وفي عقر دارك.

أرغان : في عقر داري ؟

بيرالد : أجل، هناك زمرة طبيّة من طبيباتي ينوين الاحتفال، في صالتكم، دون أن تتكلّفوا حضرتكم بشيء.

أرغان : وأنا ما عساي أقول، وبِمَ أجيب ؟

بيرالد : أنت تقلّد الشرح إيماءٍ، وتقلّد الكتابة نبراً. أمضِ وتزيّ باللباس المناسب، ها إنّي مرسل الآن في طلبهنّ.

أرغان (منصرفاً) : نحن وشأننا.

كليانت : ماذا تقصد، ومن أين لك « زمرة طبيباتٍ صُويحبات » ؟

توانيت : ماذا تعني، بقولك هٰذا ؟

بيرالد : قصدت بها فسحة، هٰذا المساء، نفسّح بها عن أنفسنا، هناك الطبيبات، بالرقص وبالموسيقى يزففن طبيبهن، هازجات هازلات، فلم لا نشارك نحن هرجاً ومرجاً ويكون لأخي الشوط الأوّل بالهزل والتشخيص. فلا حرج عليه !

أنجليك : أراكَ، يا عمّاه، تعبث بالوالد، وتغالي.

بيرالد : بيننا يا ابنة الأخ، أنا لا أعبث به ولا أغالي بل بالأحرى، أنزل عند باله

وبالي، وثمّة لكلّ منّا دوره هزلاً بهزل، واحدٌ يفكّهُ الآخر، هكذا يكون الكرنفال ترفيهاً عن الجميع.

كليانت (**لأنجليك**) : ما قولك ؟

أنجليك : موافقة، فيا حبذا ! طالما العم زعيم حفلة الترفيه رفّهنا ورفّعنا.

أشخاص المسرحية

إسْكاناريل

جيرونيمو

دوريمان : صبية مغناجة خطيبة إسكاناريل.

ألْكانْتور : والد دوريمان.

ألْسِيداس : شقيق دوريمان.

ليكاسْت : عاشق دوريمان.

مصريّتان :

بانْكراس : مِلْفان من أنصار أرستطاليس.

مُرْفوريوس : مِلْفان من أنصار الفيلسوف بِيرّون.

مسرحية ذات فصل واحد

المشهد الأول

إسْكاناريل، وجيرونيمو

إسْكاناريل : سأعود بعد لحظة. فأمَلي أن تهتمّ جيداً بالمسكن، وأن يسير كل شيء فيه على ما يُرام. وإذا جاءني أحد بمال، أرجو أن تستدعيني من عند السيد جيرونيمو. أمّا إذا أتى أحد يطلب مني مالاً، فقلْ له إني خرجت، وإني سأغيب النهار بطوله.

جيرونيمو : هذه تعليمات تدلّ على الحرص.

إسْكاناريل : آه، يا سيدي جيرونيمو، جئتَ في حينك، وكنت أنوي الذهاب اليك.

جيرونيمو : ولأي سبب، من فضلك ؟

إسْكاناريل : لأُطلعك على أمر خَطَرَ ببالي، وأسألك رأيك فيه.

جيرونيمو : بكل ممنونيّة، أنا مسرور بلقائك. ونحن هنا نستطيع أن نتكلّم بكل حرّيّة.

إسْكاناريل : من فضلك إفعل ما طلبته منك. المسألة التي تُعْرَض عليّ هي ذات أهمية بالغة، ومن المستحسن أن أستشير فيها أصدقائي.

جيرونيمو : أنا ممنون اختيارك إياي لهذه المهمّة. فما عليك إلّا أن تُعلمني ما هي ؟

إسْكاناريل : لكني، أستحلفك أوّلاً بأن لا تجاملني، بل أن تقول لي رأيك بكل صراحة.
جيرونيمو : طبعاً سأتصرّف حسب مشيئتك.
إسْكاناريل : أنا لا أرى أبغض من صديق لا يكلّمني بصراحة.
جيرونيمو : الحق معك.
إسْكاناريل : وفي هذه الأيام، ما أقلّ الأصدقاء المخلصين ؟
جيرونيمو : هذا صحيح.
إسْكاناريل : عِدْني إذاً، يا سيدي جيرونيمو، بأن تحدّثني دائماً بصراحة كلّيّة.
جيرونيمو : أعدك.
إسْكاناريل : أقسِمْ لي بشرفك.
جيرونيمو : نعم أُقسِمْ بشرفي. لكن قل لي ما هي مسألتك ؟
إسْكاناريل : أودّ أن تصارحني : هل أفعل حسناً إذا تزوّجت ؟
جيرونيمو : من ؟ أنت ؟
إسْكاناريل : نعم، أنا شخصياً، فما رأيك ؟
جيرونيمو : أوّلاً أرجوك أن تقول لي ...
إسْكاناريل : أن أقول لك ماذا ؟
جيرونيمو : ما هو عمرك الآن ؟
إسْكاناريل : عمري أنا ؟
جيرونيمو : نعم.
إسْكاناريل :بالصراحة، لست أدري. لكن صحتي جيدة.
جيرونيمو : ماذا تقول ؟ هل حقّاً لا تعرف كم هو عمرك تقريباً ؟
إسْكاناريل : لا، وهل يمكنك أن تتصوّر ذلك ؟
جيرونيمو : من فضلك، قلْ لي كم سنة انقضت على تعارفنا ؟
إسْكاناريل : على ما أظن، كان عمري حوالي عشرين عاماً.
جيرونيمو : وكم سنة أمضينا معاً في روما ؟
إسْكاناريل : ثمانية أعوام.
جيرونيمو : وكم سنة قضيت في انكلترا ؟

إسْكاناريل : سبعة أعوام.

جيرونيمو : وفي هولندا إلى حيث ذهبت من هناك ؟

إسْكاناريل : خمسة أعوام ونصف.

جيرونيمو : ومنذ كم سنة عُدْتَ إلى هنا ؟

إسْكاناريل : عدت في العام ستة وخمسين.

جيرونيمو : من العام ستة وخمسين إلى العام ثمانية وستين، تبلغ المدة اثنتَيْ عشرة سنة. أضِفْ عليها خمسة أعوام في هولندا يكون المجموع سبعة عشر عاماً. ثم سبعة في انكلترا فيصبح المجموع عشرين عاماً، ثم ثمانية أعوام، مدة إقامتنا في روما، فيصبح اثنين وثلاثين عاماً، وعشرين عاماً منذ تعارفنا، فيكون المجموع العام اثنين وخمسين عاماً. وحسب اعترافك أنت، تكون قد بلغت حالياً سنتك الثانية والخمسين أو الثالثة والخمسين.

إسْكاناريل : من ؟ عمري أنا ؟ هذا غير ممكن أبداً.

جيرونيمو : يا إلهي. الحساب صحّ. لذا أصارحك كصديق مخلص، كما سمحتَ لي أن أُسمّيك، بأنّ الزواج ليس من صالحك، لأنه يخصّ الشبّان الذين يفكرون فيه بنضوج قبل الإقْدام عليه. لكن الذي في عمرك يجدر بهم ان لا يفكروا في هذا الأمر الذي فاتهم أوانه. وإن قيل إنّ الزواج أسخف جنون، فإنّ هذا الجنون يجب أن يرضى به الانسان حين يكون في مرحلة يتغلّب فيها العقل على الأهواء. هذا رأيي بمنتهى الصراحة. فأنا من جهتي لا أنصحك بأن تفكّر حالياً في الزواج، وإلّا كنت أسخف السخفاء. لأنك بقيت حُرّاً الى هذا العمر المتقدّم. وإن صمّمت حقّاً على الارتباط بمواثيقه، تكون كمن يلفّ ثقيلة حول عنقه.

إسْكاناريل : وأنا أؤكّد لك اني عازم على الزواج، ولن أرتكب أية حماقة، إذا اقترنت بالفتاة المناسبة التي بحثت عنها ووجدتها.

جيرونيمو : هذه قضية أخرى. لم تصرّح لي بعزمك الأكيد على ذلك.

إسْكاناريل : أودّ الاقتران بصبيّة تعجبني وأُحبّها من كل قلبي.

جيرونيمو : أنت تحبّها من كل قلبك ؟

إسْكاناريل : بدون شك، وقد طلبت يدها من أبيها.

جيرونيمو : وطلبتَ يدها ؟
إسْكاناريل : نعم. وسيتمّ الزفاف هذا المساء، كما وعدت أهلها.
جيرونيمو : يمكنك أن تتزوّج، فلن أنْبُس بعد الآن ببنت شفة.
إسْكاناريل : هل تريد أن أتخلّى عن مشروعي ؟ أيُخيَّل اليك، يا سيدي جيرونيمو، أني لم أعد في وضع يمكّنني من التفكير بالمرأة. دَعْنا بربّك من الحديث عن عمري الحالي، ولننظر الى جوهر الأمور فقط. هل هناك شاب في الثلاثين من العمر يبدو أكثر نشاطاً مني ؟ ألا تجد أن حركات جسمي لا يمكن أن يوجد أفضل منها ؟ وهل ترى إني بحاجة الى عربة أو مقعد لأتنقّل من مكان إلى آخر ؟ أَوَلَا تزال أسناني المتينة تملأ فمي ؟ أَوَلَا أتناول بكل شهيّة كل يوم أربع وجبات طعام ؟ وهل من معدة تهضم المآكل أقوى مني ؟ أَحَمْ، أَحِمْ، ما قولك بأحوال رجولتي ؟
جيرونيمو : الحق معك. أنا كنت مخطئاً في تقديري. والأَوْلَى بك أن تتزوّج اليوم قبل الغد.
إسْكاناريل : لقد تماهلت سابقاً في مسألة الزواج. ولكني اليوم أجد الأسباب عديدة للإقدام عليه في أقرب حين. فضلاً عن سروري بالحصول على امرأة جميلة فتيّة تدلّعني وتلاطفني وتدلّكني عندما أشعر بقليل من التعب. وفوق سروري هذا كما قلت لك، أعتبر نفسي إن ظللت على حالي هكذا عازباً كما أنا، سأدَع أُسْرَة اسكاناريل تزول في الوجود بحرمان نفسي من أي وريث. وإن تزوّجت أواصل حياتي في أشخاص سلالتي، وأبتهج بمشاهدة أولادي وأحفادي، وأتمتع بالسعادة حين أرى حولي وجوهاً تُشبهني وأولاداً يلعبون في بيتي باستمرار، ويوجّهون اليّ كلاماً صبيانياً ليس أحلى منه في كل الدنيا. وها أنا أظنّني قد بلغت هذه المرحلة الهنيئة، وأُبصِر خمسة أو ستة من أولادي يدورون حولي ويلعبون.
جيرونيمو : ليس أجمل من هذا، في الحقيقة. وأنا أنصحك بأن تتزوّج بأسرع ما يمكنك.
إسْكاناريل : حسناً تفعل بأن تشير عليّ بالزواج عاجلاً.
جيرونيمو : طبعاً، لن تُقْدِم على عملٍ أفضل مما تنوي أن تفعل.

إسْكاناريل : حقاً أنا مرتاح جداً إلى حديثك لأنك فعلاً صديق وفيّ.
جيرونيمو : لكنك لم تذكر لي اسم الفتاة التي تريد أن تقترن بها.
إسْكاناريل : إسمها دوريمان.
جيرونيمو : طبعاً، الصبيّة دوريمان هذه هي أنيقة وموهوبة.
إسْكاناريل : نعم، نعم. بدون شك.
جيرونيمو : وهي إبنة السيد ألْكانْتور ؟
إسْكاناريل : أجل هي بالذات.
جيرونيمو : أتمنى لك التوفيق.
إسْكاناريل : ما رأيك فيها.
جيرونيمو : هي عروس مناسبة. فما عليك إلّا أن تعجّل بعقد زفافك عليها.
إسْكاناريل : أوَلَا ترى أن مُحِقّ في اختياري هذه الفتاة ؟
جيرونيمو : ها أنت تُدخل الفرح الى قلبي بقولك هذا الكلام. فأشكرك على نصحك النزيه، وأنا أدعوك الى وليمة العرس هذا المساء.
جيرونيمو : لن أتأخّر عن الحضور بكل سرور، وسأذهب إلى الحفلة وأنا مقنّع الوجه، لكي يكون الجوّ أبهج وأطرف.
إسْكاناريل : أنا في خدمتك. أُطلبْ ما تحتاج اليه.
جيرونيمو : الصبية دوريمان إبنة السيد ألْكانْتور، تُزَفّ إلى السيد اسكاناريل الذي لا يتجاوز عمره الثالثة والخمسين. فما أروع هذا الزواج، حقّاً ما أروع هذا الزواج المنسّق.
إسْكاناريل :لا بدّ من أن يكون هذا القران سعيداً، لأنه يبهج قلوب الجميع، ولأنه يُضحِك كل من أُحدّثه عنه. فأنا الآن أسعد خلق الله.

المشهد الثاني

دوريمان واسكاناريل

دوريمان : هيّا أيها الولد الصغير، أمْسِكْ جيداً بِذَيْل ثوبي، ولا تسمحْ لنفسك باللهو والمرح.

إسْكاناريل : ها هيذا مالكة قلبي قد أقبلتْ. ما أحلاها، وما أهيف هذا القوام الرشيف. هل من رجل يبصرها ولا يصبو الى الإقتران بها. أين أنت ذاهبة أيتها الصبية الحسناء ؟ يا زوجة المستقبل القريب، يا زوجتي أنا زوجك السعيد بامتلاكك.

دوريمان : أنا ماضية لأشتري بعض الحاجات الضرورية.

إسْكاناريل : يا حوريّتي، الآن الآن اكتمل هناء أحدنا بالآخر. لن يحقّ لك أن ترفضيني وأنا اليوم أستطيع أن أُحقّق معك كل أحلامي بدون أن يلومني أحد. ستكونين لي من قمة رأسك الى أخمص قدمَيْك. سأكون سيداً مطلقاً في احتكار عينَيْك البراقَتَيْن، وأنفك المشمور المشاكس، وذقنك الناعم الحلو وصدرك العامر و ... وكل شخصك الحبيب، وسأكون مطلق الحرّيّة في مغازلتك كما أشاء. أولستِ مسرورة بهذا الزواج، يا دُمْيَتي الغالية ؟.

دوريمان : أجل، كل السرور. وأقسم لك أن صرامة أبي ضغطت عليّ حتى هذه الساعة بشكل غير معقول. منذ مدة طويلة، وأنا أتوق الى الحرية التي سأحظى بها أخيراً في القريب العاجل. وقد تمنّيت ألْف مرّة أن يزوّجني أبي لأتخلّص من الكبت الذي ضاق به صدري، ولأتمتع بالحياة الزاهية على هواي. أحمد الله، ها قد جئتَ أنت وفككت قيود سجني، وأنا أستعدّ منذ الآن، لإغتنام ما أودّ أن أنعم به من اللهو، وأعوّض عمّا فاتني في المتعة طوال المدة التي ضاعت مني سدىً. وبما أنك رجل تفيض لطفاً، وتعرف جيداً كيف تعيش بصفاء وهناء، أعتقد أننا سنقضي معاً أسعد أيام العمر، ولن تكون أبداً من الأزواج المنكودي الحظ الذي يفرضون على نسائهم أصناف الهمّ والحرمان أصارحك بأني لن أطيق صبراً على عيش الوحدة والعزلة التي أنفر منها. فأنا أحب اللهو والزيارات والمجالس والهدايا والنزهات. وبكلمة، كل ما

لذّ وطاب؛ وسيسرّك أن تكون لك زوجة على شاكلتي بمثل هذا المزاج المرح. لن ينشأ بيننا أيّ خلاف؛ ولن أعترض أبداً على تصرّك، كما أرجو أن يكون الأمر كذلك من جهتك نحوي. ولن تلومني على أفعالي، إذ لا بدّ من أن يكون التساهل متبادلاً بيننا. لأننا لا نتزوج لكي يشاكس أحدنا الآخر. بالاختصار سنحيا بعد الزفاف كشخصين يعرفان ما يبغيان من الحياة المشتركة. لن يكون بيننا أي شكّ ناجم عن الحسد والغيرة، لأني لا أطيق مثل هذا التضييق. ستكون دوماً مطمئنّ البال من ناحية أمانتي، كما أنا مقتنعة بأن هذا هو لسان حالك أيضاً. لكن ما بك ؟ أرى معالم وجهك قد تبدّلت.

إسْكاناريل : هذا مفعول بعض الأبخرة التي صعدت الى دماغي.

دوريمان : هذه علّة تنتاب اليوم كثيراً من الناس. لكن قراننا سيبعد عنك جميع الهموم. كم أنا متشوّقة لأتخلّص من هذه الأسمال البالية ولأرتدي ثياباً لائقة. فأنا ذاهبة لأشتري كل ما يلزمني منها، وسأرسل بائعيها ليقبضوا منها منك.

المشهد الثالث

جيرونيمو وإسكاناريل

جيرونيمو : يا سيدي اسكاناريل، أنا مسرور بلقائك ها هنا. فقد صادفت صائغاً بلغه أنك تبحث عن بضعة أحجار جميلة من الماس تُرصّع خاتماً رائعاً من الذهب لتقدّمه هدية لعروسك. فرجاني أن أنفرد بك لأكلّمك وأعلمك أن لديه أتقن المجوهرات الموجودة في العالم.

إسْكاناريل : يا إلهي. لست مستعجلاً للشراء.

جيرونيمو : ماذا تقول ؟ وماذا تعني بهذا الجواب البارد ؟ أين الحماس الذي أظهرته قبل هنيهة و

إسْكاناريل : لقد اجاحتني منذ برهة موجة من هموم الزواج. وقبل أن أغوص

في لججها أفضّل أن أسبر غور هذا البحر الهائج، وأن أعرف تفسير حلم أبصرته هذه الليلة أثناء نومي، وقد خطر منذ لحظة ببالي وأقلق مزاجي. أنت تعلم أن الأحلام هي كالمرآة يكتشف الإنسان أحياناً على صفحتها ما سينتابه. لقد خُيِّل اليّ اني كنت على ظهر سفينة تتقاذفها الأمواج العالية العاتية من كل جانب، وأن ...

جيرونيمو : يا سيدي اسكاناريل، لديّ الآن بعض الأمور العاجلة التي تمنعني من أن أكرّس الوقت اللازم لسماع أقوالك. وأنا من جهة أخرى لا أُلِمّ بتفسير الأحلام. وبخصوص حلّ رموز الزواج ومشاكله، لديك جاران عالمان وهما أيضاً فيلسوفان يمكنهما أن يفيداك في هذا الموضوع. وبما أنهما من طائفتَيْن مختلفتَيْن، يسعك أن تدرس رأيهما المغايرَيْن في هذا المضمار. أمّا أنا فأكتفي بما صارحتك به في هذا الباب، وأظلّ جاهزاً لأؤدّي لك أية خدمة تطلبها مني.

إسْكاناريل : الحقّ معك. لا بدّ لي من أن أستشير هذَيْن الخبيرَيْن لأكون على بيّنة من الوضع الذي أراني أتخبّط في ظلماته.

المشهد الرابع

بانْكْراس، واسكاناريل

بانْكْراس : أنت يا صديقي رجل مستهتر ومنبوذ في مملكة الأدب.

إسْكاناريل : ماذا تقول ؟ هذا كلام خطير.

بانْكْراس : أجل، بل ربّ الجهل والغباء بكل ما في الدنيا من مساوِئ لا تخطر على بال أحد.

إسْكاناريل : لا بدّ لك يا سيدي، من أن تكون قد اشتركت في شجار منذ لحظة ...

بانْكْراس : أنت تريد أن تُفَلْسِف الأمور، ولا تدري كيف. وليس لديك أية مؤهلات فكرية ضرورية للمناقشة.

إسْكاناريل : الغضب يحجب عنك رؤية مواهبي، على ما أرى ...
بانْكْراس : هذا كلام مرفوض في دنيا الفلسفة، أيها المغرور.
إسْكاناريل : لا بدّ من أن يكون تأثيره قد أفقدك رشدك. فأنا ...
بانْكْراس : مهلاً، مهلاً. لا تورّط نفسك في المهالك.
إسْكاناريل : أرجوك أن تتروى، يا سيدي المِلْفان.
بانْكْراس : أنا في خدمتك.
إسْكاناريل : هل من سبيل الى ...
بانْكْراس : هل تدري ماذا تفعل و كلامك تَنَاقُضٌ غريب من نوعه.
إسْكاناريل : أرجوك ...
بانْكْراس : حجّتك القصوى غير صالحة، وحجتك الدنيا مستهترة، والنتيجة سخيفة.
إسْكاناريل : وأنا ...
بانْكْراس : أُفضِّل الموت على الإقرار بسلامة ما تنطق به. وأنا مصرّ على التمسّك برأيي حتى آخر نقطة من الحبر الذي أكتب به مقالاتي وأبحاثي.
إسْكاناريل : هل أستطيع ؟ ..
بانْكْراس : نعم سأدافع عن وجهة نظري حتى نفسي الأخير.
إسْكاناريل : يا سيدي تلميذ أرسطاليس، هل يمكنني أن أعرف ماذا يثير حفيظتك هكذا ؟
بانْكْراس : موضوع لا أعدل منه في الدنيا بأسرها.
إسْكاناريل : وما هو، من فضلك ؟
بانْكْراس : جاهل يطلب مني أن أساند وجهة نظر خاطئة من أساسها، وهي وجهة نظر مريعة وكريهة.
إسْكاناريل : هل يسعني أن أسألك ما هي ؟
بانْكراس : يا سيدي اسكاناريل، كل شيء انقلب اليوم رأساً على عقب، وغرق العالم في بحر من الفساد. هناك تهتّك رهيب يسيطر على البشر في كل مكان. حتى ان رجال القضاء المفروض فيهم أن يسهروا على استتباب الأمن

والنظام في الدولة، لا بدّ لهم من أن يحمرّوا خجلاً بسبب سكوتهم عن فضيحة فكرية مثل التي تحدثت عنها.

إسْكاناريل : وما هي ؟

بانْكراس : أَوَلَيْس فظيعاً أن نطلب من السماء عقاباً صارماً، وأن لا نتحمّل مسؤولية ما يذيعه الناس علناً عن شكل القبّعة ؟

إسْكاناريل : وكيف تمّ ذلك ؟

بانْكراس : أنا أصرّ على لزوم ذكر هيئة القبعة لا شكلها. لأغم الفرق الكائن بين الشكل والصورة. فالشكل هو الهيئة الخارجية في الأجسام المتحرّكة، والصورة هي الهيئة الخارجية في الأجسام غير المتحركة أي الجامدة. اذاً علينا أن نذكر صورة القبعة لا شكلها. نعم، أيها الجاهل. هكذا عليك أن تتكلّم، وهذه تعابير أرسطاليس بالذات حرفيّاً في فصله عن جودة الكائنات.

إسْكاناريل : ظننت أني خسرت كل شيء، يا سيدي المِلْفان. أرجوك أن لا تَكْفُر في الحديث بصلب هذا الموضوع الخطير بعد الآن، فأنا ...

بانْكراس : أنا في حالة غضب شديد، ولم أعد أشعر بأي إحساس.

إسْكاناريل : دَعْ أمر الشكل والقبعة بسلام. فلديّ مسألة جديدة أود أن أُبلغك أيّاها. أنا.

بانْكراس : تبّاً لك من فضوليّ مستهتر.

إسْكاناريل : أرجوك أن تثوب الى رشدك. فأنا ...

بانْكراس : أنت جاهل غبي.

إسْكاناريل : يا الهي. أنا ...

بانْكراس : لماذا تنظر اليّ هكذا شذراً ؟

إسْكاناريل : انت مخطئ. فأنا ...

بانْكراس : هذه مشكلة رذلها أرستطاليس.

إسْكاناريل : قد يكون ذلك صحيحاً. أنا ...

بانْكراس : لقد أعلن ذلك بالحرف الواحد.

إسْكاناريل : أنت محقّ. نعم، ولكنّك أحمق وقح بمناصبتك العداء مِلْفاناً يجيد القراءة والكتابة. هذا ما حصل، وأرجوك أن تُصغي اليّ. لقد جئت

أسترشدك في قضية إقتراني بامرأة لتشاركني حياتي العائلية والعروس التي اخترتها جميلة ومشكورة. وهي تعجبني كثيراً، و أكون سعيداً بزفّتها اليّ. لقد رضي أبوها بمنحي يدها. غير أني أخشى أن لا أحوز رضاها. وهذا أمر غير مأمون العاقبة. فأرجوك بصفتك فيلسوفاً ان تصرّح لي بشعورك وبرأيك في هذا الموضوع الذي يشغل بالي.

بانكراس : الأجدر بك أن تذكر شكل القبعة. ولا أظنّ أن هناك أي غلط.

إسْكاناريل : قَتَلَ الطاعون الإنسان الغبي، يا سيدي المِلْفان. إستمع قليلاً الى اقوال الناس. منهم يحدّثونك مدة ساعة كاملة، وأنت لا تجيب بتاتاً على ما يطرحونه عليك من الأسئلة.

بانكراس : ارجوك المعذرة. فإن غضباً في محله. يستولي على ذهني.

إسْكاناريل : دعْ عنك همومك، وتفضّل بالإصغاء إليّ.

بانكراس : ليكن ما تريد. ماذا تودّ أن أشرح لك.

إسْكاناريل : اريد أن أفاتحك بأمر.

بانكراس : وبأي لسان تفضّل أن تستخدم معرفتي ؟

إسْكاناريل : بأيّ لسان ؟

بانكراس : نعم، بأيّ لسان ؟

إسْكاناريل : طبعاً باللسان الموجود في فمي، وأعتقد أني لن أذهب لأستعير لسان جاري.

بانكراس : انا أسألك بأيّة لهجة، وبأيّ كلام ،؟

إسْكاناريل : هذه مسألة أخرى.

بانكراس : هل تريد أن تحدّثني باللغة الايطالية و

إسْكاناريل : لا.

بانكراس : باللغة الاسبانية ؟

إسْكاناريل : لا.

بانكراس : باللغة الألمانية ؟

إسْكاناريل : لا.

بانكراس : باللغة الانكليزيّة ؟

إسْكاناريل : لا.
بانْكراس : باللغة اللاتينيّة ؟
إسْكاناريل : لا.
بانْكراس : باللغة اليونانيّة ؟
إسْكاناريل : لا.
بانْكراس : باللغة العبريّة ؟
إسْكاناريل : لا.
بانْكراس : باللغة السريانيّة ؟
إسْكاناريل : لا.
بانْكراس : باللغة العربيّة ؟
إسْكاناريل : لا، لا. باللغة الفرنسية.
بانْكراس : تريد باللغة الفرنسية.
إسْكاناريل : طبعاً نعم.
بانْكراس : إذهب إلى الجهة الأخرى، لأن أُذني هذه مخصّصة للهجات الأدبيّة واللغات الأجنبية. والثانية للغة بلدنا.
إسْكاناريل : لا بدّ من التمسك بالرسميّات بالنسبة الى هؤلاء الأشخاص.
بانْكراس : ماذا تقصد ؟
إسْكاناريل : أودّ أن استشيرك في أمرٍ صعوبته زهيدة.
بانْكراس : في امرٍ صعوبته فلسفيّة، بدون شكّ.
إسْكاناريل : أعْذُرْني. أنا ...
بانْكراس : أنت تريد أن تعرف ما اذا كانت المادة والطارئ هما لفظتان مترادفتان او متناقضتان بالنسبة الى مفهوم الإنسان.
إسْكاناريل : كلا. أنا ...
بانْكراس : اذا كان المنطق فنّاً أو علماً.
إسْكاناريل : لا، لا، لا أقصد ذلك.
بانْكراس : اذا كان الهدف يشمل العمليات الفكرية الثلاث أوْ ثالثها فقط.
إسْكاناريل : كلا، أنا ...

بانْكراس : اذا كان هناك عشر فئات أو فئة واحدة.
إسْكاناريل : كلا، كلا، بل أنا ...
بانْكراس : إذا كانت النتيجة من صلب عِلْم القياس.
إسْكاناريل : لا، لا. أنا ...
بانْكراس : إذا كان جوهر الخير ضمن الرضى أو المناسبة.
إسْكاناريل : لا، أنا ...
بانْكراس : اذا كان الصالح ينعكس على الغاية.
إسْكاناريل : لا، لا، لا. أنا ...
بانْكراس : اذا كان الهدف قابل التأثير على عواطفنا بذاتها الحقيقية أو بذاتها المجازيّة.
إسْكاناريل : لا، لا، لا، لا، ولا. أعوذ بكل الشياطين، لا.
بانْكراس : إشرح لي إذاً فكرك. لأني لا أتوصّل إلى إدراك فحواه.
إسْكاناريل : انا أريد أن أشرحه لك، لكنك لا تصغي اليّ.
بانْكراس : المِلْفان واسكاناريل معاً (معاً بصوت واحد) : القضية التي أريد أن أشرحها لك، هي أني اريد ان اقترن بصبية جميلة، أُحبّها كثيراً، وقد طلبت يدها من ابيها، وأخشى ...
إسْكاناريل : وبانكراس (معاً بصوت واحد) : مطلوب من الرجل أن يشرح فكره. وكما أنّ الأفكار هي صورة ورموز، هكذا الأقوال هي صور افكارنا نحن. لكن هذه الصور تختلف عن سائر الصور الأخرى، كما تختلف الصور دائماً عن العناصر الأصلية. لأنها ليست سوى أفكار مُبيّنة بعلامات خارجية. ومن هنا نستنتج أن الذين يفكّرون جيداً هم الذين يتكلّمون بطريقة فضلى. فعليك اذاً ان تبيّن لي فكرك بالكلام المفهوم اكثر من جميع الإشارات.
إسْكاناريل (يدفع المِلْفان بانكراس بيده، ويغلق الباب ليمنعه من الخروج) : ما أجحد الانسان.
بانْكراس (من داخل البيت) : نعم، الكلام هو حركة وألْفاظ، وهو لسان حال القلب، بل صورة الروح. (يصعد بانكراس الى النافذة ويواصل حديثه، بينما اسكاناريل يفتح الباب) : هذه مرآة تمثل لنا سذاجة الأسرار الأكثر خفاءً في

نفوس الأفراد. وبما أنك أهل للمناقشة وللتحدّث في كل المواضيع معاً، لماذا لا تستخدم الكلام لكي تُفهمني فكرك ؟

إسْكاناريل : هذا ما أنوي عمله. لكنك لم تستمع اليّ ...

بانْكراس : أنا كلّي آذان صاغية، تكلّمْ.

إسْكاناريل : انا أقول، يا سيدي المِلْفان، إنّ ...

بانْكراس : عليك بنوع خاص أن تختصر.

إسْكاناريل : بقدر الإمكان.

بانْكراس : وأن تتجنّب الإسهاب.

إسْكاناريل : مهلاً، يا سيدي ...

بانْكراس : وأن تقتضب في خطابك حسب القول المأثور بطريقة ما قَلّ ودَلّ.

إسْكاناريل : أرجوك ....

بانْكراس : بدون مواربة، ولا لفّ أو دوران (يَلُمّ اسكاناريل أحجاراً من الأرض ليرشق بها المِلْفان الذي لا يَدَع له مجالاً للتكلّم) : ما هذا ؟ أراك تستشيط غضباً عوضاً عن ان تشرح لي ما تريد. أنت اكثر استهتاراً من ذاك الذي أراد ان يُثبت ضرورة تجديد شكل القبعة. سأبرهن لك في كل جولة بالحجج القاطعة المقنعة، وبالوسائل التي لا تقبل الخطأ أنك ستظلّ غبيّاً على الدوام، وأني سأبقى حتماً بطبيعة الحال أنا المِلْفان بانكراس. (يقف بانكراس جانباً).

إسْكاناريل : تبّاً لهذا الشيطان الثرثار.

بانْكراس : رجل الأدب، هو رجل المعرفة الشاملة.

إسْكاناريل : ما هذا الحديث ايضاً ؟

بانْكراس : رجل الكفاءة هو رجل المقدرة (يذهب) المتضلّع من كافة العلوم الطبيعية والأخلاقية والسياسية. (يعود) الرجل العالم هو الرجل الذكي المتفوّق. (يذهب) وهو الرجل الذي يتقن الى اقصى حدّ كل القصص وأمثلة الحيوانات والميثولوجيا والتاريخ. (يعود) وقواعد اللغة والشِعْر وأساليب الخطابة والجدل والصوفية. (يذهب) والرياضيّات والحسابات والبصريات والنقد والهَلْوَسَة والطبيعيّات وما وراء الطبيعة (يعود) وعلم الفلك والهندسة المدنية والهندسة المعمارية والاحتكار والمضاربة (يذهب) والطّب وعلم

الفلك والتنجيم وعلم الهيئة وقراءة الكفّ والتبصير وتنبّؤ الأحداث الخ

إسْكاناريل : ليذهب الى الجحيم جميع العلماء الذين لا يريدون ان يستمعوا الى الناس. لقد نبّهني البعض الى أن المعلّم الفيلسوف ارستطاليس لم يكن سوى ثرثار. عليّ أن أذهب لأبحث نحن الرجل الآخر، لأنه اكثر رصانة ومنطقاً. يا هذا.

المشهد الخامس

مرفوريوس، واسكاناريل.

مُرْفوريوس : ماذا تريد مني، يا سيدي اسكاناريل ؟

إسْكاناريل : سيدي المِلْفان، أنا بحاجة الى نصحك في مسألة بسيطة، جئت اليك من أجلها. هذا جميل. ها هو يستمع الى الناس.

مُرْفوريوس : يا سيدي اسكاناريل، غيِّرْ من فضلك، هذه الطريقة في الحديث. فإن فيلسوفنا يأمر بأن لا يذكر الانسان أبداً موضوعاً محدّداً، وأن يتكلم في كل المواضيع بطريقة أكيدة، وأن يتريّث دائماً في حكمه. ولهذا السبب عليك أن لا تقول : « أنا جئت، بل يبدو لي أني جئت ».

إسْكاناريل : يبدو لي ؟

مُرْفوريوس : نعم.

إسْكاناريل : =أ، لا بدّ من أن يبدو لي، بما أن هذا قد تمّ فعلاً.

مُرْفوريوس : هذا ليس استنتاجاً، وربّما بدا لك الأمر كذلك، بدون ان يكون حقيقيّاً.

إسْكاناريل : كيف يتمّ هذا ؟ هل أكون لم آتِ الى هنا، وانا أمامك ؟

مُرْفوريوس : هذا غير مؤكدّ، اذ علينا أن نشكّ بكل ما يدور حولنا.

إسْكاناريل : ماذا تقول ؟ أنا لست هنا، وأنت تكلّمني ؟

مُرْفوريوس : يظهر لي أنك هنا. ويبدو لي اني أكلّمك. ولكن ذلك ليس مؤكداً على الاطلاق.

إسْكاناريل : أعوذ بالله. هل أنت تسخر منّي ؟ ها أنا موجود هنا، وأنت موجود ايضاً معي بكل تأكيد، ولا سبيل الى أن يبدو لي ذلك وهماً. أرجوك أن تُقلع عن الشعوذات، ودعْنا نتحدّث عن قضيتي. لقد جئت لأُعْلِمك أني انوي الزواج.

مُرْفوريوس : أنا لا عِلْم لي بذلك.

إسْكاناريل : أنا أخبرك به.

مُرْفوريوس : ربما حدث ذلك قريباً.

إسْكاناريل : والصبية التي سأقترن بها جميلة وأنيقة.

مُرْفوريوس : هذا ممكن.

إسْكاناريل : هل أقتراني بها حسن أو سيّئ ؟

مُرْفوريوس : هذا وذاك.

إسْكاناريل : هذه، وربّي، نغمة جديدة. أنا أسألك إن كنت أُحْسِن صُنْعاً باقتراني بالصبيّة التي حدّثتك عنها ؟

مُرْفوريوس : حسب الظروف.

إسْكاناريل : قُلْ لي هل أُسِيء صنعاً ؟

مُرْفوريوس : هذه مغامرة.

إسْكاناريل : أرجوك أن تجيبني كما يجب.

مُرْفوريوس : هذا ما اريد فعله.

إسْكاناريل : مَيْلي إلى هذه الفتاة لا مزيد عليه.

مُرْفوريوس : هذا ممكن.

إسْكاناريل : وقد وعدني والدها بأن يمنحني يدها.

مُرْفوريوس : هذا جائز.

إسْكاناريل : ولكني، إن اقترنت بها أخشى أن تخدعني مع رجل آخر.

مُرْفوريوس : هذا محتمل الوقوع.

إسْكاناريل : ما هو رَأيك الشخصي ؟

مُرْفوريوس : ليس في الدنيا من مستحيل.
إسْكاناريل : ماذا تصنع لو كنت مكاني ؟
مُرْفوريوس : لست أدري.
إسْكاناريل : ماذا تنصحني بأن أفعل ؟
مُرْفوريوس : ما يعجبك.
إسْكاناريل : لقد فرغ صبري.
مُرْفوريوس : أنا أغسل يديَّ من هذا الموضوع.
إسْكاناريل : حَمَلَك ابليس الى الجحيم، ايها الحالم العجوز.
مُرْفوريوس : سيتمّ ما هو بالإمكان.
إسْكاناريل : لَيْتَ الطاعون يفتك بك، أيها الجلّاد. سأُجبرك على تغيير لهجتك، ايها الفيلسوف المنحوس.
مُرْفوريوس : ها، ها، ها.
إسْكاناريل : هذا جزاء حديثك المُبْهَم، وأنا مسرور بما سيحلّ بك من مصائب.
مُرْفوريوس : ماذا تقول ؟ ما هذه الوقاحة ؟ وكيف توجّه اليّ هذه الألفاظ النابية. وكيف تجسر على النيل من كرامة فيلسوف شهير نظيري.
إسْكاناريل : صحِّحْ من فضلك أسلوبك في المخاطبة. عليك أن تشكّ في كل امر، وأن لا تقول إني نلت منك، بل يبدو لي أني نلت منك.
مُرْفوريوس : سأرفع شكوى عليك لدى مفوّض الأمن في هذا الحيّ لأنك ضربتني وآلمتني.
إسْكاناريل : أنا أتنصّل من هذا الإدعاء الباطل.
مُرْفوريوس : آثار اعتدائك لا تزال ظاهرة على جسمي.
إسْكاناريل : ربما حدث ذلك، وربما لم يحدث.
مُرْفوريوس : أنت الذي عاملتني بهذه القسوة الفظيعة.
إسْكاناريل : ليس من أمر مستحيل، وليس ما يؤكّد ذلك.
مُرْفوريوس : سأستصدر قراراً بإدانتك.
إسْكاناريل : لست على علم بأي حادث.

مُرْفوريوس : وستُحاكَم أمام القضاء.
إسْكاناريل : ليكن ما يُستطاع.
مُرْفوريوس : دعْني أتصرفْ.
إسْكاناريل : ماذا تقول ؟ لا سبيل الى سحب كلمة إيجابية من بين شفتَيْ هذا الانسان الأشبه بالحيوان. وهو عالمن بالامور في البداية كما هو كذلك في النهاية. ماذا عليّ ان افعل، وأنا في خضمّ هذه المشاكل التي تنبع من مجرّد فكرة زواجي ؟ هنا بعض النساء المصريّات، ويجب عليّ أن أطلب منهنّ أن يتنبّأنَ لي بحظّي.

المشهد السادس

مرأتان مصريّتان، وإسكاناريل.

(المرأتان المصريّتان تضربان على طبْلَتَيْهِنَّ وتدخلان وهما تنشدان وترقصان)

إسْكاناريل : تبدو عليهما دلائل الشجاعة. إسْمَعْنَ ايتها المرأتان. هل يسعكما أن تبصّران لي ؟
المصريّة الأولى : أجل، يا سيدي الكريم. أنا ورفيقتي يمكننا أن نبصّر لك.
المصريّة الثانية : ما عليك إلّا أن تُناولنا يدك، وتفتح كفّك ونحن ننبئك بما يهمّك أمره.
إسْكاناريل : ها هي يدي اليمنى، وكذلك اليسرى. ماذا تطلبان ايضاً ؟
المصريّة الأولى : طلعتك بهيّة، يا سيدي، ومنظرك أنيق.
المصريّة الثانية : نعم طلعتك بهيّة، ويبدو عليك أنك ستصبح يوماً ما رجلاً مرموقاً.
المصريّة الأولى : ستتزوج قريباً، يا سيدي الكريم. أجل ستتزوج قريباً جداً.
المصريّة الثانية : وستقترن بامرأة لطيفة. نعم بامرأة جميلة.
المصريّة الأولى : نعم، نعم، بامرأة ستكون عزيزة على قلبك، وسيحبّها الجميع.

المصريّة الثانية : امرأة ستُكسبك أصدقاء عديدين، يا سيدي الكريم. أجل ستُكسبك اصدقاء عديدين جداً.

المصريّة الأولى : إمرأة ستجلب لك البحبوحة والرخاء.

المصريّة الثانية : امرأة ستمنحك شهرة واسعة.

المصريّة الأولى : ستحترمك وستحيطك بكثير من الاعتبار، يا سيدي الكريم، نعم بكثير من الاعتبار والإحترام.

إسْكاناريل : حَسَن. لكن أصدقاني القول : هل ستخدعني مع رجل آخر ؟

المصريّة الثانية : أن تخدعك مع رجل آخر ؟

إسْكاناريل : نعم.

المصريّة الأولى : ان تخدعك مع رجل آخر ؟

إسْكاناريل : نعم، نعم. قولا لي إذا كنت سأتعرّض لمثل هذه الخيانة الزوجية.

المصريّتان (كلتنا المرأتَيْن ترقصان وتنشدان) : لا، لا، لا، لا.

إسْكاناريل : يا لطيف. هذا ليس بجواب مقبول. إقتربا منّي. إني أسألكما اذا كان مكتوباً لي أن أتعرّض للخيانة الزوجيّة.

المصريّة الثانية : انت تكون مخدوعاً ؟

إسْكاناريل : نعم، نعم، اذا كنت سأتعرّض للخيانة الزوجيّة.

المصريّة الأولى : أنت تكون مخدوعاً ؟

إسْكاناريل : نعم، نعم، نعم. هل سأتعرّض للخيانة الزوجية ؟

المصريّتان (كلتاهما ترقصان وتنشدان) : لا، لا، لا، لا.

إسْكاناريل : لا بد لي من أن أعرف مصيري بعد الزواج. لذلك أريد الذهاب الى ذلك الساحر الكبير الذي يتكلّم عنه الجميع، والذي بفنّه العجيب يتيح لاناس ان يروا سلفاً كل ما يتمنّون أن يعرفوه. أجل لا بدّ لي من الذهاب الى ذلك الساحر البارع، وهو قادر على التنبّؤ لي بكل ما أسأله عنه.

المشهد السابع

دوريمان، وليكاسْت، واسكاناريل.

ليكاسْت : من أرى ؟ الحسناء دوريمان، وهي تتكلّم بدون مزاح.

دوريمان : طبعاً بدون مزاح.

ليكاسْت : هل حقاً ستُزفّين قريباً عن جدّ ؟

دوريمان : نعم، قريباً، وعن جدّ ما بعده جدّ.

ليكاسْت : وعلى ما يظهر، هذا المساء سيُقام عرسك.

دوريمان : نعم، في هذا المساء بالذات.

ليكاسْت : وهل يسعك، يا قاسية القلب، ان تنسَيْ هكذا بسرعة، ما احفظه لك في صدري من الهوى ؟ وكذلك الكلام الحلو الذي وجهتِهِ اليّ ؟

دوريمان : أنا، ابداً. لم أنْسَ بتاتاً. عليك أن لا تقلق بسبب هذا الزواج. فأنا لا أحبّ الرجل الذي أُزَفُّ اليه، لأن ما يهمّني منه ليس سوى ماله الوافر. أنا فتيّة، وأنت فقير مثلي، وتعلم جيداً أن الانسان بدون المال لا يمكنه أن يجد لحظة سرور في هذه الدنيا. لذا علينا أن نحصل على هذا المال بأية وسيلة وأي ثمن. ثم من جهتي لم أشأ أن تفوتني هذه الفرصة الذهبية. فسمحت لنفسي بأن أغرف من المال ما أشاء بهذه المسايرة الطفيفة، على أمل أن أتنعّم بواسطة هذا المال بكل ما اشتهي من أطاييب الحياة، وسأتخلّص قريباً من الغبي الذي اقترن به. فهذا الرجل المتقدّم في السنّ لن يلبث أن يموت ليس أبعد من ستة أشهر وأنا أتكفّل بأن يتوفّاه الله خلال المدة المذكورة، لأني لا أتمنى على السماء إلّا أن تعجّل بترمّلي. ولقد تكلمنا عنك في جلسة ممتعة، وعدّدنا كل ما يمكن أن يُنسب اليك من مجاملة وصفات مستحبّة.

ليكاسْت : هل هذا هو الرجل الذي تشيرين اليه ؟

دوريمان : أجل هو السيد الذي سيقترن بي.

ليكاسْت : إسمحْ لي، يا سيدي، بأن أهنئك على زواجك السعيد، وأن أعرض عليك في هذه المناسبة خدماتي المتواضعة. أُؤكِّد لك أنك تقترن بآنسة شريفة. وأنا مسرور، يا آنستي الفاضلة، باختيارك رجلاً ملائماً لا يمكنك أن

تجدي أَوْلَى منه. فمظاهره تُبرهن على أنه عريس ممتاز. نعم، يا سيدي، أرجوك أن تقبل صداقتي، وأن تُبادلنا الزيارات والسهرات المسلية.

دوريمان : هذا شرف عظيم تغمرنا به نحن الاثنَيْن. لكن، هيّا بنا، فالوقت يمرّ مسرعاً وسنلاقي ظروفاً عديدة للتمتّع بالأحاديث الشيّقة.

إسْكاناريل : لكنني منذ الآن سَئِمْتُ الزواج. ويجمل بي أن أذهب لفكّ ارتباطي الكلامي حيال والدك. فذلك قد كلّفني مبلغاً من المال لا يستهان به. غير أني أفضّل هذه الخسارة على أن أتعرّض لكارثة أفظع منها. لا بدّ لي من التخلّص فوراً من هذه القضية الشائكة. (يذهب لمقابلة الكنتور).

المشهد الثامن

أَلْكانْتور، واسكاناريل

أَلْكانْتور : أهلاً بك، يا صهري العزيز.

إسْكاناريل : أنا في خدمتك، يا سيدي.

أَلْكانْتور : أنت طبعاً آتٍ لإتمام مراسم الزواج.

إسْكاناريل : أُعذرْني.

أَلْكانْتور : أُؤكّد لك أني أنتظر هذه اللحظة المباركة بفارِغ الصبر نظيرك تماماً.

إسْكاناريل : انا قادم الى هنا لغاية أخرى.

أَلْكانْتور : لقد أصدرت تعليماتي لعمل كل ما يلزم هذا الاحتفال الميمون.

إسْكاناريل : لا حاجة لذلك.

أَلْكانْتور : وقد حجزت عازفي الكمان، وستصبح المأدبة الفاخرة جاهزة في موعدها. وابنتي ترتدي ثوب العرس، هي تنتظر قدومك على أحرّ من الجمر.

إسْكاناريل : ليس لهذا الأمر جئت أنا.

أَلْكانْتور : اخيراً ستكون حتماً راضياً على جميع الاستعدادات، ولن يُؤخر سرورك أيّة عرقلة. لأن كل التجهيزات تمّت على ما يرام.

إسْكاناريل : ربّاه. ما هذا الإلتباس ؟
ألْكانْتور : هيا أُدخل، يا صهري العزيز.
إسْكاناريل : لديّ كلمة وجيزة أبلغك إياها.
ألْكانْتور : يا الهي. لا داعي للرسميّات. عجّل في الدخول، من فضلك، فالعروس تنتظرك.
إسْكاناريل : لا، لا. أريد أن أتحدّث اليك أوّلاً على انفراد.
ألْكانْتور : هل حقاً لديك ما تقوله لي أنا ؟
إسْكاناريل : نعم.
ألْكانْتور : وما هو ؟
إسْكاناريل : يا سيدي ألْكانْتور، صحيح أني طلبت منك أن تزوّجني ابنتك، وأنت قبلت بذلك. لكني أرى نفسي متقدّماً في السنّ قليلاً بالنسبة اليها. وأعتقد اني لا أناسبها.
ألْكانْتور : أُعذُرْني. إنّ ابنتي تجدك ملائماً كما أنت. ولي ملء الثقة بأنها ستقضي معك اياماً سعيدة.
إسْكاناريل : ابداً. فأنا لي سيئات لا تُطاق، ولن ترتاح الى مزاجي المرهق.
ألْكانْتور : ابنتي مسايرة للغاية. وسترى كيف ستُطبّق طباعها على رغباتك.
إسْكاناريل : من جهةٍ أخرى، في جسمي تشويهات بغيضة ستثير امتعاضها.
ألْكانْتور : هذا لا يهمّ. فأنا أفضّل الموت على الرجوع عن كلامي.
إسْكاناريل : يا إلهي. أنا أُعفيك من ذلك ؟ ...
ألْكانْتور : لا، ابداً، لا أرضى. لقد وعدتك بها ولن أتراجع رغم كل طلبات الراغبين بالاقتران بها.
إسْكاناريل : ما أسوأ حظي.
ألْكانْتور : أنا أقدّر شخصيّتك، وأحرص على صداقتك بصورة خاصّة. وسأرفض زفّها الى سواك وَلَوْ كان أميراً.
إسْكاناريل : يا سيدي ألْكانتور، أنا ممتنّ من الشرف الكبير الذي أوليتني إياه. لكني أصرّح لك بوضوح أني لم أعد أرغب في الزواج مطلقاً.
ألْكانْتور : من ؟ أنت ؟

إسْكاناريل : نعم، أنا بالذات.
ألْكانْتور : ولأي سبب.
إسْكاناريل : السبب هو إني لا أشعر في نفسي بأي استعداد للزواج. وأودّ أن لا أخالف مشيئة والدي وجميع اصدقائي الذين لم يرضوا بأن أتزوّج.
ألْكانْتور : إسمعْ، تصرّفْ كما تشاء. أنا رجل مسالم لا أريد أن أُجبر أحداً. أنت ارتبطت تجاهي بأن تقترن بابنتي. وجميع الاستعدادات اصبحت جاهزة. لكن، بما أنك مصمّم على سحب كلامك، سأرى ما يتوجّب عليّ عمله بالتالي، وستسمع قريباً أخباري.
إسْكاناريل : ردّك معقول اكثر مما ظننت، وقد اعتقدت أني سألاقي صعوبات وتعقيدات لكي أنْسحب. وعندما أفكّر الآن، أجد نفسي مخطئاً في العدول عن تحقيق هذا المشروع، وكنت مزمعاً ان أُقْدِم على خطوة ربما ندمت عليها طويلاً. ها هوذا الإبن يأتيني بالجواب النهائي.

المشهد التاسع

ألْسيداس، واسكاناريل.

ألْسِيداس (يتكلّم بلهجة لطيفة) : أنا خادمك المتواضع، يا سيدي.
إسْكاناريل : وأنا أيضاً في خدمتك من كل قلبي، أيها الشاب الظريف.
ألْسِيداس : أخْبرني والدي، يا سيدي، بأنك جئت وسحبت وعدك الذي ارتبطت به حياله لتقترن بشقيقتي.
إسْكاناريل : اجل يا سيدي. وانا آسف لذلك. لكن ...
ألْسِيداس : ألَا يتأتّى عن ذلك أي ضرر، يا سيدي ؟
إسْكاناريل : كن على يقين اني مستاء، وكم تمنّيت ...
ألْسِيداس : أكرر عليك : ألَا يتأتّى عن ذلك اي ضرر ؟ (يقدّم له سيفَيْن) خذ واخترْ، يا سيدي، أحد هذين السيفَيْن.

إسْكاناريل : أحد هذين السيفَيْن ؟

ألْسِيداس : نعم، من فلك.

إسْكاناريل : ولماذا ؟

ألْسِيداس : بما أنك رفضت الإقتران بأختي بعد أن تعهّدت بذلك، أعتقد يا سيدي، أنك لن تشمئزّ من الثناء عليك كما أفعل الآن.

إسْكاناريل : وكيف ؟

ألْسِيداس : سوانا كان أقام الدنيا ولم يقعدها. لكننا نحن اشخاص نعالج أمورنا بنعومة وهدوء. لذا جئت أقترح عليك بكل تهذيب، إذا شئتَ أن نتبارز بالسيف فينقطع كل منا عنق رفيقه بدون عنف.

إسْكاناريل : هذا فعلاً ثناء غير مشكور، وليس في محله.

ألْسِيداس : هيّ، يا سيدي، إخترْ سيفاً، من فضلك، وتفضّل الى المبارزة.

إسْكاناريل : انا فخدمتك. لكني لا أملك عنقاً أُسلّمك إياه للقطع، كما تفضّلت ورجوتني أن أفعل.

ألْسِيداس : لا بد من قبول هذا الطلب، من فضلك، يا سيدي.

إسْكاناريل : ارجوك أن تعيد هذا الإطراء غي المرضي الى غمده.

ألْسِيداس : عجّل، يا سيدي. هناك أمر طفيف ينتظرني.

إسْكاناريل : قلت لك إني لا أرغب في ذلك.

ألْسِيداس : ألا تريد حقّاً أن نتبارز ؟

إسْكاناريل : كلّا ثم كلّا.

ألْسِيداس : بكل تأكيد ؟

إسْكاناريل : نعم بكل تأكيد.

ألْسِيداس : على الأقلّ، يا سيد،ي لا حاجة لتذمّرك، لأنك ترى أني أتدبّر الأمر بكل نظام وتبصّر. أنت قد أخْلَفْت بوعدك، وأنا أصرّ على مبارزتك. أنت ترفض المبارزة، وأنا مستعد أن أؤدّبك إذاً بضربك بالقضيب. وكل ذلك يجري حسب الأصول. وبما أنك رجل شهم، لا يسعك إلّا أن توافق على تصرّفي الرصين.

إسْكاناريل : أنت أدهى من الشيطان الرجيم في استدراج الناس الى ما لا يحبّذونه.

ألْسِيداس : هيا، يا سيدي، إستجب طلبي بلياقة، ولا تَدَعْني أشدّك من أُذُنك.

إسْكاناريل : هذا ما ينقصنا.

ألْسِيداس : أنا لا أجبر أحداً، يا سيدي. لكن يجب عليك أن تبارزني، أوْ أنْ تقترن بشقيقتي.

إسْكاناريل : أؤكد لك أنّي لا أستطيع عمل هذا ولا ذاك.

ألْسِيداس : بالتأكيد ؟

إسْكاناريل : نعم بكل تأكيد.

ألْسِيداس : اذاً أنا أستأذنك ...

إسْكاناريل : ها، ها، ها، ها.

ألْسِيداس : يؤسفني جداً أن أضطر، يا سيدي، الى معاملتك هكذا. ولكني أكرّر عليك، بعد استئذانك، أني لا أرضى عن عدم اشتراكك بالمبارزة ولا عن عدم اقترانك شقيقتي.

إسْكاناريل : طيّب. سأتزوجها. سأتزوجها.

ألْسِيداس : الآن ارتاح بالي وملأ السرور قلبي، لأنك تكلّمت بتفكير سليم وتعقّل، ولأن الامور ستجري كما يجب بهدوء. وهكذا أُقسم لك أني أجدك أجدر رجل يستحقّ كلّ التقدير، ولا اكتمك أني كنت شعرت بأعمق الأسف لو كنتَ اضطررتني الى اساءة معاملتك. سأنادي والدي لكي تبلغه موافقتك التامّة على هذا الزواج حسب الاتفاق.

المشهد العاشر والأخير.

ألْكانتور، وألْسيداس، واسكاناريل.

ألْسِيداس : يا ابي، ها هوذا العريس السيد اسكاناريل قد رجع الى صوابه، وقَبِل أن يتمّم الزواج على أحسن ما يُرام. ويمكنك أن تزوّجه أختي باطمئنان.

ألْكائتور : ها هي يدها، يا سيدي، وما عليك إلّا أن تمنحها أنت يدك. إني أشكر السماء التي فرجت همي، إذْ أصبحتْ ابنتي من الآن وصاعداً في عهدتك، يا صهري العزيز. هيا نفرح بهذه المناسبة السعيدة ونعقد قرانكما معاً، بالرفاه والبنين.

(**تمّت**)

الطَبِيْبُ الطَيَّار

المسرحية ذات فصل واحد

أشخاص المسرحية

فالير : عاشق لوسيل.
سابين : إبنة عمّ لوسيل.
اسْكاناريل : خادم فالير.
كورجيبوس : والد لوسيل.
رينيه الضخم : خادم كورجيبوس.
لوسيل : ابنة كورجيبوس.
محامٍ :

الأحداث تجري في الريف الفرنسي

فصل واحد

المشهد الأول

فالير وسابين

فالير : ما قولك، يا سابين ؟ أوما لديك من نصيحة تسدينها اليّ ؟

سابين : حقيقةً، هناك أخبار كثيرة. فعمّي يصرّ على تزويج ابنته من الشاب فيلْبروكان وقد تقدمت بينهما المباحثات في هذا الشأن الى حدّ يجعلني أعتقد أنهما كانا تزوّجا اليوم، لو لم تكن هي تحبّك. ولكن، بما أنها قد أودعتني سرّها واطلعتني بصراحة على ما تكنّه لك من الهيام، وكلاكما تجدان نفسيكما ضحيّة بخل عمي البغيض، تذرّعنا بابتكارٍ رائع لتتميم زواجكما. فإن ابنة عمي منذ اللحظة التي كلمتك فيها، ارسلت تبحث عن طبيب ماهر لمعالجتها. فاذا أمكنك أن توفد اليّ أحد أصدقائك للتفاهم معه على الادّعاء بأنه طبيب، نوصيه بأن ينصح المريضة ويصرّ على وجوب ذهابها الى الريف لكي تتنشق الهواء الطلق النقي. ونلتمس من هذا الرجل ان يلحّ على إيواء ابنة عمي تحت سقف بيت قائم في آخر الحديقة. وهكذا يتسنى لك أن تحادثها بدون أن يدري عجوزنا العنيد بذلك، وتتزوّجا في خاتمة المطاف.

فالير : ولكن كيف الاهتداء بسرعة الى طبيب مناسب يقبل بأن يتورط ويخدمني في هذه القضية الشائكة ؟ بصراحة أقول لك أني لا أعرف أحداً يوصلنا كما نأمل، الى الغاية المنشودة.

سابين : أنا أفكّر بأمر. ما قولك بأن تُلبس خادمك جبّة طبيب ؟ اذ لا أسهل من خداع صاحبنا ابيها الساذج.
فالير : خادمي ثقيل الظل يشوّه كل العملية. ولكن علينا أن نلجأ إليه اذا لم نتوفّق الى ايجاد شخص افضل منه. الوداع. انا ذاهب لآتي به، ولكن، اين يمكنني أن أجد الآن هذا الغبي ؟ ... ها هوذا مقبل.

المشهد الثاني

فالير واسكاناريل.

فالير : يا صديقي الوفي اسكاناريل، كم أنا مسرور بلقائك. أراني بحاجة إليك في مسألة هامة. لكن بما أني أجهل ماذا يمكنك أن تصنع...
إسْكاناريل : ماذا يمكنني أن أصنع، يا سيدي ؟ تستطيع أن تستخدمني في كل أشغالك الهامّة مهما كانت دقيقة. مثلاً، ان أذهب وأرى الوقت الذي تشير اليه الساعة الكبيرة، وما هو سعر السمن في السوق، وأن أقدّم ماءً للحصان كي يشرب. حينئذٍ يسعك أن تعرف ماذا أتقن من أعمال.
فالير : لا، ليس الأمر سهلاً، كما تقول. المشكلة هي أن تستطيع تقليد الطبيب.
إسْكاناريل : أنا طبيب، يا سيدي ؟ مع ذلك إني على أتمّ الاستعداد لعمل كل ما يرضيك. لكن أن أكون طبيباً ... على كل حال، أنا مستعدّ أن أخدمك في جميع ما يلزمك. يا إلهي كيف العمل لأخدمك في هذا المجال ؟ بذمّتي، يا سيدي، اراك تريد أن تسخر مني.
فالير : اذا رضيت ان تقوم بهذا العمل، سأدفع لك عشرة فرنكات.
إسْكاناريل : من أجل عشرة فرنكات لن أرفض أن أكون طبيباً. اذ في الواقع، يا سيدي، أنا اصارحك بأني لست ماهراً ولا بارعاً. فإلى اين تريد أن أذهب ؟
فالير : الى الرجل الطيّب القلب كورجيبوس لزيارة ابنته المريضة. غير أنك ثقيل الظلّ واخشى أن تتصرف بشكل يضرّ بدل أن ...

إسْكاناريل : يا الهي. أرجوك، يا سيدي، أن لا تهتم كثيراً. أؤكد لك أني استطيع ان ازهق روح انسان بصورة أفضل مما يقوم بذلك أي طبيب في المدينة. هناك مثل سائر يقول : « الموت يتغلّب أحياناً على الطبيب ». ولكنك ستسمع، اذا أنا قمت بهذا العمل : « ان الطبيب يتغلّب دائماً على الموت ». على كل حال، عندما افكّر اجد أن تقليد الطبيب ليس سهلاً، بل صعباً جداً. ومهما يكن الأمر، سأفعل ما استحق عليه الثناء.

فالير : لن تلاقي صعوبة في لقاء هذا الشخص، لأن كورجيبوس رجل بسيط، ساذج الطبع، سريع الارتباك وسيطيش صوابه عندما تتحدث اليه بجدّية، على أن تتكلم امامه عن هيبوقراط وعن جالينوس، وان تتذرّع بقليل من الجسارة.

إسْكاناريل : أفهم منك أنّ عليّ أن أُكلّمه بقليل من الفلسفة والرياضيات. دعني أتصرّف. فإذا كان رجلاً سهل الاقتناع كما تقول، أؤكد لك نجاح العملية. عليك فقط أن تؤمن لي جبّة طبيب، وترشدني إلى ما يتحتّم عليّ أن أفعل، وتمنحني شهادتي التي تتكوّن من الفرنكات العشرة التي وعدتني بها.

(يخرج فالير واسكاناريل).

المشهد الثالث

كورجيبوس ورينيه الضخم.

كورجيبوس : اذهب بسرعة لاستدعاء الطبيب. لأن ابنتي شديدة المرض. هيّا عجّلْ.

رينيه الضخم : تبّاً للشيطان اللعين. لماذا تريد أن تزفّ ابنتك لرجل متقدم في السنّ ؟ أولا تعتقد أنها تفضّل شاباً يلبّي رغباتها ؟ هل ترى من علاقة بين ...

كورجيبوس : اذهب حالاً، لئلّا يؤخر المرض هذا الزواج الذي أميل اليه.

رينيه الضخم : هذا ما يغيظني. كنت أترقّب ان أحشو بطني بطعام دَسِم شهيّ، وها أنا أظل جائعاً محروماً من أطاييب الدنيا. سأذهب الى طبيب

ليعالجني، وكذلك يعالج ابنتك. اني أشعر بهموم العالم تنهال على رأسي.
(يخرج)

المشهد الرابع

سابين وكورجيبوس واسكاناريل.

سابين : أتيت لأراك، يا عماه، ولأنقل اليك نبأ سارّاً. أتيتك بأبرع طبيب في الكون، برجل قادم حديثاً من بلاد أجنبيّة، يعرف أروع الأسرار، وبدون شك سيشفي ابنتك. لقد دلّني عليه أحد الأصدقاء واوصاني به خيراً. وها أنا قد اصطحبته اليك. انه عالم ماهر ال يحدّ اني اشتهي أن أمرض ليداويني ويشفيني.

كورجيبوس : اين هو ؟

سابين : لقد لحق بي، وها هو قد حضر.

كورجيبوس : انا في خدمتك، يا سيدي الطبيب. لقد طلبتك لتأتي وتشفي ابنتي المريضة. وأملي كبير ببراعتك.

إسْكاناريل : قال هيبوقراط وكذلك جالينوس، لا بد من إقناع الشخص العليل بأنه مريض. الحق الى جانبك، اذ ان الجميع يشهدون بمهارتي، واني أكبر طبيب وأبرع معالج في حقل الطب النباتي والحسّي والمعدني.

كورجيبوس : هذا يسعدني جداً.

إسْكاناريل : لا تظنّ اني طبيب عادي بسيط. إعلم أن سائر الأطباء ليسوا في نظري سوى أُجَراء في الطب، بينما أنا لي مواقف خاصة مشرّفة، ولديّ اسرار عجيبة في مجال الشفاء. بُنْجُورْنو سنيور رودريك. هل أنت شجاع ؟ سينيور سي سنيورينو، بير أومْنيا سيكولا سيكولاروم. لكن دعني أفكّر قليلاً.

سابين : إنتبهْ، يا دكتور. ليس هو المريض بل إبنته هي المريضة.

إسْكاناريل : هذا لا يهمّ. إن دم الأب ودم ابنته هما من فصيلة واحدة،

وبفحصي دم الوالد استطيع أن أعرف مرض الإبنة. فهل هناك من سبيل، يا سيدي كورجيبوس، كي ارى بول صاحبة العلّة.

كورجيبوس : نعم، لا مانع ابداً. هيا اذهبي، واجلبي لي قليلاً من بول ابنتي. (تخرج سابين) سيدي الطبيب، أخشى عليها من الموت عاجلاً.

إسْكاناريل : يجب عليها أن تحافظ على حياتها، وان لا تتلهّى بترك ذاتها تموت بسبب تناولها وصفة الطبيب. (تعود سابين) هذا قليل من البول الذي يدلّ على حرارة مرتفعة، وعلى إلتهاب خطير في الأمعاء. مع ذلك صحتها لا تبعث على القلق.

كورجيبوس : ماذا أرى ؟ هل شربته ؟

إسْكاناريل : لا تندهش لذلك. فالأطباء عادة يكتفون بالمحافظة عليه. لكني بصفتي طبيب غير عادي أشربه، لأني من مذاقه أهتدي الى سبب المرض وتوابعه. لكن كميته في الحقيقة، كانت قليلة جداً، فلم استطع ان اكوّن تشخيصي الكامل. دعوها تبوّل مرة اخرى.

سابين (**تخرج وتعود**) : لقد عذبتْني حتى بوّلتُ هذا المقدار.

إسْكاناريل : هذا لا بأس به، وهي كميّة تكفي لتبيين النتيجة. إجعلوها تبوّل من الآن وصاعداً بوفرة، أكرّر القول بوفرة. ولو كان جميع المرضى يبوّلون هكذا لَوَدَدْتُ أن أظل طبيباً طوال حياتي.

سابين (**تخرج وتعود**) : هذا كل ما أمكن الحصول عليه، لأنها لا تستطيع أن تبوّل أكثر مما فعلتْ.

إسْكاناريل : ماذا تقول ؟ يا سيدي كورجيبوس، ألَا تبوّل ابنتك إلّا نقاطاً معدودة ؟ اذا إبنتك معها فقر بول. لذلك سأعطيها دواءً يساعدها على التبويل بكثرة. ألَا يمكنني أن أشاهد المريضة ؟

سابين : لقد نهضتْ. واذا شئت، سأجلبها الى هنا.

المشهد الخامس

لوسيل وسابين وكورجيبوس واسكاناريل.

إسْكاناريل : ايتها الآنسة، هل أنت مريضة ؟

لوسيل : اجل، يا سيدي.

إسْكاناريل : من سوء حظك. وهذه إشارة الى أن صحتك ليست على ما يُرام. هل تشعرين بآلام شديدة في رأسكِ وفي كليتيكِ ؟

لوسيل : نعم، يا سيدي.

إسْكاناريل : حسن جداً. ذكر الطبيب الشهير أُوفير في الفصل الذي كتبه عن طبيعة الحيوانات ... مئة مسألة جميلة. وبما أن كثيراً من المزاجات ترتبط بعدّة عوامل أساسية، نظير الكآبة التي تطرد الفرح والمرارة التي تنتشر افرازاتها في الجسم وتجعل بشرتنا صفراء اللون، لا شيء ينهك الجسم كالمرض. ويسعني أن اردّد مع العالم الكبير المذكور، أن ابنتك مريضة جداً، وتحتاج الى وصفة طبية فعّالة لمعالجتها.

كورجيبوس : أحضروا حالاً طاولة وورقاً وحبراً.

إسْكاناريل : هل يوجد بينكم من يعرف الكتابة ؟

كورجيبوس : ألا تعرف أنت أن تكتب، يا حضرة الطبيب ؟

إسْكاناريل : أنا لا أتذكّر، لأن اموراً لا تُحصى تشغل بالي الى حدّ اني انسى نصفها ... اعتقد أن ابنتك بحاجة الى تنشقّ قليل من الهواء الطلق النقي، وان تروّح عن نفسها في أجواء الريف.

كورجيبوس : في آخر حديقتنا بيت جميل، غرفه الواسعة تدخلها الشمس طوال النهار، ويجري فيها الهواء النظيف من كل الجوانب، وأظن ذلك يكفي، اذا أمرت.

إسْكاناريل : هيّا بنا لنزور هذه الأماكن ونتفقّدها.

(يخرجون)

المشهد السادس

المحامي

المحامي : لقد بلغني أن ابنة السيد كورجيبوس مريضة. وعليّ ان أسأل عن صحتها، وان أقدّم خدماتي كصديق كل افراد العائلة. هل السيد كورجيبوس موجود في البيت ؟

المشهد السابع

كورجيبوس والمحامي

كورجيبوس : انا يا سيدي، خادمك الأمين.
المحامي : بما أني علمت بمرض الآنسة ابنتك، جئت لأعبّر لك عن مودتي، وأضع إمكاناتي تحت تصرّفك. فيمكنك الإتّكال عليّ في كل ما يلزمك من خدمة كبيرة أو صغيرة.
كورجيبوس : كنت داخل البيت بصحبة أمهر عالم في الدنيا.
المحامي : أوَلا يمكنني أن أتحدّث اليه برهة.

المشهد الثامن

كورجيبوس والمحامي واسكاناريل

كورجيبوس : يا سيدي، هذا الرجل النبيه هو من أعزّ أصدقائي، ويتمنّى أن يتحدّث اليك.
إسْكاناريل : ليس لديّ الوقت الكافي، يا سيدي كورجيبوس. اذ لا بدّ لي من الذهاب لمعاينة مرضاي. ولا يسعني أن أخصّص له الآن بعض وقتي.
المحامي : يا سيدي، على أثر ما أخبرني به عنك السيد كورجيبوس، وعن

خبرتك ومهارتك وعلمك، يسرّني أن أتعرف اليك واتشرّف بمقابلتك وأستميح الحرية لأن أحيّي مقامك السامي، وأعتقد أنك لن تعتبر هذا منّي تطفّلاً. أنا واثق بأن جميع المميّزين بما بلغوه من مستوى علمي رفيع في مهنة الطبّ مثلاً؛ بالنظر إلى فائدتهم الخاصّة في المجتمع، يستحقّون الثناء على ما بذلوه من جهود جبّارة في ميدان العلم والمعرفة، لا سيما في المواقف الحرجة والمهمّات الصعبة. لذا قال عنهم هيبوقراط في بيانه الشهير: فيتا برافيس أرْس فيرو لونْكا أجاسيو أُوتيم براسيبْس إكْسْباريمنْتوم بيريكولوسيوم هوديسيوم ديفيسيلا.

إسْكاناريل (لكورجيبوس) : فيسيلا تنْتينا بوتا باريل كومْبوسْتيوس.

المحامي : ارى انك لست من الأطباء الذين يهملون اللجوء الى العلاج المسمّى « العملي والنظري » بل يمارسونه كل يوم بنجاح منقطع النظير. اكْسبْرْيانْتيا ماجيسترا راتوم. ان اوائل من أجْروا الاختبارات الطبية قد نالوا الإعجاب في ميدان هذا العلم الجليل المفيد الى حدّ أنْ إعتبرهم الجميع كالآلهة نظراً الى ما احرزوه من تفوّق في المعالجات التي لا تزال معتمدة كل يوم حتى زمننا الحاضر. هناك من يقلّل من تقدير الطبيب عندما لا يُوفّق الى ردّ صحة مريضه، لأن ذلك لا يتوقّف فقط على ما يصفه له من عقاقير، ولا على مقدرته العلمية الواسعة المدى. انْترْدوم دوكْتا بلوس فاليت أرْتي مالوم. وأخشى، يا سيدي، أن أتطفّل عليك أو أضيّع وقتك الغالي. لذا أستأذنك للانصراف على أمل ان التقي بك مجدّداً في أول فرصة سانحة، وأتشرف بالتحدث اليك مطوّلاً. فأنا لا أشك بأن وقتك ضيق وثمين جداً.

كورجيبوس : كيف وجدت هذا الرجل ؟

إسْكاناريل : لديه بعض المعلومات. وكان بإمكانه ان يبقى معنا مدة اطول، لأني كنت على وشك أن أفاتحه في أمر هامّ سامي الأهداف. مع ذلك، أنا ايضاً أستأذنك بالإنصراف. (كورجيبوس يعطيه دراهم) ماذا تفعل ؟

كورجيبوس : اني اعرف جيداً كم انا مدين لك بالكثير.

إسْكاناريل : هل تهزأ بي، يا سيدي كورجيبوس ؟ لن اقبض منك فلساً

واحداً، لأني لست رجلاً مأجوراً. (يأخذ الدراهم) أنا دائماً في خدمتك.

(يذهب اسكاناريل ويدخل كورجيبوس الى بيته)

المشهد التاسع

فالير

فالير : لست أدري ماذا فعل اسكاناريل. لأني لم أتلقّ منه أي خبر. وأنا أتساءل اين يمكنني أن ألاقيه ؟ (يعود اسكاناريل بثياب خادم) ها هو. اين كنت، يا اسكاناريل ؟ ماذا فعلت منذ أن غبت عن نظري ؟

المشهد العاشر

اسكاناريل وفالير.

إسْكاناريل : معجزة تِلْوَ معجزة تمّت على يدي مؤخّراً. لقد تصرّفت بمهارة ما بعدها مهارة الى حدّ أن اعتقد كورجيبوس أني من أبرع أطباء هذا العصر. لقد استقبلني أحسن استقبال. ونصحته بأن يدع ابنته تذهب الى الريف لتتنشّق الهواء الطلق النقي، وهي الآن في منزل يقع في آخر الحديقة بعيداً عن ابيها العجوز. وفي الوقت الحاضر تستطيع أنت أن تمضي و تقابلها متى شئت.

فالير : كم يسعدني هذا النبأ المطمئِن. وبدون أن أضيع الوقت، أنا ذاهب لأجتمع بها.

(يخرج).

إسْكاناريل : لا بدّ لي من الاعتراف بأن كورجيبوس حقاً رجل بطيء الفهم، لكي ينخدع هكذا بسهولة بما أوهمته به. (يبصر كورجيبوس). لكني أرى أن

كل مسعاي ضاع سدىً وأن مشاكل الطب ستنهال على رأسي. غير أني سأجد مخرجاً من هذا المأزق، وسأخدعه ثانية.

المشهد الحادي عشر

اسكاناريل وكورجيبوس

كورجيبوس : نهارك سعيد، يا سيدي. انا، يا سيدي، خادمك الأمين. لديّ شاب مسكين مريض مغلوب على أمره، فهل تعرف طبيباً وصل مساء أمس الى هذه المنطقة، سمعت أنه بارع الى حدّ يمكّنه من أن يشفي بصورة عجيبة.

إسْكاناريل : أنا شقيقه، يا سيدي، ونحن توأمان، كما ترى، نتشابه جداً، كثيراً ما يظن الناس أحدنا أنه الشقيق الآخر.

كورجيبوس : أكون غبيّاً ان قلت لك أني لم ألاحظ هذا الشبه الغريب. ما اسم حضرتك ؟

إسْكاناريل : أُدْعى نرسيس، يا سيدي، وأنا دائماً في خدمتك. اظنك تعرف اني ألازم عيادته باستمرار. فقد دلقت حنجورَيْن من العطر كانا على طرف المائدة. وحالاً إستشاط غضباً بسبب ما فعلته عَرضاً وطردني من البيت ولم يعد يريد أن يراني. وانا الآن منكوب مسكين لا معين لي ولا سند ولا صديق.

كورجيبوس : هيّا لا تحزنْ. سأساعدك على الخلاص من مأزقك، واعدك بأن أصلح الحال بينك وبينه. سأكلمه في هذا الموضوع حالما اقابله قريباً.

إسْكاناريل : انا أسير معروفك، يا سيدي كورجيبوس ولن أنسى فضلك عليّ ما حييت.

(يخرج اسكاناريل ويعود حالاً مرتدياً جبة الطبيب).

المشهد الثاني عشرة

اسكاناريل وكورجيبوس

إسْكاناريل : لا بدّ من الاقرار بأن المرضى لا يحبّذون اتّباع نصيحة الطبيب، بل يستسلمون الى شهواتهم التي ...
كورجيبوس : يا حضرة الطبيب، أنا خادمك الأمين، ألْتمس منك معروفاً.
إسْكاناريل : ماذا تريد، يا سيدي ؟ هل من خدمة أؤدّيها لك ؟
كورجيبوس : يا سيدي، صادفت منذ لحظة السيد شقيقك الذي ابدى لي استياءه من ...
إسْكاناريل : هو دجّال محتال، يا سيدي كورجيبوس.
كورجيبوس : ما لك تتكلّم عنه هكذا ؟ هل تريد أن تدفعه الى اليأس ؟
إسْكاناريل : لا تكلّمني عن هذا الغبي أبداً بعد الآن. لأن حماقته لا تطاق. ولا تحاول أن تتدخّل في أي صلح بيننا. أرجوك أن لا تأتي على ذكره أمامي من الآن فصاعداً.
كورجيبوس : يا إلهي. ارجوك، يا حضرة الطبيب، ان تصنع ذلك اكراماً لي. وأنا مستعدّ لأن أردّ لك جميلك اضعافاً بأقرب فرصة ممكنة بكل طيبة خاطر، لأني تعهّدت بالقيام بهذه المهمّة و ...
إسْكاناريل : انت ترجوني بمثل هذا الإلحاح، مع أني أقسمت بأن لا أسامحه مطلقاً. لكني إكراماً لشخصك العزيز عليّ، وحسب إلْتماسك مني، أنا اسامحه هذه المرّة. أؤكد لك اني افعل ذلك بصعوبة لأني لا أستطيع أن أخالف طلبك. الوداع، يا سيدي كورجيبوس.
كورجيبوس : لن أنسى لك هذا المعروف. ها أنا ذاهب لأبلغ اخاك المسكين هذا النبأ السارّ الذي سيفرحه كثيراً.

(يدخل كورجيبوس الى البيت ويذهب اسكاناريل).

المشهد الثالث عشر

فالير واسكاناريل

فالير : ما كنت لأصدّق ان اسكاناريل قادر على القيام بهذه المهمة الصعبة. (يدخل اسكاناريل وهو بثياب الحداد) يا لك من شاب مخلص. كم أنا مدين لك لقاء هذه الخدمة الجليلة، وكم أنا مسرور بأني ...

إسْكاناريل : بذمّتي، انت تتكلم كرجلٍ حكيم. فقد صادفني كورجيبوس، وبدون أي جهد لقيت أن العقدة قد حُلَّتْ. (يلمح كورجيبوس) هيّا أهرب من هنا.

(يخرج فالير)

المشهد الرابع عشر

كورجيبوس واسكاناريل

كورجيبوس : كنت أبحث عنك في كل مكان لأخبرك بأني التقيت شقيقك، وقد أكّد لي أنه سامحك. لكن لكي أكون اكثر اطمئناناً، أودّ أن يعانقك اثناء حضوري. فادخلْ الى منزلي، وانا ذاهب لآتي به الى هنا.

إسْكاناريل : يا سيدي كورجيبوس، لا أظنّ انك ستجده في الوقت الحاضر. ثم أني لا أنوي أن أبقى عندك، لأني أخشى كثيراً أن يغيظه وجودي.

كورجيبوس : ستظل هنا، لأني أريد أن أستبقيك عندي. أنا ذاهب لآتي بأخيك. لا تخفْ. أؤكد لك انه لم يعد مستاءً منك.

(يخرج كورجيبوس).

إسْكاناريل (من النافذة) : بذمّتي، ها قد وقعت في الفخّ، ولم يعد بإمكاني الخلاص من هذه الورطة. فالغيوم متلبّدة، وأنا أخشى كثيراً من أن يأتي وينفجر غضبه وينهال ضرباً بالعصا على ظهري، وان يضطرني الى تناول وصفة أمرّ من كل وصفات الأطباء، هي الكيّ في كتفي. ها قد ساءت أموري. ولكن، لماذا

أيأس من الفرج ؟ فبما أني كثيراً ما لجأت الى الحيلة، عليّ الآن أن أذهب الى أبعد ما يمكنني الوصول اليه أي حتى النهاية. أجل، أجل، لا بد من أن أتخلّص من هذه المشكلة، وأريه ان اسكاناريل هو سيد المحتالين.

(يقفز اسكاناريل من النافذة ويذهب).

المشهد الخامس عشر

رينيه الضخم وكورجيبوس واسكاناريل

كورجيبوس : بذمّتي، هذا امر غريب، كيف يتسنى له أن يقفز من النافذة ؟ (يلمح اسكاناريل عائداً وهو يرتدي جبّة الطبيب): لكن، ها هوذا. لا يكفي، يا سيدي، ان تسامح أخاك، أرجوك، إكراماً لي، أن تعانقه. هو الآن عندي، وقد بحثت عنك في كل مكان لأرجوك أن تصالحه أمامي، كما وعدتني.

إسْكاناريل : أراك تهزأ بي، يا سيدي كورجيبوس. ألا يكفي أني سامحته ؟ لكنني لا اريد أن أراه.

كورجيبوس : أرجوك، يا سيدي الفاضل، أن تعانقه اكراماً لي.

إسْكاناريل : لا يسعني أن أرفض لك طلباً. قل له أن يأتي.

(بينما يدخل كورجيبوس الى بيته من الباب، يدخل اليه اسكاناريل من النافذة).

كورجيبوس (**من النافذة**) : ها هو أخوك ينتظرك هنا. وقد أكدّ لي بأن ينفّذ ما وعدني به.

إسْكاناريل (**من النافذة**) : يا سيدي كورجيبوس، أرجوك أن تأتي إلى هنا. أقسم لك اني بصورة خاصة طلبت منه أن يسامحك، كي لا ترتكب الف حماقة ويُلحق بك ألف إهانة أمام جميع الناس لأنه لا يستحي.

(يخرج كورجيبوس من بيته عبر الباب ويخرج اسكاناريل من النافذة).

كورجيبوس : نعم، أنا ذاهب لأبلغه ذلك. يقول سيدي أنه من قبل الحياء يدعوك الى الدخول، كي يطلب منك السماح. ها هو المفتاح، فما عليك إلّا

أن تستعمله لتدخل. أَلْتمس منك أن لا ترفض رجائي، وان تسايرني في هذا الأمر.

رينيه الضخم : لا استطيع ابداً أن أرفض ما يسرّك. وسترى الآن كيف سأعامله. (من النافذة) أهذا أنت، يا محتال ؟ يا حضرة أخي،ز التمس منك العفو، وأعدك بأن لا أعود الى الاساءة اليك في المستقبل. — أَلَيْس الذنب ذنبك، يا أغبى الأغبياء وأبرع المحتالين معاً ؟ سأعلمك كيف تتصرّف حيال الناس من الآن وصاعداً. ما أجسرك في مضايقة السيد كورجيبوس بمشاكلك التي لا تحصى. — يا حضرة أخي ... — قلت لك أُصمُتْ. — لن أضايقك بعد ... — إخرس، يا وقح.

رينيه الضخم : من تظن الآن أنك تحوي في بيتك ؟

كورجيبوس : الطبيب وشقيقه فرنسيس. لقد كانا على خلاف، وقد جعلتهما يتصالحان منذ لحظة.

رينيه الضخم : ليحمله إبليس الى الجحيم. إنهما كلاهما شخص واحد.

إسْكاناريل (**من النافذة**) : تبّاً لك من سكّير. سأعلّمك كيف تتصرف حيال الناس. وبما أنه ينكّس رأسه ويُطرق بنظره الى الأرض، فهذا خير دليل على إدراكه جيداً أنه كاد يستحق الشنق. تبّاً له من منافق خدّاع عندما يتظاهر بأنه عنصر صالح.

رينيه الضخم : ارجوك، يا سيدي، أن تطلب منه، إكراماً لي، أن يستدعي اخاه الى النافذة.

كورجيبوس : نعم، نعم، يا حضرة الطبيب. ارجوك أن تدعو شقيقك ليطلّ من النافذة.

إسْكاناريل (**من النافذة**) : هو لا يستحق أن يظهر بين الناس الشرفاء. ثم أنه لا يجرؤ على المثول أمامي.

كورجيبوس : ارجوك أن تصنع هذا المعروف بعد كل ما غمرتني به من أفضال.

إسْكاناريل (**من النافذة**) : في الحقيقة، يا سيدي كورجيبوس، انت لك عليّ دالّة خاصّة، ولا أقوى على رفض اي طلب تسألني اياه هكذا بإلحاح. تعال،

أيها المحتال. (بعد أن يغيب لحظة يظهر في ثياب الخدم). يا سيدي كورجيبوس، كم أنا مدين لك لقاء عطفك عليّ هكذا. (يغيب ثانية، ثم يظهر بجبّة الطبيب). هل ابصرت هذا النموذج السيئ الذي لا ينجم عنه سوى الاستهتار والأذى ؟

رينيه الضخم : والله، هما شخص واحد. ولكي اثبت لك ذلك، قل له أنك ترغب في مشاهدتهما معاً في آن واحد.

كورجيبوس : ارجوك أن تجود عليّ بهذه المنّة الأخيرة، وان تظهرا كلاكما معاً مطلّيْن من النافذة.

إسْكاناريل (**من النافذة**) : هذه مسألة أرفضها لأي شخص سواك. لكن، لكي ابرهن لك أني لا أرفض لك طلباً نظراً الى المودة التي أحفظها لك، قررت رغم كل الصعاب أن أدعه يطلب السماح منك عن جميع الذنوب التي ارتكبها بحقّك. ــ أجل، يا سيدي كورجيبوس، اطلب منك العفو عن كل ما أزعجتك به، وأعدك، يا أخي بحضور السيد كورجيبوس الموجود ها هنا، بأن أتصرف بكل تعقّل من الآن وصاعداً وبشكل لا يتيح لك الفرصة حياله لكي تتذمّر مني، أو تغضب بسبب سلوكي، وأسألك ان تنسى كل ما مضى.

(يعانق قبعته التي وضعها على كوعه).

كورجيبوس : ها قد ابصرتهما كلاهما الآن معاً.

رينيه الضخم : في الحقيقة هو ساحر دجّال.

إسْكاناريل (**وهو خارج من البيت**) : هذا مفتاح بيتك، يا سيدي، اردّه اليك. لم أشأ أن يأتي معي هذا المحتال، لأني استحي به، ولا أريد أن يراني أحد برفقته في المدينة حيث ليس أطيب من سمعتي. ستذهب وتخرجه متى وجدت الوقت مناسباً. استودعك الله واظل صديقك المخلص. (يتظاهر بأنه ذاهب، وبعد ان يكون قد خلع جبّة الطبيب يعود إلى البيت من خلال النافذة).

كورجيبوس : عليّ أن أذهب لأخلّص هذا الفتى المسكين. في الحقيقة، اذا سامحه لا يكون قد تمّ ذلك بدون أن يسيء معاملته.

(يدخل الى بيته، ثم يخرج بصحبة اسكاناريل وهو في ثياب الخدم).

إسْكاناريل : أشكرك، يا سيدي، على ما تحمّلته من عذاب في سبيلي وعلى عطفك الذي غمرتني به. أنا مدين لك بذلك طوال حياتي.

رينيه الضخم (وقد لمّ قميص اسكاناريل عن الأرض) : لقد امسكت هذه المرة بالمحتال الذي كان يمثّل الطبيب ويخدكم. وبينما هو يقوم بهذه المهزلة، أعتقد أن فالير سعيد لأنه موجود بقرب حبيبته.
كورجيبوس : ما أتعسني، لكنك لن تنجو من حبل المشنقة، أيها المحتال الغشّاش.
إسْكاناريل : هل حقاً تريد، يا سيدي، أن أُشنَق ؟ أنصتْ اليّ، من فضلك. لديّ كلمة أخيرة أقولها لك. صحيح أن الفضل يعود اليّ في كون معلمي الآن ينعم بصحبة ابنتك. غير أني، وأنا اقدّم له هذه الخدمة، لم ألحقْ بك أي أذى. ان ما فعلته هو حتماً لصالحها. فلا تُقِم الدنيا وتقعِدْها عليها، لأن ذلك سيزيد الأمور تعقيداً. المهمّ أن تتخلّص من هذا المحتال الوغد فيلْبْروكان ... ها هما العاشقان قادمان.

المشهد السادس عشر

فالير ولوسيل وكورجيبوس واسكاناريل

فالير : اننا نرتمي كلانا على قدميك.
كورجيبوس : وانا أسامحكما، وأجدني سعيداً لكون اسكاناريل قد خدعني. في الحقيقة، أنا مسرور بأن يكون صهري رجلاً شجاعاً. ماهر التصرّف. والآن تعالوا جميعاً نحتفل بعرسهما ونشرب نخب الحبيبَيْن وجميع الحاضرين.

(تمّت)